

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



شعبة الأدب الإسلامي والمذاهب الغربية الحديثة
أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه بعنوان

الوعي الحضاري في الرواية الإسلامية المعاصرة الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل - نموذجاً -

إشراف الأستاذ:

أ.د. أحمد دكار

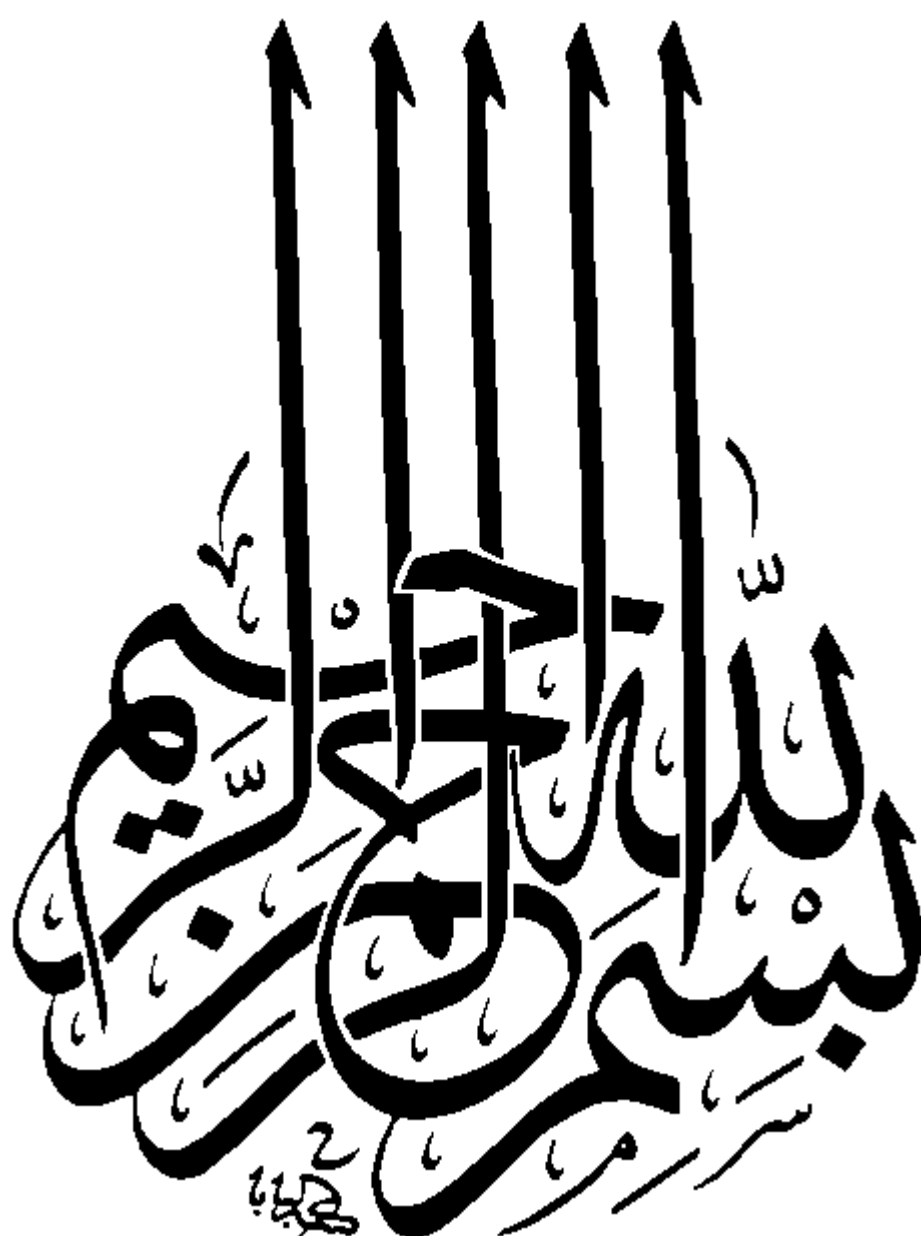
إعداد الطالبة:

عبد الرحيم خديجة

أعضاء لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد عباس
مشرفاً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. أحمد دكار
عضواً	جامعة مستغانم	أستاذة محاضرة "أ"	د. حيفري نوال
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. العرابي لخضر
عضواً	جامعة تيسمسيلت	أستاذ التعليم العالي	أ.د. بلحسين محمد
عضواً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. كامل بلحاج

السنة الجامعية : 1434-1435هـ / 2013-2014م



كلمة شكر وتقدير

﴿...رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

الحمد لله والشكر لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل....

نتقدم بالشكر الجزيل عرفانا وامتنانا منا بالمعروف إلى من استرانا أيامه في

احتضانه ما أجزته، مراجعة منه وتمحيصا وإسرارفا الأستاذ "محمد وكار".

إلى من كاه لي عوناً ولم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه "محمد بن عزة"

كما نتوجه بآيات الشكر وخالص الثناء إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تحملهم

عناء تمحيص هذه الرسالة.

وما من سبيل في آخر هذه الكلمة سوى أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد،

في السر والعلن، ولو بكلمة.

إهداء

إلى من ربيدني صغيرا..

إلى الله عز وجل ربنا..

إلى الحبيبة بارك الله في عمرها.

إلى زوجي.. أتابه الله علما وصبرا..

إلى أبنائي..

إلى الأحببة إخوتي وأخواتي

أهدي هذا الجهد المتواضع.

مقدمة

تتقاطع في هذا البحث مسائل ومباحث يختزلها العنوان: الوعي الحضاري في الرواية الإسلامية المعاصرة - الإحصار والمثدنة لعماد الدين خليل - نموجا.

ولعلّ مقدرة الرواية على معالجة المواضيع والإشكالات الواقعة المعقدة أنتج لدى القارئ ميولات فعلية لهذا الفن، حيث صارت تتحدد هذه الميولات بدوافع ذوقية وفكرية، وفي هذا الحال أمكن التمييز بين ما هو عاطفي ذاتي، وعلمي موضوعي، حيث أن القراء يتعددون تبعاً لاهتماماتهم واستعداداتهم وميولاتهم الفنية، وإمكاناتهم الفكرية، فمنهم من يميل على قراءة الرواية بدافع الفضول وموهبة المطالعة، ومنهم من تكون القراءة بالنسبة إليه وسيلة لإحداث المقاربات وإنجاز الدراسات العلمية وفق منهج متبع. ومن هنا يكون للرواية التأثير الإيجابي في توجيه المعرفة وتفعيل الثقافة لدى الأمم، وفي بناء الشخصية الإنسانية الفاعلة القادرة على صياغة الحياة وإغناء التاريخ وتعميق الفعل الحضاري، ولهذا الأهمية البالغة في وظيفة الأدب في الحياة ربط كثير من الدارسين بين عافية الأمة وتحضرها وازدهارها وازدهار الأدب وتطوره من ناحية، وأمراض الأمة وتخلفها واضمحلال الأدب وسقوطه من ناحية أخرى، لأن المقولة البديهية في ذلك أن الأدب مرتبط بروح الأمة وقدرتها على التحضر والتطور والنماء وتربية الأمة لأفرادها دفعا نحو الترقى الحضاري والتميز الإنساني.

لذلك كانت الكلمة الأولى في كتاب الله المقروء "اقرأ" توجيهها لأهمية الكلمة في إحداث التغير الحضاري والتطور الإنساني، بل وكان القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين أساسيين للأدب وتشكيل رؤيته الجمالية.

إن السقوط الحضاري الذي عاشته الأمة المسلمة في سنوات من الضعف والغياب والشلل، كان نتاج غياب الأدب المعبر عن شخصية الأمة وحضارتها وثقافتها، ونتائج ظهور تيارات أدبية مناقضة لتوجه الأمة وثقافتها واتجاهها بسبب عوامل متباينة أدت إلى

إضعاف القاعدة الفكرية والروحية للأمة وكانت من أسباب التراجع الحضاري الذي عاشه المسلمون أزمانا طويلة.

ونتيجة لغياب الوعي الحضاري وتفاقم التحديات المختلفة بسبب الاحتلال الأجنبي للبلاد الإسلامية بتأثيراته في جوانب الحياة المختلفة، نتيجة ذلك ظهرت الأصوات التي ترفض مبدأ التغريب وتدعو إلى بناء مشروع حضاري يعيد الأمة إلى ممارسة حياتها الراشدة بمنهج الدين واستئناف وجودها الفاعل في الحياة الإنسانية.

ولما للروائي المسلم من أثر في إحداث التغيير المطلوب وفق رؤية الإسلام للحياة والكون والإنسان نادى كثير من المفكرين والأدباء إلى بعث الرواية المعبرة عن آمال الأمة وتطلعاتها في العودة إلى الحياة الإنسانية تأثيرا وتفعيلا للقيم الحضارية التي جاء بها الإسلام وغابت عن الحياة فترة طويلة.

وكان على رأس أولئك الدعاة للرواية الإسلامية نخبة من المهتمين بالأدب الإسلامي، من بينهم "عماد الدين خليل" الذي كان له أثر واضح وحضور متميز في ميدان الفكر والثقافة والأدب الإسلامي.

وكانت نتائج جهود هؤلاء الرواد تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي تهدف إلى بناء أدب إسلامي متميز قوي، ذي قدرة على مواجهة الأدب المنحرف المجانب للأخلاق والمعادي للقيم الإسلامية.

كما تهدف إلى إيجاد أدب ينطلق من الرؤية الإسلامية، ويعبر عن المشاعر والأحاسيس والأفكار والرؤى بموضوعية وصدق وإخلاص وتجرد.

والرابطة الإسلامية تبرز الأدب الإسلامي والرواية الإسلامية كمنافس للأدب الغربي والرواية الغربية بدون منازع، لأن الرواية الإسلامية وظيفية، هذه التي تمكنها من المقاومة والاستقرار، لأنها تعمل على ترسيخ المبادئ وبسط الأخلاق وحماية القيم وحفظ المجتمع من الهجمات الموجهة له والتحديات التي تستهدفه وتستهدف مشروعه الحضاري.

وإذا كان من شأن الدوافع أن تتدافع في العقل والنفس في حالي التفكير والمخاض، وهي ثمة تتراوح بين ميول ورغبات نفسية، وبين معطيات موضوعية يصدقها العقل ويقوم بها، فإنها في النهاية، وفي مجال البحث العلمي خاصة تؤول إلى حوافز موضوعية، وتحتزل إلى مشروع أو منتج قابل للدراسة الجادة والفاعلة.

ولعل من الأسئلة التي قد تثار في شأن عنوان هذه الأطروحة:
لماذا عماد الدين خليل نموذجاً وليس غيره ممن اشتهر بهذا الأمر حتى صار يعرف به؟

علما على أن عماد الدين خليل لم يشتهر بالرواية وإنما اشتهر بفن المقال والتأليف المسرحي والنقد خاصة.

وهو سؤال وجيه لا أملك إلا الإقرار بصوابه في عمومته لا خصوصه، غير أنني تعمدت اختيار ما اخترت لأمر منها خاصة:

- الرغبة في إبراز الصراع الإيديولوجي وما خلفه من فتنة وسط المجتمع العراقي، وكأن المجتمع مرآة عاكسة للأمة العربية.
- قدرة عماد الدين خليل على الجمع بين الإبداع والتاريخ، وهو أمر تشهد له روايته الوحيدة " الإحصار والمثمنة " - وهي كذلك دعوة للاطلاع على الرواية.
- هذا إلى جانب قدرته على التنظير في الأدب الإسلامي وبعث الرواية الإسلامية.
- جمعه بين البناء الفني والتعبير الجمالي.

ولعلي بذلك أحيب انتظار بعض المتلقين، وأسهم في إضاءات جوانب مهمة من شخصية أديب أسدى إلى الأدب الإسلامي خدمات جلى، وهو أمر يشهد له العدد الكبير من المؤلفات والمقالات والبحوث الأدبية، بالإضافة إلى الرواية التي شارك بها في المسابقة التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

ويبدو أن الرواية الإسلامية على بعد انتشارها في بقاع الأرض ما تزال مجهولة لدى بعض الدارسين والباحثين والطلاب وحتى بعض النقاد.

والموضوع الذي تقدمه في هذا البحث العلمي هو محاولة الإسهام في تحقيق المفاهيم والمبادئ لتعزيز الرؤى الإيمانية ومنح الإنسان التوازن المادي والروحي والتصور الحقيقي في تحقيق سر الوجود الإنساني عبادة لله وامتناناً لمنهجه وأداء لرسالته.

وعليه يقع البحث، إضافة إلى مقدمة وخاتمة، في ثلاث فصول يتناول الفصل الأول مقومات الرواية الإسلامية، من حيث المكانة التي تحتلها في نفوس القراء والدارسين، ومن خلال توضيح هذه المكانة.

وقد يلاحظ القارئ الكريم أن هذه المكانة تبرزها واقعية الرواية الإسلامية والكيفية التي يتعامل بها الروائي مع هذا الواقع ثم بينا في المكانة بعض الحقائق التي يركز عليها الروائي والتي يكون مصدرها الإسلام، ثم بعد ذلك ذكرنا المقومات التي يتخذها الروائي كسند له، والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية كسندين أساسيين، وسيرة الصحابة والصالحين وأداة اللغة العربية وبعض الآداب العالمية.

كما احتوى هذا الفصل دراسة لأهم خصائص الرواية الإسلامية التي تمثلت في الالتزام العقدي - التصور الإسلامي - الشمول والتكامل - الأدب الإسلامي، أدب الإنسان والكون - الغائية والجدية الهادفة - الواقعية.

وقد تلا هذه الخصائص عنوان تمثل في: أصالة الشخصية الأدبية في الرواية الإسلامية، ضم هذا العنوان مجموعة من العناوين الفرعية هي: اعتراف الإسلام بالكلمة الطيبة - عناية الإسلام برسالة الأديب، مفهوم الشخصية الأدبية الإسلامية.

وكان ختام الفصل تبين الحاجة إلى الأدب الأصيل الذي هو ركيزة الإبداع الفني والأدبي الإسلامي على وجه الخصوص.

أما الفصل الثاني فقد كان مدار الدراسة فيه حول الدعوة إلى الرواية الإسلامية مما تحمله من مضامين لها علاقة بالشكل.

وفي هذا الفصل يظهر دور المضمون في إبراز أدب أصيل من حيث:

القيم السامية: واستدرجت في هذا العنوان الفرعي:

التفكير والتأمل - الحرية والمسؤولية - الخلق الكريم - التكافل الاجتماعي - الدعوة والجهاد.

ثم تطرقت إلى: النهوض الحضاري، الذي يقوم على أساس من التربية الإسلامية والوحدة الإسلامية والحضارة الإسلامية.

وقد كان للإمتاع الوجداني حظه من الدراسة من حيث الجانب الجمالي والجانب العاطفي والجانب الفكاهي. إلى جانب هذه المطالب المتعلقة بتحقيق المضمون كمطلب أساسي في تأدية الرسالة والارتقاء بالرواية إلى الإسلامية، كان من المهم الاعتناء بدراسة الشكل الفني من حيث الصيغة الفنية والأسلوب البياني والشواهد الأدبية والبراعة التصويرية.

وفي ختام هذا الفصل عقدت جلسة مع نماذج من أبرز الروائيين الإسلاميين وعلى رأسهم "نجيب الكيلاني" رائد الرواية الإسلامية، وآخرون كان لهم الفضل في أن تكون الرواية الإسلامية فاعلا لازما يثريه الوعي الحضاري.

أما الفصل الثالث فكان عبارة عن دراسة تطبيقية لرواية الإحصار والمنزلة لصاحبها عماد الدين خليل، من حيث التحليل والرؤية.

والعنوان الذي استهل هذا الفصل هو: المحتوى والبناء: تضمن نبذة عن حياة عماد الدين خليل الأدبية ثم إلى محاور النص الأساسية التي تمثلت في الفن، القيم والارتباط بالأرض.

بعد ذلك وقفت مع الشخصيات كل على حدى من حيث الوصف والأبعاد ثم الأبعاد والتوجهات، ومضيت بعدها في محاولة لتحديد الزمن السردي للرواية من حيث زمن الكتابة والمفارقات الزمنية، وأثر الزمان والمكان وفضاء الرواية، والفضاء وتأثيره على أركان الحكاية.

وبعد هذا تطرقت إلى الحدث السردي من حيث حبكة الرواية والنسيج الروائي، وتعدد أوجه الراوي، وتحديد مستويات اللغة.

وكان ختام هذا الفصل هو محاولة دمج واقعتين: تداخل الواقعين الروائي والاجتماعي. وفيه حاول الروائي أن يقابل عالمه بالأعمال وترك هذه الأعمال تعبر بنفسها عما يريد.

باعتبار الرواية الإسلامية حاضرة، وحضورها يفرض علينا قراءتها ودراستها وتحليل أبعادها وأفكارها... والدراسات حولها قائمة والبحوث مستمرة فإن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي، الذي يعتمد عرض القضية وتتبعها تأريخاً وتاريخاً، واستنطاقها عبر تساؤلات فكرية، ومحطات زمنية ومهنية ليست محل اتفاق بمبررات وبدونها. وسواء كانت عقديّة أو اجتماعية، ولا بد من الاستشارة هنا إلى أن مسألة المنهج في الرواية الإسلامية يستتج عنه قضايا فرعية بين القبول والرفض عند دارسي الأدب الإسلامي خاصة ودارسي الأدب عامة.

وإذا كانت طبيعة هذه الدراسة موضوعية حيث يتم فيها تغليب القضايا الفكرية على الظواهر الفنية فلم أكن أرى لزوماً الاستعانة بمنهج أخرى غير المنهج الأدبي وفي مواطن محدودة كما هو شأن المنهج التاريخي.

وأما مصادر البحث ومراجعته فقد كان بالإمكان أن تتضاعف بحكم الامتداد الكبير للرواية الإسلامية وفي المجالات المختلفة والدراسات المتعلقة بها بحكم مقتضيات البحث إجمالاً، وقد رأيت أن ذلك مما لا يمكن حصره ولذلك كان التركيز على ما له قيمة وظيفية بالغة في علاقته بالموضوع وإني وإن كنت أزعم أني حققت كل ما كنت أرومه وأطمع إليه من هذا البحث يوم اخترته أطروحة جامعية، فإني أذكر أنني حاولت وبذلت قصارى جهدي مع ضعف قدراتي.

وأما أستاذي الفاضل - أحمد دكار - فإن فضله علي - بعد الله تعالى - عظيم.

وقد امتد إشرافه على بحثي من مستوى اليسانس ورسالة الماجستير إلى رسالة الدكتوراه، وفي ذلك كله كان له أثر كبير في توجيهي وتقوم أعمالي، واستنهاض همتي.

وقد كانت توجيهاته - جزاه الله خيرا - تتوخى أن يكون هذا البحث أحسن مما هو عليه بكثير، ولكن ضعف همتي، وقلة حيلتي حالت دون كثير من ذلك، فمعدرة لأستاذي الجليل ولأسرة البحث العلمي الرصين.

وجزى الله خيرا أستاذي بن عزة محمد الذي ساهم بتوجيهاته في إثراء هذا البحث وأساتذتي الأجلاء الذين تلقيت العلم على أيديهم منذ سنوات الدراسة الأولى والأساتذة أعضاء اللجنة العلمية الذين أسهموا بنصيب مشكور في تقويم هذه الرسالة. والحمد لله رب العالمين.

الطالبة: عبير الرحيم خمرجة

بوع: 02 رجب 1435 هـ

(الموافق ل: 02 ماي 2014 م)

مدخل:

نشأة الرواية الإسلامية المعاصرة

يمثل فن الرواية في العالم المعاصر أداة من الأدوات الفعالة في التعبير عن الأفكار والقضايا والإيديولوجيات والمواقف المختلفة التي يصطدم بها الواقع، فلم تعد ذلك الفن الذي يقدم المتعة الفنية فحسب، بل صار الفن الذي ينضج بالرؤى والتصورات والأحكام التي يتفاعل معها وجدان الروائي ويسعى لتوصيلها إلى أكبر حشد ممكن من الجمهور.

ولأن الرواية في الواقع تجذب القارئ بما تتضمنه من أحداث وشخصيات ومواقف تتفاعل معا فتثير أشواقه وتحضره إلى متابعة القراءة ليعلم النهاية التي وصلت إليها الأحداث والشخصيات والمواقف.

فقد كان للرواية البوليسية الأثر الكبير في استيلائها على عقل الكثير من القراء وخاصة الشباب، لما فيها من أحداث غامضة، لا تنكشف بسرعة، بل على مراحل وذلك من خلال تشابك الأحداث وتعقدها المستمر، فلا تظهر نتائجها أو حقائقها إلا في الصفحات الأخيرة من الرواية، وقد مثلت الرواية البوليسية أفضل النماذج لفن المتعة والتسلية كما برع في كتابتها عدد كبير من الكتاب.

ومع ذلك فالرواية البوليسية لا تمثل موقفا أو فكرا أو إيديولوجية أو فلسفة معينة بالرغم من أنها تمثل الموقف الرفض للجريمة أو الموقف القائل بأن المجرم لا بد أن يلقي عقابه يوما، فإنها لا تعني التعبير عن موقف متعدد الآفاق واسع الأرجاء يعالج قضايا الكون والحياة والإنسان "لذا ظلت الرواية البوليسية ذات أثر وفن محدود يتركز في المتعة والتسلية لا غير"⁽¹⁾.

غير أن الرواية الجادة، أو الرواية بالمفهوم الفني العام، صارت هي الأعمق تأثيرا والأكثر قيمة، ومن ثمة صارت "معرضا للأفكار التي يتبناها أصحاب المذاهب والفلسفات والإيديولوجيات والمعتقدات المتباينة"، فالبعد الفلسفي لأي رواية يظهر

(1) محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، السنة 1979، ص 54.

بشكل يلفت الانتباه أثناء انتقالها إلى التطبيق (مسرح، فيلم، مسلسل ...) وللمتلقي الحق في إصدار أحكامه بغض النظر عن صحة أو خطأ هذه الأفلام⁽¹⁾.

ولعل أقرب الأمثلة في هذا السياق ما فعله الإشتراكيون والوجوديون "فالواقعيون الماركسيون أفرغوا رؤاهم الماركسية التي تدور حول الصراع الطبقي أو حتمية التاريخ والإعلاء من شأن الطبقة الكادحة والاهتمام بقضايا الإشعاع البيولوجي والمادي في رواياتهم العديدة وظلوا كذلك على مدى سبعين عاما حتى تقوضت النظرية اليوم بفضل نظريات أخرى. وظروف سياسية واقتصادية وثقافية جعلت الكثيرين يتشككون في صلاحية النظرية أو يعاودونها وإن لم يزل لها أنصار ومريدون متعصبون في بلد المنشأ وبعض البلدان الأخرى"⁽²⁾.

حتى أن جملة الوعي والإحساسات كيفما كانت، وكذلك تفكير الإنسان كيفما كان كل ذلك انعكاس للواقع المادي الموجود في العالم وليس لأية اعتبارات أخرى في نطاق المادة، فقالوا عن الفكر أنه عملية دماغية مادية، أو أن العملية التي يقوم بها الدماغ هي انعكاس للواقع المادي، فالوعي أو الفكر هو جزء من المادة أو نوع منها وتعبير آخر فإن الفكرة هي صورة للأشياء الظاهرة في العالم، وفي هذا يؤكد "كارل ماركس: "إن الشيء الذهني ليس سوى الشيء المادي منقولاً إلى رأس الإنسان حيث أعيد تشكيله فيه"، "ويقول لينين: "إن التفكير انعكاس للواقع"، وقال أيضا: "إن الوعي نسخة، صورة للواقع"⁽³⁾.

أما الوجوديون فقد ألحوا في رواياتهم على الإعلاء من شأن الإرادة الفردية والحرية الشخصية مع إنكار ما وراء الطبيعة وتحدي القوى الغيبية والتأكيد على أهمية الإحساس باعتباره "الأداة الوحيدة في عبثية الوجود والعالم، مع رفض كل إلزام يأتي من خارج الذات"⁽⁴⁾.

(1) فن القصة، محمد يوسف نجم، مرجع سابق، ص 56.

(2) صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف القاهرة، ط2، السنة 1980، ص 59-60.

(3) أمير عبد العزيز، النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط1، السنة 1981، ص 22.

(4) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نضمة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص 381.

فكان مصير الوجوديين هو مصير الماركسيين حيث ضعفت نظريتهم وتقهقرت بسبب هوامل عدة، وإن بقيت آثار قليلة هنا وهناك، لكن البريق الذي كانت الوجودية تتباهى به انطفأ مثلما حدث للماركسية وظهرت نظريات ومذاهب وأفكار أخرى تسعى إلى السبق في التعبير عن معتقداتها من خلال الأدب شعرا ونثرا، وتبدون الرواية في كل الأحوال المجال الأرحب والأرضية الفسيحة التي يركز عليها أصحاب النظريات والأفكار للإعلان عنها ونشرها إلى أكبر عدد من الجمهور.

وارتباط الرواية بالفكر والتصوير يؤكد على نفعية الأدب، وهذا ما أكدته الرواية العربية من خلال الواقعية الاشتراكية حين تناول أصحابها الطبقة الكادحة وواقع المدينة والصراع بين العمال والفلاحين من جهة وأصحاب المصانع والملاك من جهة أخرى. ومن هذا وذاك حاول الروائيون ذوي التوجه الإسلامي استلهام قيمة الرواية في نشر الأفكار الإسلامية والتعبير عن آلام الأمة وآمالها من خلال حوصلتهم من الروايات الأخرى، ذات التوجهات غير الإسلامية ويمكن القول أن: "جرجي زيدان الذي كان له تأثيره المضاد لدى العديد من الكتاب الرواد والبناء في فن الرواية بعدما شاع أنه شوه التاريخ الإسلامي في رواياته الشهيرة عن تاريخ الإسلام"⁽¹⁾.

فوجدنا مثلا "علي الجارم" يكتب بعض رواياته التاريخية عن الأندلس والشام والعراق ومصر، من خلال بعض الشعراء والأبطال المشهورين، والأحداث البارزة في العصر الحديث مثل رواياته عن: ابن زيدون، وأبي فراس الحمادي، وخماروة بن أحمد بن طولون والحملة الإنجليزية على مصر، كما وجدنا "محمد سعيد العريان" يكتب بعض رواياته في عصر المماليك، ورأينا "علي أحمد باكثير"، يتحرك أكبر ليعالج حملة التتار على بلاد الشام وانهمزاهم في عين جالوت، ويخطو خطوة رائدة في توقع لانهاية الشيوعية من

(1) حلمي محمد القاعد، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، دراسة تطبيقية، دار الاعتصام، القاهرة، السنة 1990، ص 23.

خلال معالجته لحركة "القرامطة" في العراق وهناك آخرون ساروا على الدرب نفسه الذي سلكه الجارم والعريان وباكثير"⁽¹⁾.

إن الكتاب الرواد والبناء أدركوا نفعية الأدب وخاصة الرواية، لذا لم يضيعوا وقتا وعالجوا من خلال هموم الأمة وواقعها ومستقبلها، سواء بالتعبير المباشر من خلال الواقع الحي أو من خلال التاريخ أو عبر التراث الشعبي والأدبي.

وهنا جددت الحاجة إلى أن يكون لنا أدب متميز أصيل تتضافر له سواعي الفكر واجتهادات المبدعين مستمدين وجداناتهم ومواقفهم من التصور الإسلامي الصحيح للحقيقة والكون والحياة فكان المجال مفتوحا للرواية في الرفع من مستوى الفن والأدب، مما أفسح الطريق للرواية الإسلامية باعتبارها فنا يخدم الأدب ولأنها تستند إلى مبادئ واضحة ثابتة هي مبادئ الشريعة الإسلامية.

والرواية الإسلامية تحاول أسلمة الأدب شكلا ومضمونا بتركيزها على المضمون لا لشيء إلا رغبة في تغيير مسار الإنسان وتوجيهه الوجهة الصحيحة الصائبة والسليمة والتي تقتدي بالذکر الحكيم عملا على بناء حياة متوازنة تجمع الجانب المادي مع الروحي والديني مع الأخرى.

ومن هنا برزت عوامل لنشأة الرواية الإسلامية محاولة الرفع من مستواها والتوسيع في قضاياها مستهدفة تطهير الإنسان ومجتمعه.

فما هي هذه العوامل؟

لعل الجدير بالذكر أن سلسلة العوامل نجدها متداخلة فيما بينها حتى أنه لا يشهد لواحدة دون الأخرى، بتفردها للعب الدور الحاسم، حيث نجد رسم حدودها نسبيا إلى حد بعيد، وكل محاولة تبقى مشروعة من خلال الدراسة والتحليل لا غير، ويمكن تجزئة هذه العوامل إلى أربعة عناصر هي: العامل الاجتماعي، العامل النفسي، العامل الحضاري والعامل الأدبي.

(1) حلمي محمد القاعود، الرواية الإسلامية المعاصرة، دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، السنة 2008، ص

أ- العامل الاجتماعي:

يرسم الواقع الاجتماعي الواسع الفارق الملموس بين الوضع المعيش والوضع الأدبي. فإذا تأملت رواية من الروايات الغربية فإنك تجدها مبحرة في عالم لا متناهي من الخيالات والتصورات الوهمية التي تتناقض والواقع المعيشي، ففي الوقت الذي يتخبط فيه المجتمع إثر دوامة الحياة القاسية والمشاكل اللامتناهية والحروب الأهلية والدولية، نجد بعض الروائيين يرسلون بعض الإبداعات بعيدة كل البعد عن الواقع. فتنفصلنا تماما عن المحيط الخارجي ويذهب بخيالنا إلى سماء محلقين لا مدبرين، وسرعان ما ترجع تلك النفس إلى واقعها حاوية الذهن، ومن جهة أخرى، فقد خلق الاستعمار القديم استعمارا جديدا ماكرا محاولا استغلال الأمة لصالحه، وفي كثير من المواقف يلجأ إلى تدميرها لينال مبتغاه وكان من الأعمال الوحشية التي قام بها الغرب هو نشر ثقافته على الأمم المستعمرة في مقابل تشويه الثقافة الأصلية.

هذه المفارقات بين الأدب والواقع الاجتماعي، وهذا الانغماس في ثقافات غير ثقافتنا وألوان كادت تهوي بأدبنا إلى الإلحاد، كل هذا كان له دور تقدم الأدب الإسلامي كمجاهد يحمل على عاتقه مهمة الاهتمام بشؤون المجتمع وقضاياها ومن ثمة "فقد أكد الأدب الإسلامي مهمة الاهتمام بشؤون المجتمع، فازدهر الأدب السائر في هذا الاتجاه، آملا أن يجد الصيغة الناقصة للأدب بصورته الإنعزالية السابقة"⁽¹⁾.

"فظهر الاهتمام واضحا بالرواية الإسلامية في العقود الثلاثة الأخيرة، وظهر كثير من الكتب والدراسات حوله"⁽²⁾.

وهذه الرؤية لا تحول أبدا دون استفادة الروائي المسلم من كل الآداب العالمية والأشكال الأدبية خاصة منها الرواية ولا يمنعه ذلك من أن يجوب آفاق الدنيا ليتعرف على ما فيها، باحثا منقبا متفحصا، لينخلص إلى الحقيقة، ولكن عمله هذا أقرب ما يكون بالغواص الذي يصيد اللؤلؤ، والمنقب الذي يصل إلى أعماق المنجم، والأديب المسلم

(1) محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط1، السنة 1986، ص 26.

(2) محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، السنة 1996، ص 39.

الذي تربي في أحضان الإسلام، عقيدة وفكرا وسلوكا، حتى جرى الإسلام كله مع دمه، واختلط كل شيء فيه مع خلاياه، فنضج وعيه بالإسلام، وتفتح عقله في رحاب القرآن الكريم، وتوسعت آفاقه مع آفاق التصور الإسلامي الشامل بالصفاء والحياة، وروحا تسري في كل كيانه "فزاده من الإسلام زاد حقيقي، أصيل وليس فنانا من الفكر ونظرات في الفقه فقط، إنه فهم عقيدته في أصولها، وليس من تعريفات الفلاسفة والمتكلمين، وفهم إسلامهم بأركانه وسننه، وأحكامه من مصادره، وعرف كل ما له مساس بحياته وفكره وسلوكه ومواهبه، ولم يبق إسلامه دون وعي، ومنه ومن خلال فهم الحياة وفهم الأولى والأخرة، وقام بكل الشعائر والتزم بالأحكام"⁽¹⁾.

وكان للرواية الإسلامية الجزء المهم في حمل العبء، سيما وأن الرواية ليست فنا ساميا يخدم نفسه أو يخدم مشاعر الفرد الذاتية، بل هي فن يخدم المجتمع ويعمل على تدبير شؤون الحياة.

ونخص هنا الرواية الإسلامية لقوله صلى الله عليه وسلم، "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"⁽²⁾. وإذا كان هذا الحديث يخض المؤمن بصفة عامة فما بالناس بالأديب المؤمن ضمير الأمة ومجهرها، وإن صحت تسميته برسول الأدب ليحمل بذلك مسؤولية إصلاح المجتمع والنهوض به من سباته لينشأ في أحضان إنسانية مفعمة بالصدق والصفاء دون معاداة من هم حوله أو دون مخاصمتهم "ولهذا تكون الرؤية الإسلامية قد حددت موقفها الإيجابي من المناهج الفنية والتيارات الأدبية موقفا منفتحا ينسجم مع خصائص النفس الإنسانية التواقعة دوما إلى التجديد، وهي بتفتحها ذلك تدين ظاهرة التقليد على المستوى الشرعي والفني معا"⁽³⁾.

(1) الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، محمد حسن بريغش، ص 12.

(2) رواه الترميذي وابن ماجه وأحمد في المسند، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(3) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، مرجع سابق، ص 76.

وبهذا فإن الروائيين الإسلاميين يدعون من خلال إبداعهم إلى انفتاح التجربة الأدبية الإسلامية عن طريق الممارسة الواعية، ونشر الإنتاج الإسلامي، وممارسة العمل الأدبي والتعريف بالأدب الإسلامي ونقده وتقويمه وتعميق المسار وإنضاج التجربة رويدا رويدا دون خوف أو تردد، وعدم الانسياق وراء المثل الغربية والتطلع إلى برامجه دون تمييزها.

إن أصحاب هذه التجربة يحاولون الارتقاء بالمجتمع إلى الأفق الأسمى بنشر الوعي الحضاري بين الأوساط والإطلاع على الأصول الإسلامية اطلعا واعيا عميقا يكافئ ما يحملون من رسالة، ويكفي لخوض التجربة الأدبية بأصالة ووعي، بدون ضياع، وبتقنيات لا تخرج عن النطاق العام للمجتمع.

ولو أدرك الواحد منا خطورة الضربات القاضية التي توجه لقيمنا ومعتقداتنا من خلال الأدب ككل والرواية بخاصة، أدرك أن مجتمعنا في حاجة لضربات مماثلة، لكنها لا تقضي على القيم وإنما توقظها. "لأن الرواية أيا كانت التقنيات المتبعة في بنائها وخطابها السردية لا تعدو أن تكون ضربا من الإيديولوجية ووجهة نظر الكاتب أو فنته أو طبقتة الاجتماعية، هي التي تحمل ملامح تلك الإيديولوجية فرأي الكاتب وموقفه السياسي والاجتماعي، والفكري، منبثق من الأصوات الروائية المتعددة التي تتحاور وتتقاطع في النسيج السردية"⁽¹⁾.

وبفضل العامل الاجتماعي تكون الرواية الإسلامية قد برزت بتصورها الشامل وفلسفتها الصحيحة ومعتقداتها الحق لتدافع عن الإسلام والمسلمين ولتوقظ ضمائر النائمين مستبشرة خيرا في النهوض الحضاري.

ب- العامل النفسي:

لعل العامل النفسي هو أكثر العوامل تأثيرا في نشأة الرواية الإسلامية، كما أنه شرط أساسي يلازم الروائي ويدفعه للإفصاح وبلورة الأفكار والمواقف التي تراوده

(1) إبراهيم خليل بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، السنة 2010، ص 29.

وتداهم معتقداته، فالروائي الإسلامي الذي يعيش تحت تأثير عوامل نفسية تحاكيه وتدفعه للإبداع.

فالتأثير الخارجي يلعب الدور الكبير في الانفعالات النفسية التي تعتبر الإشراق الأولى لبعث الرواية الإسلامية، وضرورة ملحة لتفجير ما يختلج في النفس من توتر، لأن الأدب في نظر المسلم نشاط إسلامي، وإسهام من مسلم مبدع موهوب، يستطيع أن يستخدم الكلمة والعبارة بطريقة مؤثرة لكنه في هذا لا يخرج عن الإسلام، فالصلة تكون وثيقة بين الفكر والسلوك، والتجربة الشعورية تتأثر بثقافة الأدب العامة لأن "الأديب المسلم يأخذ ثقافة من الإسلام وهي تريد وتنقص بقدر ارتباط الأديب بعقيدته"⁽¹⁾.

ويبدو أن الأديب المسلم لا يتصل بالإسلام اتصاله بالثقافة، مع ما لكلمة الثقافة من مدلول واسع، وإنما يتصل بالإسلام اتصاله بالحياة والخضوع الكامل والاستسلام الطوعي والتفاعل المستمر، وخوض تجربة الحياة قيما بمسؤولية الاستخلاف وتأدية الأمانة، والفوز بأحسن ما يطمح إليه الإنسان، "فالأديب ليس إنسانا عاديا بسيطا، إنه كالعالم المتفقه في دينه أو العارف بكتاب ربه أو المسؤول عن جانب مهم من جوانب حياته الإسلامية"⁽²⁾.

والجميل في الرواية الإسلامية إنما يكمن في ذلك الصراع الروحي، حيث يختص القلق ويهدأ الانفعال في الإبداعات الشعرية الأخرى، فنجدته يقتصر في الأدب الحديث على مصطلح التوتر، فقد ارتبط هذا التوتر في الأدب الغربية بمأساة الوجود حيث "لم يجد الإنسان الغربي في ظل الفلسفات المادية أي جواب مقنع للأسئلة حول الوجود وقضاياها المصيرية"⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق نشأت الرواية الإسلامية "مستنجدة بالتصور الإسلامي الصحيح لردع ذلك التوتر والتخلص من تلك المأساة بالتألف مع الوجود متوجهة الوجهة

(1) مصطفى عليان، مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، دار المنار، السعودية، ط1، السنة 1985، ص 37.

(2) سيد قطب النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص 25.

(3) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، مرجع سابق، ص 26.

الاجتماعية الصحيحة بين النفس ومحيطها وبين النفس وخالقها، وبهذا فالروائي الإسلامي زود نفسه بما يرضي الله، وقد نجد بيني رواياته على عدد من الحوادث والقضايا التي تعالج فيها موضوعات هامة، ومثال على ذلك روايات نجيب الكيلاني التي تدني الظلم والقهر والاستبداد كرواية "مملكة البلعوطي" التي تجسد الواقعية الإسلامية من خلال الهاجس النفسي الذي يختار الروائي والذي يتمثل في آمال وأحلام يتمنى لو تتحقق على أرض الواقع: "حلم جميل، وواقعي يضع القرية الفاضلة وسط أعاصير الظلم والقهر والأناية"⁽¹⁾.

ومثلها كثير في الروايات الإسلامية أين نجد التوتر منسجما مع المجتمع وقضاياه من دفع المبدع إلى البحث عن وظيفته في الحياة أين يجد كل الأجوبة التي يتقذفها فلاسفة المذاهب الغربية: من أين وجدت؟ كيف وجدت؟ وما هو دوري؟ ولما أقوم بهذا الدور؟ وهل لهذا الدور نتيجة؟

ولكي تطمئن النفس لا بد أن تستند إلى من يدعمها ويهين مصيرها حيث "تظل النفوس المتأدية تحبس جل نتائجها، تحبس لحظاتها المضيئة التي تكشف لوجدان المسلم الطريق ... ومع ذلك نستكبر في أوساطنا الإسلامية الغزو الفكري الأوربي والأدب الماجن المتحلل، والأدب المتغرب، ولكننا لا نبخل على دعم الروائي المسلم ونشر نتاجه، وفي دعمنا خير رد على الغزو والانحراف ... فمتى تنهض برعاية الأديب المسلم؟ بكفالة نتائجه ونشره، بالتعريف به، بمنحه حقه في التألف الإنساني في الأوساط الأدبية، لكي يحتل موقعه الأصيل مكان الآداب المنحرفة والتراعات الشائنة"⁽²⁾.

ومن هنا كان من واجب كل مثقف يبحث عن أفلام متأدبة أن يتقدم لكفالة الأديب الإسلامي، والرواية الإسلامية بدورها حاولت أن تجمع بين الذات والمجتمع في إطار التصور الإسلامي الشامل للكون والحياة، وهذا الالتزام مستمد من الشريعة الربانية القائمة على التوازن والجمع بين ما هو دنيوي وأخروي.

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، مرجع سابق، ص 54.

(2) محمد عادل الهاشمي، في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، دار القلم، دمشق، ط1، السنة 1987، ص 45.

فنجد الروائي الإسلامي "يحمل رؤية إسلامية واضحة نحو الكون وجودا ومعرفة وقيما، قوامها تغيير الإنسان وتوجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة"⁽¹⁾. محاولا في ذلك تكسير القيود وإزالة الغبار على الحقيقة التي يحاول الأخر طمسها.

ج- العامل الحضاري:

إن الإسلام ليس فكرا وثقافة، إنه عقيدة وشريعة وسلوك وتطبيق، إنه تربية دقيقة للحس والمشاعر والسلوك والتعامل، ولذلك فإن المسلم الذي ينشأ هذه النشأة لا يدرك بالإحساس والذوق والشعر والسمع ما يأتلف أو يختلف مع الإسلام فينفر ذوقه من شيء دون معرفة لما وراءه لأنه تربي على حياة إسلامية وقد نحتاج إلى هذه المجاهدة، والمدارسة الشرعية، والإطلاع الواعي على أصولنا الشرعية قبل أن نكب على الثقافات الأخرى حتى تصبح في دواخلنا قلاع غريبة يصعب اقتحامها، ويعز علينا التخلي عنها عندما نشعر أنها لا تتفق مع عقيدتنا وديننا "فالعالمون والمصلحون والأنبياء وذووا الفطر حينما يجهدوه لتغيير الواقع الذي يعيشون فيه إنما يعيشون مع أفكارهم وتصوراتهم في معزل عن الواقع المنحرف الذي يبتغون تغييره أو إصلاحه"⁽²⁾.

فالفرد مرتبط بالحياة وقضاياها الاجتماعية وهو دائما يطمح إلى أن يعيش في رفاهية ويوفر لنفسه وعائلته كل ما يطمح فيه، وهذا الارتباط ما هو إلا تفسير للعلاقة بين الذات واللذات، محاولا من خلال هذه العلاقة أن يجعل من نفسه مخلوقا محركا، فما بالنا بالإنسان المبدع، ونخص هنا الروائي، فلا يكاد يخلو أدب أو رواية من عنصرين أساسيين:

أولهما: ذات المبدع أو الروائي، وثانيهما: ما يوجه هذه الذات من الوجود الإنساني كله قديمه وحديثه، وما جناه من أقوال الأسلاف وإبداعاتهم وما يتلقاه من حاضره ومعاصريه، وما يتعدى به مستقبله ومستقبل من هو حوله.

(1) مجلة الأدب الإسلامي، العدد 22، سنة 1420، المملكة العربية السعودية، ص 77.

(2) النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، أمير عبد العزيز، مرجع سابق، ص 27.

وعلى هذا الأساس يحاول الروائي أن ينصهر في الوجود الخارجي عن طريق التجربة التي يعانها بوجوده الذاتي ومحاولا بذلك الالتحاق بالركب الحضاري أو في كثير من الأحيان يحاول خلق ركب حضاري، ولهذا فلا ريب أن يأتي اليوم الذي تنهض فيه الحضارة الإسلامية وتتعالى فيه الإبداعات الأصيلة لأن "مصدر الحضارة والتعليم هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه، فهو من هناك من ذلك المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه"⁽¹⁾.

فالأدب الإسلامي حقيقة ممتدة من بدء ظهور الإسلام إلى اليوم وسيظل بإذن الله إلى قيام الساعة، مادام هناك إسلام ومسلمون، قد يضعف وقد تعلق أصباغ وغبار، ولكنه يظل باقيا مادامت كلمة الله تتلى ومادام كتاب الله العزيز محفوظا، ومن البديهي أن الحضارة الإسلامية تضعف بضعف المسلمين، وانحسار دورهم، وتباطؤهم وتخاذلهم، وعدم قيامهم بمسئوليتهم في الحياة، وضعف إرادتهم في حمل الأمانة، كما يقوى بقوتهم. فإذا كان الإسلام حياتهم كلها، وإذا كانت حياتهم تمتلئ بهذا الدين عقيدة وعبادة وسلوكا، أصبح ركبهم الحضاري زاهرا إلى جانب أدبهم، لأنه حينما يحمل تجربتهم، ويعبر عن حياتهم ويبرز خصائصهم، ويتكلم عن تطلعاتهم ويصور أحلامهم ويصبح واقعا لا يحتاج إلى نظريات.

ورغم ما قام به الغرب من تشويهات ثقافية وغزوات فكرية تهدف لتحطيم الحضارة الإسلامية، إلا أنه لم يقلل من براعة الإبداع الإسلامي ولم يستطع ذلك ولا نفي وجوده، بل أدرك أن قيام الحضارة يكون بتكاثف الأذهان والأفكار، وتصميم الإبداع، وفهمه أن عوامل بناء حضارة متينة لا يكون إلا بالتمسك بالمبادئ الإنسانية، وقد تهدف الرواية الإسلامية إلى رسم معالم الحضارة الإنسانية، فقد جاء على لسان مالك بن نبي: "أن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل

(1) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريغش، مرجع سابق، ص 81.

مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها"⁽¹⁾.

ولهذا أصبح من واجب الروائيين الإسلاميين أن يرهنوا بعملهم ووعيتهم وإبداعهم وتصورهم الواضح تفاهة هذه الدعوات، وخسارة أصحاب هذه المذاهب، وعليهم أن يضعوا النماذج الأصيلة الجميلة من أدبهم، ويبرزوا الصورة الحقيقية لتراثهم وألا يخافوا طواغيت الأدب وبقية الفنون الذين سيرمون دعاة الأدب الإسلامي ككل بكل نقيصة، وحينها يتأكد المسلمون أنهم على الطريق الحضاري، لأن تلك سمة الوعي، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الذين رموا بكل الأباطيل واتهموا بالجنون، والسحر حينما حملوا دعوة الحق.

والمسلم العادي مكلف شرعا أن يعرف من شريعة الله ما هو بحاجة إليه في عبادته وعمله ونشاطه الدنيوي، فضلا عن معرفة عقيدته الصحيحة، فإذا كان هذا واجب المسلم العادي، فكيف يكون حال الأديب الذي يعلم الناس بصورة مباشرة وغير مباشرة، كثير من الأمور، ويدعوهم إلى منهج الحياة.

لأن "الشريعة عند المسلم الواعي، ليست أوامر ونواهي وأحكاما فحسب فهذه مظاهر الشريعة وأدواتها التي يتبلغ بها الإنسان بعض حدودها، ولكنها ذلك الكيان الإنساني الحضاري الذي يشعر وسطه الفرد بإنسانيته، وتحس الفطرة بانطلاقها وتوازنها، ويجد العقل ميادين وميادين للتفكير والبحث والاستفادة، وتجسد المواهب طريقها للإبداع، ويجد الإنسان منهجا للتربية الصحيحة"⁽²⁾.

ومن هنا يجتهد الروائي الإسلامي بكل معاني الإخلاص أن يضع في الجليل حضارة ترقى بأن تكون قائمة بذاتها، وهذا ما لمسناه في عدد من الروايات الإسلامية وعلى رأسها رواية الإعصار والمثذنة التي سنعرض تفاصيلها في هذا البحث.

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، ترجمة عبر الصبور شاهين، سورية، السنة 1985، ص 15.

(2) المرجع نفسه، ص 15.

د- العامل الأدبي:

من الغريب أن يتصور بعض الناس الأدب الإسلامي أدبا ضيقا في نظرتهم ومساحته، وأنه أدب خاص، متعصب، بينما لا ينكر هؤلاء على المذاهب الأخرى ضيقها وتعصبها، ووقوعها في أسر الأفكار الذميمة، والفئات الشاذة والفلسفات المتعصبة.

والأديب المسلم هو الوحيد الذي لا يرى حدودا من الزمان والمكان تحده، فالدنيا كلها أرضه التي استخلف فيها، ويرى الإنسان ذلك المخلوق المكرم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (1).

والناس كلهم ينحدرون من أبوين: آدم وحواء، والرسالة الإلهية موجهة لكل الناس، ولهذا يتوجه بالخير لكل بني آدم في أي مكان عاشوا وفي أي زمن وجدوا، إنه يحمل قضية الإنسان، ومشكلاته، ويعدها جوهره أدبه وبؤرة اهتمامه. فالمذاهب الأدبية والفكرية الأخرى تبقى محدودة بحدود الفكرة ذاتها، ومحصورة بجهل الإنسان وعجزه، وقصوره وخضوعه لنوازعه المختلفة التي تلازمه، لأنه مخلوق يحمل في طياته العجز والجهل والهوى، وحيث يحتكم إلى الفكرة البشرية، والتصور البشري، تتحكم به الأطر الضيقة، ويصبح نهباً للعواطف المختلفة، يحقد ويتعصب، ويصدر عن ردود أفعال.

وإزاء هذه الأخطار التي تحيط بالأدب اتخذ الروائي الإسلامي من الأدب كأداة لتطهير محيطه، فإن أحسن الأديب عمله الأدبي وبرع في شحنه بالعواطف الصادقة، والمعاني المباشرة، فإنه سيكسب قراءه ويؤثر فيهم، حتى لو كانت بعض تصوراتهما مختلفة، وعليه فإن نفسية المسلم لا تند عن هذا الإطار "فهني في حاجة إلى غذاء أدبي

(1) سورة الإسراء، الآية 70.

ملائم وإلا صارت عرضة للأمراض الأدبية المتعددة التي تنتج حتما مع الإدمان على مطالعة الأدب العبثي والفن الساقط في أحوال المادية واللامبالاة"⁽¹⁾.

والروائي الإسلامي حين يتخلى عن قيمه الإنسانية ومبادئه الإسلامية فيستسلم لليأس واتباع للغير، تنكره مثل وقيم مجتمعه، وتحطم بذلك كل مقومات كرامته، ويجرد خياله من واقعه، فيصبح معزولا عن الحياة، ومنعزلا عن الناس ويفشل دوره كمسؤول عنهم، أو أن يظهر عجزه حين يرى أن النجاح موجود في الإبداعات الغربية وأساطيرها، فيرى أنه لا نجاح إلا بأن تنهل من هذا الأدب المعبر عن بريقهم وأساطيرهم بلا ارتيواء، أو يقلد طرائفهم وصورهم بلا تحفظ "العجز في الذين لم يعرفوا إلا ذوق الغرب وجمالياته، وآدابه، وأرادوا أن ينقلوا ذلك ضمن أصباح ليصبح العجز فينا لأننا بقينا على الضفاف البعيدة من حياة الإسلام، وحشينا أن نترل إلى ذلك التيار العذب، حتى لا نخسر ما ألفناه، ولا نتنازل عن مراكز ومكاسب وألقاب ظنا أنها الخير والنجاح"⁽²⁾.

ومن هنا كان لابد من الروائي أن يكون على وعي صائب في اختيار موضوع تجربته الإبداعية، وتوجيهها الوجهة الصحيحة الصائبة، وقد يتحقق ذلك بإيمان الروائي بما يقدمه فلا يفرض عليه أن يكون إبداعه ابتكارا جديدا ولا تقليدا أعمى ولا تبعية منحطة، وإنما المطلوب هو إنماء وإصلاح لما يقدمه لأمة متعطشة لأدب ملتزم صادق، وهذا ما تسعى الرواية الإسلامية لتحقيقه. "لقد كان العلماء والأدباء المسلمون في العصور السالفة يربطون بين ما يقدمون في إبداعاتهم وتأليفهم، والقرآن الكريم ويتقربون بذلك إلى الله عز وجل"⁽³⁾.

وكما يبدو فإن العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم وسيرة المصطفى الأختيار هي المدخل الصحيح لتحلية منهج الأدب الإسلامي، ورسم فنونه، وتحقيق مساراته المختلفة، وهذه العودة هي التي تحقق الأدب المسلم تلك الروح المبدعة المنطلقة من آفاق

(1) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، مرجع سابق، ص 26.

(2) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريغش، مرجع سابق، ص 163.

(3) المرجع نفسه، ص 178.

الكون بلا أسر أو قيد النواميس الكونية، والشريعة الإلهية، وهي قيود حافظة لإنسانية الإنسان، ومانعة من الخروج عن فطرة الإنسان إلى متزلقات الشذوذ والحيوانية والمادية والتناقضات، وبالتالي فهي ليست قيوداً، وإنما هي كالتحصين، من الوقوع في الهلاك والنزعات المفسدة.

وبهذا فالرواية الإسلامية هي الأدب الذي يحتفظ بالفكرة المتميزة الناشطة باعتبارها "من المناشط الثقافية الراقية، ولا يمس سطح مشاعر الإنسان، وإنما ينفذ إلى أغوار مشاعره ذلك بما يعكس من تجارب الإنسان ونشاطاته المختلفة، وإرثه التاريخي والثقافي، فكان من البدهة أن يصدر الأدب عن تصور الإنسان لحقائق الوجود فيظم ذلك كله ويصهره بمشاعره ووجدانه وهذا باب من المسلم به أن يكون أدب الأمة المسلمة تعبيراً عن التصور الإسلامي للوجود، ومنه يستمد مضامينه وأنماط فكره ويسيع المعطيات الثقافية والفنية الأخرى بمعنى واتجاهه وخط سيره"⁽¹⁾.

وقد كان تأثير الرواية الإسلامية بالقرآن كبيراً، حيث كان لبلاغة الكلمة القرآنية وسحرها البياني قوة لا تغالب في نفوس القوم، مما أدخل فيهم ذعراً اضطربت له قلوبهم، وارتجفت أفئدتهم، فأشفقوا على أنفسهم وعلى أتباعهم من الاستسلام له، فهم يرون الأتباع يسحرون بين عشية وضحاها، لهذا كانوا يمنعون أتباعهم من الاستمتاع للقرآن ويأمروهم بالشغب والتشويش عليه، فكان القرآن الكريم المثال من حيث "أسلوبه وبيانه قمة سامقة للتعبير الموحى الجميل، وذوابة البلاغة والبيان التي يتطلع إليها في سموها البلغاء والأدباء، وذلك لينفذ برسائله النورانية، إلى القلوب والألباب"⁽²⁾. وقد وجدت القصة في القرآن الكريم بكل أنواعها الأدبية⁽³⁾.

1- القصة التاريخية الواقعية: المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها مثلتها كل قصص الأنبياء والمرسلين، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء هذا التكذيب،

(1) في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، محمد عادل الهاشمي، مرجع سابق، ص 50.

(2) صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، دار المنار للنشر، السعودية، ط1، السنة 1985، ص 18.

(3) محمد قطب، منهج الأدب، ص 231.

وهي قصص تنكر بأسماء أشخاصها، وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر: موسى وفرعون، عيسى وبني إسرائيل، صالح وثمود، هود وعاد، شعيب ومدین، لوط وقرينته، نوح وقومه... الخ.

2- القصة الواقعية: التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية فتقترح أشخاصها الواقعيين على مسرح الحكاية مثل قصة: بني آدم لقوله تعالى: ﴿ وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَّتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٢١﴾ (1).

3- القصة المضروبة للتمثيل: وهي التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة وفي أي عصر من العصور، أو بيئة من البيئات مثل قصة: "صاحب الجنتين": ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿١﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٢﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٥﴾ قَالَ لَهُ

(1) سورة المائدة، الآيات من 27 إلى 31.

صَاحِبُهُ، وَهُوَ تَحَاوَرُهُ، أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ، فَأُصْبِحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَيَّ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَيَّ عُرُوشَهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴿١﴾.

هذا مثال حي لأدب لا ينافسه أدب وإذا كنا نريد من الأدب التعبير الرائع الموحى الجميل عن الإنسان والحياة والكون وأشياءه... فلا شك أن الاستناد إلى القرآن يكون مخرجه قمة في التعبير الموحى الجميل.

ولهذا فقد تلقى العرب القرآن "مسحورين وكان إحساسهم بالجمال الفني تلقائيا يحسونه في ضمائرهم، ويصورونه تبعا بسيرهم، فهذا الوليد بن المغيرة يقول: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه بعلو ما يلي: وهذا عمر بن الخطاب يقول: "ما أحس هذا الكلام وأكرمه".

فهذه الروايات تدل على أن الشعر الذي كان يجده الإنسان العربي في القرآن الكريم، كان سببه التذوق الفطري لكل كلام منظم ومرتب ترتيبا يوحى بالحلاوة والطلاوة فتجد فيه أذنه موسيقى توحى له بالمتعة الفنية، والراحة النفسية" (2).

وكان رسول الله ﷺ سيد البلغاء وأمير الفصحاء لا ينافسه منافس، وأحاديثه وخطبه ووصاياه تشهد له بذلك.

(1) سورة الكهف، الآيات من 32 إلى 43.

(2) العراي خضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، السنة 2001، ص 34-35.

وبهذا فالرواية الإسلامية بتصورها الإسلامي الشامل ارتكزت على العوامل السابقة الذكر كأسباب محفزة، محاولة فرض وجودها بنشر الوعي الحضاري إلى كافة المهتمين والمتذوقين.

وهي تمر بمرحلة مهمة تتطلب تضافر الجهود المخلصة لهذا الأدب عامة لمواجهة التحديات التي تقابلها حتى تثبت ذاتها بكل قوة وتقدم البديل الجديد للشعوب الإسلامية.

الفصل الأول:

مَقَومَاتِ الرِّوَايَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

I- مكانة الرواية الإسلامية:

تعدّ الرواية الإسلامية لونا من ألوان الأدب الإسلامي، الذي تميز باستناده إلى قاعدة ثابتة أصلية تمتد منذ أكثر من خمسة عشر قرنا وعلى مساحة مكانية في قارات الدنيا كلها أين زرعت بذور الإسلام.

إنه أدب المسلمين في قوتهم وضعفهم، في فرحتهم وقرحتهم في حربهم وسلمهم، ماداموا يستمدون تصورهم من الكتاب الخالد والسنة المطهرة، فللأدب الإسلامي مكانة رفيعة بين قومه وأهله وموضع اهتمام بين دارسيه ومحبيه، وقد تبرز هذه الأهمية أكثر عند المعوقات الكثيرة والمجالات المبذولة من أتباع المذاهب الغربية لإنكار الأدب الإسلامي ومسح الشخصية الإسلامية.

فقد نجد للرواية سلطاتها على النفوس والقلوب، تتسرب إليها في غفلة منها وعفوية لا تكاد تعرف المقاومة، وهذا مقتطف من كلمات الروائي الآتية تبين مدى التأثير الحاصل في تكوين ناشئتها وتأليف دوافعهم النفسية ومن ثمة مواقفهم في الحياة: "ربما يتهمني البعض بأنني أبالغ في تأثير الحرفة التي أمارسها، حين أقرر أن أغلبية الشبان والشابات ... يحصلون على معظم تعليمهم الأخلاقي من الروايات التي يقرؤونها، ستذكر الأمهات تلقينهن الرقيق لأطفالهم، وسيذكر الآباء المثل الصالحة التي يضربونها بأشخاصهم، وسيحدث المدرسون عن روعة دروسهم الأخلاقية، ما أسعد الشعب الذي فيه هؤلاء الأمهات والآباء والمدرسون، ولكن الروائي يتسلل في خفية إلى مكان أعمق مما يبلغه أب أو مدرس، وقد يكون أعمق مما تبلغه أمة فإنه هو القائد الذي اختاره الشباب لأنفسهم والمعلم الذي تتلمذوا له عن طواعية"⁽¹⁾.

وبهذا لم يمنع هذا الأدب من الظهور والانتشار واحتلال المكانة البارزة في المشهد الإضافي ليكون رائدا لأنه يحمل بذرة الصحوة الإسلامية ويعبر بصدق عن التصور

(1) في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، المرجع السابق، ص 105.

الشامل للإسلام، ويجعل الإنسان مكرماً بتطلعاته، وهذا ما تسعى الرواية الإسلامية إلى تحقيقه معبرة عن واقع يعيش فيه الإنسان تجارب مختلفة تحاول اقتلاعه من جذوره، أما الروائي الإسلامي فهو دائماً يسعى إلى فهم هذا الواقع من خلال ملاحظاته في جوانب عقدية وفكرية وسلوكية على مستوى الفرد والجماعة إنه يساهم في التجربة الأدبية إبداعاً ودراسة ونقداً من خلال الأحداث والشخصيات والزمن إذ "يحاول أن يستمد إنتاجه من هذا الواقع ومن المعاناة التي يعيشها المسلم الذي يعيش العزلة الثانية في هذا العصر، متسلحاً بوعي وحس إسلاميين مستمدين من فهمهم للإسلام وفهم أصوله وعقيدته وشريعته وأدابه، وواعين للحدود التي تفصل عالم الإسلام عن غيره وحدود الحلال والحرام والمباح والممنوع"⁽¹⁾. وبهذا يكون الروائي برؤيته الشاملة يعني بأن الإسلام هو الحياة، وأن الإنسانية لا تحقق طمأنينتها وسعادتها ورفقيها وإبداعها والفلاح في كل مجالاتها إلا بالإسلام، ومن هذا التصور كونت الرواية الإسلامية صورة لها مع مواكبتها للصحة الإسلامية المعاصرة، فكان هذا بمثابة الاجتهاد في سبيل إبرازها. ويكفي أنها تنطوي تحت لواء الأدب الإسلامي الذي يعرفه نجيب الكيلاني في قوله: "تعبير فني جميل مؤثر، نابع من ذات مؤمنه، مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعت للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما"⁽²⁾.

والاعتقاد أن الروائي الأصيل الذي اختار هذا المخطط الإسلامي لا يجهد ما وصلت إليه الرواية العالمية من آفاق وصور، ولا يتجاهل ما اصطلحت عليه من شروط في بناء نسيجها.

ولا ينكر ما تعارف عليه النقاد والأدباء في بلورة أحداثها، ولا يقطع ما بينهم وبين العطاء العالمي للرواية، ولكنه في الوقت ذاته لا يتعبد لها ولا يقدر تلك التجارب والمعطيات والقواعد فهو لا يعقل عما وراءها من فلسفات ومعتقدات تدخلت في

(1) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، المرجع السابق، ص 8.

(2) نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط 1، سنة 1987، ص 195.

المضمون والشكل وأثرت في توجيهها إلى صور وطرق تنفق مع تصوراتها وفلسفاتهما إذ "مع تنامي الفكر الإسلامي الصحيح شهد الانبهار بالأدب العالمية الغربية تطورا ملحوظا سرعان ما تحول إلى عبودية ودعاية مستترة حيناً ومتبرجة أحيانا كثيرة، الأمر الذي دفع بردود الأدب الإسلامي إلى أن تميل جهة التطرف والمبالغة في الاستقلالية والتراثية، والدعوة إلى التبرم بين تلك الأداب لما تتضمنه من (إباحية وعبثية وإلحاد)" (1).

ولعلنا بهذا ندرك أن الروائي الإسلامي لا يرسم طريقه ولا يحدد صورته وشكله استجابة لتصورات غريبة عن الإسلام، ولا يخضع لضغوط المدارس والمذاهب النقدية، إنه لا يبذل الجهد لإرضاء الأذواق التي تربت في محاضن الغرب فتجده غير مهتم بسخط الذين يرون التقدم هو الالتحاق بالغرب والتزام برامجه وخصائصه إنهم يمشون في طريقهم على هدى وبصيرة وثبات لا يستسلمون ولا يبهون لذلك الزخم الذي يحمل كل خبائث الغرب وجرائم المدنية المادية المعاصرة وأمراضها، لأنهم يرون ببصائرهم آثار الأيدي الشيطانية في كثير من ألوان الإبداع، إنهم بهذا الهدى وهذه البصيرة يؤسسون رواية متميزة لا يبدعها إلا ذو حس موهوب ولا يتذوقها إلا ذو إحساس طاهر.

وحتى ترتقي الرواية الإسلامية إلى هذه المرتبة يجب أن تبنى على أساسين اثنين: "الأول منها، فني يمثل في القدرة على التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة، أما الثاني فبصدور هذا التعبير في مضمونه عن التصور الإسلامي للوجود" (2).

ويبدو أن الشرط الأول قائم على أساس المعرفة بأن هناك قواعد فنية سابقة تعطي الإبداع قيمة فنية وشروطا تعبيرية حتى لا يكون هناك إبداع عشوائي، ولذلك فإن هذه القواعد واجبة لا يمكن الاستغناء عنها "لأن التراث الجمالي العالمي ملكة شائعة" (3).

وقد تحدث محمد إقبال عروفي مفصلا عن القدرة على التعبير الجمالي في الأدب الإسلامي في كتابه "جمالية الأدب الإسلامي" كما تحدث عن الأدب بصفة عامة،

(1) جمالية الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 37.

(2) محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، المرجع السابق، ص 101.

(3) نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 33.

وخصص للرواية الإسلامية في هذا المجال متسعا من الحديث، فوجد أن الأدب الإسلامي لا يعتني بالجمالية الفنية فقط بل يلتزم بها في جميع إبداعاته، والرواية الإسلامية لا تتحقق دون ذلك "مجسدا للعلاقة الحتمية والحميمة بين الجمالية ورسالة الأدب في نموذج شعري وآخر روائي لم تتحكم في اختيارهما أية نظرة مسبقة"⁽¹⁾.

هذا لأن الإبداع في نظر المسلم نشاط إسلامي، ومبادرة من مسلم محصن يستطيع أن يستعمل الكلمة والعبارة بطريقة مؤثرة في دائرة صادقة سليمة تبعث المكانة السوية على ارتباط وثيق بين الفكر والسلوك.

وقد يتعلق هذا كله بثقافة الروائي العامة "فالروائي الإسلامي يأخذ ثقافته من الإسلام وهي تزيد وتنقص بقدر ارتباط الأديب بعقيدته"⁽²⁾.

هذه المكانة تجعل الأديب المسلم لا يتصل بالإسلام اتصاله بالثقافة، باعتبار هذه الأخيرة عنصرا حيويا موجهها نحو جميع المجالات، إنما يتصل الأديب اتصاله بمسؤوليته في الحياة كمستخلف فيها، فهو يؤدي أمانته لنيل ما يطمح إليه.

وعن قراءتنا للرواية الإسلامية ما فإنها ستقودنا إلى مجموعة من المفاهيم والمدلولات من حيث المعنى والمبنى، وأيضا من حيث معرفة كنه شخصية هذا الروائي سنجد إنسانا ليس عاديا بسيطا، إنه كالعالم المثقف في دينه أو العارف بكتاب ربه، حين يعتبر نفسه مسؤولا عن جانب مهم من جوانب حياته الإنسانية إنه "رائد من رواد البشرية"⁽³⁾.

واعتقد أن من أكبر الأسباب التي تفقد الأدب الإسلامي مكانته، حين يتخلى الأديب عن مبادئ الإسلام وينغمس في الفكر الغربي وسلبياته الثقافية والعلمية، كما تؤدي التبعية دورها في جر الأنوف وجردها من أثوابها ووطنيتها ومن الدين والأخلاق أحيانا.

(1) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، المرجع السابق، ص 11.

(2) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، مصطفى عليان، المرجع السابق، ص 37.

(3) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، [د.ط.]، السنة 1997، ص 20.

إن "أذواقنا وأفهامنا وعاداتنا صارت أقرب للمفاهيم الغربية منها للإسلام، ولذلك لم يكن مستغرباً أن نقع في مثل هذه الأوهام، وأن تصبح أذواقنا بهذه الطريقة"⁽¹⁾.

أما الأديب المسلم وهو يمارس تجربته ويبدع في عطائه يظل على وعي أنه مسلم أولاً ثم أديب ثانياً، وهو يدرك في عمله أن له غاية قصوى تكون تكملة لعبادة ربه وتحقيق العبودية، لا يكون ولا يتم إلا بإنتاج أدب إسلامي صرف وهو الأدب المتميز. لأن المطلوب هو تصحيح أخطائه البشرية، لا أن نلهث ورائها، ونقلد أزياءها فحين تعيش الرواية صورة من صور الإسلام، فتعبر عنها وتنقلها بصدق أين يكون هناك إبداع صادق عابر إل النفس دون شعور.

إنه بهذا يحقق مكانة يصوغ فيها آدبا ناشئا من انضواء المجتمع كله، بل الأمة الإسلامية الممتدة في قارات العالم تحت لواء الإسلام، واحتكامها له، فالأدب الإسلامي أشمل وأوسع من أدب لغة أو عرق أو جنس، إنه أدب أمة وأدب منهج لا يعرف الإنسان مثيله في العالم منهج رباني بعيد عن عثرات البشر وتخبطات الناس وجهل المخلوقين.

"إنه أدب الفطرة السليمة فطرة الإنسان والحياة التي تخضع لخالقها وتؤوب إليه وتلتجئ وتتيقن أنها خلق من خلق اله وأنها عائدة إليه"⁽²⁾. وهو يطلق ويراد به الأدب ذو المنحنى الإسلامي في التصور والتصوير أو المذهبية الإسلامية في الأدب بيد أننا نجد الآراء تتعدد لدى الداعين للأدب الإسلامي، فهو يقوم على قدر كبير من التوسعة في المفهوم والمرتبة العالية من المكانة "هو الأدب الذي يلتقي مع تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، سواء صدر عن أديب مسلم أو غير مسلم، وسواء كان ذلك يلتقي مع الحدود الزمانية والمكانية لدين الإسلام أم يسبقها زمنا ويتخطاها مكانا إلى أدباء الحكمة الملتقية على تعاليم الإسلام في العصر الجاهلي مثل زهير بن أبي سلمى، وأدباء الدعوات

(1) محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، المرجع السابق، ص 69.

(2) المرجع نفسه، ص 91.

الإنسانية العامة من غير المسلمين المعاصرين مثل طاغور في دعوته المثالية إلى القيم الإنسانية النبيلة، وينسب هذا الاتجاه إلى بعض الرواد المنادين بالأدب الإسلامي ومن شايعهم من الداعين إليه، وتمثل حجتهم في ذلك أن الإسلام هو دين الفطرة الإنسانية عموماً، وليس دين الأمة التي عرفت بذلك منذ بعثة محمد ﷺ، فحسب، والأدب الإنساني يقوم الفطرة السوية ولا يخاصمها"⁽¹⁾.

"إنه تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة يترجم عن الحياة والإنسان ولكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة ومحرك للوجدان والفكر ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما"⁽²⁾.

والرواية لون من ألوان هذا الأدب، فهي تصور فكري وتعبير فني أدبي لا يقف عند حدود الاستعانة المباشرة أو غير المباشرة بمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وإنما نجد في التمييز الذي أراده الإسلام لأدبه وأدبائه في التعبير عن صدى القيم في النفس تعبيراً حيويًا منبعثاً من التصور الإسلامي.

فهي تتعدى ما يلوج في ظاهر النفس إلى ما يحول في داخله من فكر وإحساس وتصور وما يعرف فيه من إيجاب بمواقف إسلامية، وقد ذكر "سيد قطب" في كتابه "النقد الأدبي أصوله ومناهجه": "أن العمل الأدبي تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"⁽³⁾. ويعود الكاتب ويعرفه في مبحث "منهج الأدب" بأنه كسائر الفنون: "تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان ... هذه القيم تنبثق من تصور معين للحياة والارتباطات فيما بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض"⁽⁴⁾.

وبهذا يكون الروائي الإسلامي صاحب صفات في أدبه، ومدركاً في سلوكه، لأنه يتحرى الصدق في إبداعه ويلتزم بالتصور الإسلامي في أهدافه وآماله وأشواقه.

(1) إبراهيم عوضين، مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، مطبعة السعادة، مصر [د.ط.] سنة 1990، ص 90.

(2) نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 36.

(3) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، المرجع السابق، ص 8.

(4) المرجع نفسه، ص 8.

II- واقعية الرواية الإسلامية:

قد أنعم الله على الروائي المسلم بالإيمان الذي يعتبر فكراً وعمل الصالحات تعبير عنه، وذكر الله حساً وعقلاً وتصوراً تطبيق سلوكي، والانتصار للحق سلوك إيجابي، وكل ذلك ميز الرواية الإسلامية على أنها تصوير للشخصية الإسلامية في تكوينها الفكري ومنهجها السلوكي.

ويبدو أن القارئ المعاصر يجد في تذوقها ما يسعى إليه من ثقافة مركزة في الوقت ذاته ما ينشده من متعة روحية تخفف عن ذهنه أثقاله المتراكمة.

ولعل السؤال الهام الذي يطرح نفسه علينا الآن هو: من أين يستمد الروائي مادته؟ وكيف يوفق بين الصدق في إثبات وجود وعي حضاري وبين الفن؟ وبصيغة أوضح كيف يوفق بين الواقع الفني الخيالي للرواية والواقع الإسلامي الذي يريد أن يسهم في بناء حضارة وفق وعي صادق؟

وللإجابة عن هذا السؤال نجد أنفسنا مدفوعين لطرح سؤال آخر يمكن أن توصلنا إلى الإجابة عنه إلى إجابة السؤال الأول:

أيسبق الواقع الفكرة أم تسبق الفكرة الواقع؟

إنه جدال وجد نفسه مطروحا أمام مجموعات من المفكرين والنقاد والفلاسفة، وهم يبحثون عن أيهما أسبق إلى الوجود "فذهب أصحاب ما يسمونه بـ "الفلسفة الوهمية" إلى أن الإنسان هو الذي يوجد الواقع وأن فكر "الصفوة الممتازة" من البشر المقصود بها شعوب الدول الرأسمالية التي استطاعت بتميزها أن تملك رقاب الشعوب الأخرى"⁽¹⁾، ويبدو أن هذا الفكر هو الذي يوجد النظام ويبدع القوانين ويفرض الواقع ولهذا فلا مجال للبحث عن الواقع خارج حدود الفكر الإنساني، والإجابة عندهم هي أن الفكرة في الرواية هي التي تسبق الواقع بل هي التي توجده أصلاً وليس العكس.

(1) أحمد بسام ساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنار، السعودية، ط1، سنة 1985، ص 31.

وبمقابل هذا المذهب يقف أصحاب "الفلسفة الواقعية" منادين بأسبقية الواقع عن الفكرة، وينطلق النقاد من هذا المبدأ ليثبتوا ضرورة اعتماد الرواية على الواقع أولاً ليكون الفكر والخيال تابعين له فيها.

وهم في ذلك يؤكدون أن خيال الروائي لا يمكن أن يعمل في الأصل منفصلاً عن الواقع المحيط به مهما أُلح الروائي على الانفصال⁽¹⁾.

وأمام هذه الآراء المتضاربة والمذاهب الفلسفية المتناقضة نجد للأدب الإسلامي موقفاً يخالف الموقفين كليهما، فإذا كان للرواية أن تنطلق من الواقع وهو ما يؤكد الأدب الإسلامي فليس هو الواقع البشري المبتكر من قبل "صفوة ممتازة" أو "طبقة كادحة" أو الواقع المادي المحسوس القصير النظر وإنما هو "الواقع الأرضي الذي لا يفصل عنه الواقع السماوي بحقيقته العليا وروحانياته وإعجازه وقدرته، إنه الواقع الإسلامي الشامل لكل عناصر الواقع القائم واحتمالاته غير المنظورة أو المدركة"⁽²⁾.

وعلينا ألا نذكر المسلمة التي تعتبر الرواية "تعيش وتنطلق من واقع عيني تطوره حدود زمانية ومكانية تلعب دوراً فعالاً في تشكيل وبلورة إحساسه وأفكاره وتطلعاته، وغيرها من الأمور التي لا تلبث أن تطفو على السطح في شكل ممارسات أدبية واجتماعية"⁽³⁾.

ويظهر الواقع في الرواية الإسلامية واقعا روحيا، لأنه هو الذي كون لها التجربة الصادقة والتعبير الجميل، ومن جهة أخرى يجب الاعتراف بالصياغة الفنية التي تعتبر "الأداة المباشرة الوحيدة لنقل تلك المشاعر والصور التي تكونت في نفس الروائي وإيصالها إلى وجدان الآخرين من القراء"⁽⁴⁾. دون أن يكون استعمال هذا الفن بطريقة عشوائية، وذلك لأن الروائي يريد أن يوصل ما يشغل نفسه إلى الآخرين ليفهموه ويتأثروا بما تأثر به وانفعل.

(1) المرجع نفسه، ص 32.

(2) المرجع نفسه، ص 32.

(3) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، المرجع السابق، ص 41.

(4) من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 54.

فالواجب أن يكون إيصاله جيدا وأن يخاطبهم بالوسيلة التي يفهمونها أو على الأقل لا يعجزون على فهمها.

فتقصير الروائي في أي من تلك الجوانب سيعرض أدبه إلى السقوط ولا يدخله في باب الأدب الإسلامي ولا يلج به إلى حدود عالمه وهنا تتبين الحقائق التالية:

III- حقائق الرواية الإسلامية:

1- إن الرواية الإسلامية التي نعيها ويدعوا الداعون الناس إليها هي ذلك اللون من الأدب الذي يحمل عاطفة أو نزعة إسلامية، ويعبر ويدل على مفهوم إسلامي، أو يدعو إليه، وبهذا فالذي يميز الرواية الإسلامية عن غيرها: فن القول والتصور الجميل لأنها "الصورة التي يستضيء بها الأديب المسلم في صياغة أدبه صياغة فنية جمالية، وتوجيه فكره توجيهها إسلاميا تماما، وإدراك أبعاد الأثر الفني في النفوس بتحريك مكامن الخير فيها، ودرء ما فيها من غوائل الفجور، ونوازع الشرور، وفي استخدام الكلمة الأدبية سلاحا في المعركة دفاعا عن العقيدة والكرامة"⁽¹⁾، ومن هنا نجد أن الرواية لن تكون لها قيمة، ما لم يعبر عنها في صورة فنية مثيرة تنقلها إلى القلوب قبل العقول.

2- الرواية الإسلامية يرسى قواعدها الإسلام، ولا يرسبها هوى بشر ولا رغبة متاع، ولا نزوة طامع، فشتان بين أدب يقوم على قواعد ترسيبها العقيدة ويرسيها الوحي المنزل من عند الله تعالى وترسيبها النبوة والبلاغ والبيان، وبين أدب يخرج من تجارب محدودة وتصورات مكدودة لتضع قواعد من عندها تفرضها على الناس أنها حق ثم يأتي آخرون ينقضون هذا الذي زعم غيرهم أنه حق فيزعمون زعما جديدا وي طرحون وهما جديدا، ثم ينهض غيرهم ليزعم ما زعموا، وتمضي القافلة في جهود متضاربة متناقضة لا تكاد تمسك بينها بشعاع من نور. لكن الرواية الإسلامية تحاول وتسعى لأن "تبني قواعدها على عقيدة الإسلام والوحي المنزل. ومن هنا تصدر أولا من الإسلام: فمن القرآن

(1) يوسف العظم، الشعر والشعراء في الكتاب والسنة، دار الفرقان، عمان، ط1، سنة 1983، ص 52.

والسنة تنبثق قواعد الأدب الإسلامي، قم هي مهمة الموهبة المفتوحة، إنها مهمة الموهبة التي ترعاها العقيدة ويصوغها الإيمان، الموهبة التي أسلمت لرب العالمين، إنها مهمة أمة كذلك" (1).

ولأن الإسلام يوسع رقعة الحياة لتشمل ما بين السماوات والأرض وما بين الدنيا والآخرة وما بين الإنسان والكائنات الحية جميعها ... فالجمال هنا متسع أمام الروائي المبدع. إذ يشمل إبداعه الكون كله والوجود جميعه بكل ما يضرب من جنباته، شريطة أن "يتصور الأديب هذا الكون تصورا صحيحا وسويا لم يتفاعل معه حسب تصور الإسلام كذلك فيرى كل جزئية فيه تقول بلسان الحال أو المقال ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (2). ومن جهة أخرى تعبر عنه تعبيرا صححا يتلاءم مع ذلك التصور" (3).

وبهذا يسعى الروائي الإسلامي أن يعبر عن تصوراته التعبير اللائق بالإحساس الإسلامي أو بالإحساس غير المتصادم مع المفهوم الإسلامي "فتحقق الرواية روحا مبدعة منطلقة في آفاق الكون بلا أسر أو قيد إلا قيد النواميس الكونية والشريعة الإلهية التي تمنع من الخروج عن فطرة الإنسان إلى مترلقات الشذوذ والحيوانية والمادية" (4).

ومن هنا فقد تكون الرواية الإسلامية بهذا المفهوم وهذا التصور للكون والحياة والإنسان متجلية مبتكرة ليس عليها من حد أو قيد لا لشيء إلا لأنها حققت مكانتها الرفيعة والتزمت بخصائصها الإسلامية.

(1) عدنان علي رضا، الأدب الإسلامي، إنسانيته وعالميته، دار النحوي للنشر، الرياض، السعودية، [د.ط.]، [د.ت.]، ص 40-41.

(2) سورة طه، الآية 50.

(3) صالح آدن بيبلو، من قضايا الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 59.

(4) محمد المبارك، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الخير، بيروت، [د.ط.] [د.ت.]، ص 118.

IV- مقومات الرواية الإسلامية:

تعتمد الرواية الإسلامية في تكوينها وتناسقها وتميزها على مصادر أساسية ينهل منها الروائي فتغدو روايته إبداعا إسلاميا خالصا، وإنسانيا ساميا، وعالميا خالدا، وهذه المصادر هي⁽¹⁾:

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- سيرة الصحابة والصالحين.
- آداب اللغة العربية.
- الآداب العالمية.

يعد القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي والبلاغة العربية لأنه أعظم معجزة في الكون قد فاقت كل المعجزات فقد نال ما لم ينله كتاب في الدنيا من الحفظ والرعاية والتوثيق وعدم التحريف، وسيظل المصدر الأعظم دون منازع، قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾⁽²⁾.

والقرآن الكريم "هو البحر المحيط، ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها"⁽³⁾.

فكان من كرم الله تعالى على المسلمين أن يسر لهم هذا الكتاب الكريم، فجعل تلاوته سهلة محبوبة وجعل الاستماع إليه سهلا مرغوبا وجعل تطبيقه والالتزام به أمرا ميسورا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾⁽⁴⁾.

(1) أحمد عطية السعودي، شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، دراسة تأملية في الرؤى الفكرية والتقنيات الإبداعية، دار المأمون، الأردن، ط1، السنة 2010، ص 26.

(2) سورة الحجر، الآية 9.

(3) أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن ودرره، تحقيق لجنة إحصاء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت [د.ط] [د.ت]، ص 8.

(4) سورة القمر، الآية 17.

ومع مطلع العصر الحديث وانفجار الناس في بقاع العالم كان تيسيرا من الله عز وجل على عباده تسخير جميع الوسائل لنشر هذا المصدر الرباني، من أوراق، وأقراص، وأشرطة كما في شبكة المعلومات والإذاعات والتلفزة التي عملت على نشره في كل بقاع الأرض بلغات متعددة وتفسيرات لكل آية. والقرآن ثقيل كما وصفه خالقه عز وجل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾⁽¹⁾. "وهو ثقل معنوي في مهمته ورسالته، وتشريعاته وأحكامه وكلماته ومعانيه وفي صياغة شخصية المسلم فيجعله ثقيلًا في اهتماماته وآماله ونشاطاته وتصوراته وفي وظيفته، وفي حركته وسعيه، ثقيلًا في نفسه وبيته وعمله"⁽²⁾. والروائي المسلم يستمد من هذا المصدر كل المقومات التي تساعد في نجاح عمله الإبداعي.

ولعل من أهم المقومات التي يغرسها القرآن الكريم في شخصية الروائي المسلم ويأخذه بالعناية بها والمحافظة عليها هي⁽³⁾:

أولاً: التصور الصحيح:

وهو غاية الكتاب الذي أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويصبرهم بالحياة والكون، ويسمو بعقولهم، ويهذب نفوسهم، ويجعلهم هداة طائعين. ويبدو أن ذلك قد تجلّى في أمور أبرزها:

- معرفة الخالق والرضوخ لعظمته والإقرار بوحدانيتها.
- الإقرار برسالة محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والشفيع يوم القيامة.
- الإيمان بالله خالق الكون والحياة والموت، واليوم الآخر.
- الإيمان بأن الله خلق الكون وسخره للإنسان ليكون خليفة فيه.
- الإيمان بأن الناس سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى.

(1) سورة المزمل، الآية 5.

(2) صلاح الخالدي، هذا القرآن دار المنار، عمان، ط1، السنة 1993م.

(3) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، المرجع السابق، ص 30.

فهذا التصور هو الذي يحقق للروائي الهدف المنشود الذي يسعى إليه من خلال إبداعه وبحثه في فهم الواقع ويحسن قراءة المستقبل.

ثانيا: الإبداع والنبوغ:

كان من أعظم نعم الله على الإنسان التي لا تعد ولا تحصى نعمة البيان، وهي النعمة التي تفرد بها الإنسان عن باقي المخلوقات، حيث بما يتبع الروائي المسلم الرسول ﷺ في تبليغ الرسالة لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾⁽¹⁾. فالإبداع وسيلة الأديب في التعبير عن أدبه ودعوته مستخدما في ذلك الكلمة المؤثرة والهادية إلى السبيل القويم مقتديا بالرسول الكريم لقوله تعالى: ﴿ ... وَقُلْ هُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾⁽²⁾.

"وقد أكرم الله سبحانه الإنسان إذ خاطب فيه أسمى خصائصه، وهو عقله بالكتاب المبين"⁽³⁾.

ومن نعم الله أيضا أنه القرآن، أنزل بلغة العرب وعلى أساليبهم في الحقيقة والجاز ليكون مفهوما لديهم "وكان الصحابة أقدر الناس على فهم القرآن لأنه نزل بلغتهم، وشاهدوا الظروف التي نزل فيها القرآن"⁽⁴⁾.

فقد كان العرب قبل ظهور الإسلام يتباهى بعضهم بعضا بالفصاحة وحسن النظم والبلاغة، "فكان العرب قد بلغوا مبلغا عظيما من تهذيب اللغة ومن كمال الفطرة، ومن دقة الحس البياني فجاءهم القرآن أفصح كلام وأبلغه لفظا وأسلوبا معني، وتحداهم فلم تقم لهم قائمة بعد أن أعجزهم من جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم ومن جهة الكلام الذي هو يسد عملهم، بل تصدوا عنه وهم أهل الباسلة والبأس"⁽⁵⁾.

(1) سورة النحل، الآية 44.

(2) سورة النساء، الآية 63.

(3) حسن عيسى، فصول في الدعوة الإسلامية، دار الثقافة، قطر، ط1، السنة 1985م، ص 142.

(4) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، السنة 1933، ص 195.

(5) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ أداب العرب، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، السنة 1974، ص 166.

وكان من بين معجزات القرآن سحر بيانه الذي شرح الصدور للإسلام واستحوذ على القلوب.

ثالثا: التفرد الفني:

يسعى الإسلام بأهدافه النبيلة إلى تخلص الفن الجميل مما أصابه من الفحش واللغو حتى يصفوا ويكون سبيلا لمعالجة الأفتدة وإحياء الضمائر. لأنه يعمل لأن تكون للكلمة قدرها في تربية النفوس وتقويم الأخلاق، وإذا لم يقم على هذا الفن حارس من خلق أو دين كان قوة من قوى الشر المدمرة⁽¹⁾.

فللقرآن الفضل الأعظم في توجيه القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون وإلى خفايا النفس البشرية.

ومن أهم خصائص الرواية الإسلامية (الخصائص والرؤية).

أولاً: الالتزام العقدي والخلقي:

لعل أولى خصائص الرواية الإسلامية ه الالتزام، وكل ما سوى هذه الصفة منبثق منها متفرع عليها، فالالتزام من شيم الأدب الإسلامي، وهو يختلف عن ذلك الذي عرفته المذاهب الأوروبية خاصة "الواقعية الاشتراكية" و"الوجودية" لأم كليهما قد قصر في حق الالتزام وصوره من الزاوية التي ترضي مذهبه، "فالواقعية الاشتراكية" هو: "أول من استخدم هذا المصطلح "الالتزام" وتردده أن على الأديب أن يلتزم في عمله الأدبي خطأ معيناً فيسخره على [خدمة الجماهير وحل مشكلاتها] على الطريقة التي تريدها وترسمها الماركسية، فلا يكتب ولا ينتج فيما سواها"⁽²⁾.

أما الوجودية فهي تنادي بالالتزام الأديب بقضايا "الحرية" حسب المفهوم الوجودي فحسب "فجون بول سارتر كان ملتزماً ببناء على مكونات ذاتية ناشئة من تجربة الحرب التي عانت منها فرنسا والتي أثرت كذلك في وجدان الشعب الفرنسي، وما عاناه كذلك

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، [د.ط.] [د.ت.]، ص 196.

(2) من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيللو، المرجع السابق، ص 65.

"سارتر" بين الأسلاك الشائكة في الأسر مما كان يدفعه إلى التساؤل عن معنى الحرية الحقيقي⁽¹⁾.

وقد كان أساس الفلسفة الوجودية يكمن في أن الوجود سابق للماهية، فهي تصدر عن ذاتية الفرد مخالفة بذلك المادية الجدلية التي تنظر إلى الناس كأنهم أشياء، يقول نبيير هنري سيمون "إن كلمة وجودية التي يجب أن نطلقها من حيث معناها الأصلي على كل تفكير منهجي ينطلق من تحليل الوجود بحسب ما يتصوره الوجدان، تحولت فجأة سنة 1940م وما بعدها إلى الدلالة عن أعنف حركة أدبية تميزها العصر، وهي الحركة التي تترع إلى تصور الوجود وإلى الإحساس كعبث فاجع"⁽²⁾.

"فجون بول سارتر هو الذي أعطى أهمية كبرى في فلسفته وكتاباته من خلال الفلسفة الوجودية المبنية على أن الإنسان هو مصدر هذا الوجود ولا أهمية فيه لغير الذات الإنسانية الموجودة وأن الإنسان هو الذي يصنع وجوده بحريته واختياره لأن الإنسان مسؤول عن اختياره، ومن خلال هذا "فسر سارتر قضية الالتزام في الأدب والوظيفة الاجتماعية له والعلاقة المتبادلة بين القارئ والكاتب، فكلاهما يتعاون بحريته واختياره في سبيل إحداث التغيير المطلوب في المجتمع والتحويلات الضرورية لتقدمه وتطوره ونمو رسالة الكاتب، هو تغيير ما هو ضروري أن يتغير وعليه فهو ملتزم مسؤول أن يكون نصير الحق والخير فالأديب لا خيار له في أن يكون ملتزماً بمواقفه الواضحة في شؤون مجتمعه فهو في موقف سواء تكلم أو لم يتكلم لأن لكل من الكلام أو الصمت مضى وهذا موقف في حد ذاته"⁽³⁾.

ويبدو أن الالتزام في الأدب والفن على العموم مسألة قديمة، وقد أكد توفيق الحكيم هذه المسألة حين قال: "إن المجتمع البدائي كان ملزماً بالدفاع عن قبيلته ولم ينسلخ تفكيره عن تفكير الأديب إذا ظهرت فيه فكرة من الأفكار أو عقيدة من العقائد

(1) رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأ المعارف، مصر [د.ط] سنة 2000، ص 300.

(2) ترجمة نبيه صقر، تاريخ الأدب الفرنسي في القرن العشرين، عويدان، لبنان، [د.ط] [د.ت]، ص 364.

(3) عباس محجوب، الأدب الإسلامي قضاياها المفاهيمية، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، سنة 2006، ص 220.

ذات أثر في نفوس الناس"⁽¹⁾. كذلك فإنه يرى أن قصته الالتزام في العصر الحديث نجدها بين الشعوب التي تخضع لفكر اجتماعي معين تفرضه الدولة، ولعل الواقعية الاشتراكية هي التي تدين بهذه الفلسفة "فحينما وجدنا اليوم شعوبا تدين كلها بدين اجتماعي جديد في كنف سلطات الدولة القاهرة، ونجد الفكر فيها ملتزما بخدمة الدولة ونرى من النادر أن يتجه فيها مفكر أو أديب أو فنان إلى خدمة فكرة خاصة تعارض الذهن العام الذي اعتنقه الشعب والدولة"⁽²⁾.

فقد لا يكون الالتزام بدعا في كثير من الأداب العالمة قديما وحديثا إذ يعتقد البعض أن الالتزام هو عائق بالنسبة للتعبير الحر للأديب، هذا المفهوم قد وجد من يصححه وينوره، فالروائي نجيب الكيلاني من بين هؤلاء الذين وضعوا سبيل الالتزام حين قال "كل مذهب من مذاهب الفن والأدب يتحرك في إطار تصور معين، ويلتزم شكلا وموضوعا بقيم خاصة على أنه قيد على حرية الأديب ومناف للقيم الفنية والجمالية يلتزمون سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا واعترفوا به أم لم يعترفوا بقواعد ومبادئ. وهناك ما يمكن أن نسميه الالتزام الداخلي أو الذاتي وهو الوجه الآخر للصدق، فالتعبير عن النفس وما يعتمل فيها والفكر وما يتفاعل فيه، والخيال وما يضطرهم به، والروح وما ينبثق عنها، كلها أمور خاصة قد تميز أدبا عن آخر وتجعل من الإبداعات شكلا ومضمونا تجارب لها صفة الخصوصية، على الرغم من أنها تبدو في إطار النسق العام لهذا اللون الأدبي أو ذاك"⁽³⁾.

وقد بينى الالتزام في الرواية الإسلامية على أساس الاعتناق بالقيم الأساسية لهذا المجتمع، وبما أن المجتمع الإسلامي يقوم على العقيدة والأخلاق أولا فكان من اللازم أن يراعي الروائي هذه الحقيقة، وأن يضع نفسه في كل حين أنه أديب مسلم لأن "الكاتب

(1) توفيق الحكيم، فن الأدب، مكتبة الأدب، ص 309.

(2) المرجع نفسه، ص 310.

(3) الأدب الإسلامي المعاصر، المكتبة الإلكترونية.

الحقيقي هو ذلك الذي يمثل بفنه مثله العليا وينظر دائما إلى عالمه بالمقارنة مع مثله وقيمه ومبادئه" (1).

وهناك درجة أعلى شأنها هي أنه على الروائي المسلم أن يبرز هذه القيم العقيدية والخلقية السائدة في مجتمعه المسلم والمنبثقة من الإسلام، لأنها دعائم تدفع بأدبه إلى الفضيلة وتصرف عند الرذيلة "إنه يراد له ذلك فإننا نتوقع أن يفعله بأسلوب الأديب الفنان وبإيجاءاته لا بتقريرية العالم ولا بطريقة الواعظ أو بخطابية السياسي أو المصلح الاجتماعي" (2).

ومنه الالتزام في الرواية الإسلامية لا يقاس بالمقياس الذي وضعته المذاهب المادية الأخرى، بل لابد وأن ينبع من العقيدة أولا ومن شرع الله عموما.

لكن المقصود بالالتزام عادة يكون مرتبطا بتسمية "الالتزام الخارجي" الذي يتشكل في جميع القيود والنظم التي يضعها المجتمع من حول الإبداع والمبدع وقد يوجد هذا الالتزام لتسيير الحياة وربط العلاقات بالكيفية التي يراها المجتمع صالحة مفيدة، وهي إما أن تكون أمورا قانونية أو اجتماعية أو أخلاقية أو اقتصادية وتثير ما يثور حولها الجدل حين يرى البعض أنها كبت للحريات وتقصير في الحقوق أو جمود في مجال تطور إبداعات تحبس في أنفاسها. وهي على النقيض مما يتصور واضعوها.

وقد نرى فريقا آخر يحاول التملص على هذه القوانين بأسلوبه المبتكر، وهو الموقف السائد، وفي بعض الأحيان يصبح الروائي عبارة عن بوق لدكتاتورية ما أو سياسة ما أو لحزب ما، فيكون ترجمان فلسفتها، وهنا تتضاءل حرئته ويصبح الالتزام ضربا من الإلزام.

قد يصعب الحديث عن الالتزام في الأدب الإسلامي، دون الإشارة إلى الآية الكريمة لقوله تعالى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ

(1) نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1981، ص 53.

(2) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، المرجع السابق، ص 122.

يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴿١﴾.

فالإسلام يرفض القول دون الفعل والعمل، ويرفض التوجهات المذبذبة ويطلب الأهداف الواضحة والقيم المثمرة.

وعليه فالالتزام بمعناه الإسلامي هو الطاعة، والطاعة الحقيقية قناعة إيمانية وفرح في قلب المؤمن وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة، وكل ما يتعلق بها والعمل في الالتزام الإسلامي يبدأ بالنية الصادقة ويشرع في ممارستها على الواقع وفي الحياة الإسلامية، بما فيها من أحكام وقوانين، ومرجع هذا كما سلف الذكر إنما هو كتاب الله وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم "فليس الكاتب إنساناً منظوياً على نفسه في عالم لا قيمة فيه سوى مصيره الفردي، ولكنه يؤلف وحدة لا تتجزأ مع العالم الذي يعيش فيه، وعمله الأدبي ذو هدف في ذلك العالم الذي يحيى فيه لأنه مرآة لفترة زمنية يبين فيها وعي الكاتب بما يتحقق به وجود هذا الوعي، للوجود الحق المعتمد به عندهم وهذا الوجود لا يتحقق بمجرد الكشف عن الموقف ولكن لابد مع ذلك من الالتزام الكاتب في صراع يستجيب فيه لما يوجهه عصره إليه من مسائل هي مثار القلق في العصر ومبعث الألم والأمل فيه، فالعمل الأدبي الصحيح وعي بعالم محدد المعالم في فترة زمنية تاريخية معينة يشف عنها وعي الكاتب بما يخلقه ويصوره" (2).

والنفس الإنسانية هي المسرح الجاري لجهاد دائم وصراع مستمر حول قضية الالتزام.

فهل هذا الالتزام داخلي أم خارجي؟

(1) سورة الشعراء، الآية 224-225-226-227.

(2) غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة مصر، القاهرة، [د.ط.] [د.ت.]، ص 224-225.

لعلّ الرواية الإسلامية تجمع الكل، وذلك في وحدة التآلف والصفاء والمحبة، فما في نفس المؤمن أو قلبه ينسكب حبا وعدلا وهداية صادقة لنعم الله وإبداعه وحكمته ... والالتزام ليس نقيض الحرية بمعناها الأصيل، حيث يختلف مفهوم الحرية من فلسفة إلى أخرى، فالحرية في الدول الشيوعية ترتبط بلقمة العيش فلا مجال لرأي أو فكر يخرج عن نطاق الدولة، والحرية في أوروبا الغربية وأمريكا وغيرها من الدول التي اعتنقت النظام الرأسمالي، مفهوما يبغي في حركة رأس المال وفي التعبير الفردي مهما اختلف بالقيم أو بالطبيعة الإنسانية السوية، ومع ذلك يبقى الإنسان مقهورا تحت وطأة الحياة الآلية والتمزق الاجتماعي والانحلال الأخلاقي ولهذا فهو يلجأ إلى الانتحار والتمرد ... أمل الالتزام الإسلامي فهناك ضوابط وقواعد لم يخترعها فرد ولم ينص بها حاكم أو مفكر أو مدرسة أو مذهب.

وهناك درجة من الالتزام ترقية هي "أنه على الأديب المسلم أن يبرز هذه القيم العقدية والخلقية السائدة في مجتمعه المؤمن والمنبثقة من الإسلام فيحجب الإيمان ويدعو إلى صحة المعتقد، ووجوب سريان هذه القيم في شرايين الحياة ويعمل على ترسيخها وتثبيت دعائمها. والإشادة بها في أدبه وعمله الفني، وأن يتحاشى زعزعتها وأن ينفر كذلك ويغض فيما هو ضدها ومناقض لها"⁽¹⁾.

إن تلك الضوابط والموازن من صنع الخالق جل وعلا، وهي أحكام ليست مجال تحيز أو نزوات، روعيت فيها طبيعة الإنسان وإمكاناته وقدراته النفسية والعقلية والبدنية، أحكام لم تنبع من موقف آني سرعان ما يزول أو بإنسان خاضع لسنة الموت والحياة أو ارتبطت بقهر الإنسان وإهدار كرامته وإنسانية هذه الضوابط والأحكام هي من وضع الخالق القادر العادل الذي: ﴿يَعْلَمُ خَائِبَتَهُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾⁽²⁾.

وهي في جملتها وحي ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾⁽³⁾.

(1) من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 66.

(2) سورة غافر، الآية 19.

(3) سورة النجم، الآية 4.

والمسلم خاضع لحساب الدنيا وفق الحدود الشرعية، وخاضع أيضا لحساب الآخرة عند من لا تخفى عليه خافية لا في الأرض ولا في السماء. وبهذا تكون حرية المسلم حق، حق القوي والضعيف والحاكم والمحكوم والغني والفقير والمالك والمملوك، شريطة إعطاء كل ذي حق حقه ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (1).

وقد نجد الاحتياجات والطموحات الإنسانية مباحة في ظل الشريعة، وطالما أنها لم تهدر حقوق الله والعباد، وبهذا يكون الالتزام في فكر المؤمن وقلبه ليس نقيضا للحرية. وهو في الوقت ذاته ليس جمودا ولا تحجرا، وذلك لأنه بالثوابت والأصول التي لا تتغير أبد الدهر، فالتوحيد عقيدة مستقرة لا تغيير فيها والشورى أصل من أصول الحكم، والعدل عماده، والصدق أمانة والكذب خيانة. وهكذا تبقى القيم الخالدة ما بقي الدهر، ويبقى الالتزام محافظا عليها، فتعم الحرية وتكون هذه حقيقة عندما يتحرر الإنسان من قيود الخوف وشهوة المال والجسد وعندما ينطلق من سجن المادة وبطش السلطة وأطماع الحياة، وعندما ينتصر عن الأنانية وعلى الشيطان بصفة عامة فتلك هي الحرية.

والالتزام في نطاق الحرية الإسلامية، لا يضع قيودا على فكر ولا يعطل مسيرة أي جهد علمي أو إبداعي، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كي تؤدي دورها. وتحقق ذاتها. "إن حرية الأديب تدفعه إلى أن يرتفع إلى مستوى التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية، وهي تحديات تشكل خطورة على وجودها المادي والحضاري وتدفعه إلى العمل إلى أن

(1) سورة التوبة، الآية 71.

تكون الأمة قادرة على تأصيل فقيمتها واستعادة قدرتها على العطاء والبذل ودفع عجلة الحضارة والإسهام فيها"⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق يأخذ الروائي دوره بالصورة الصحيحة ليوصل الرسالة الصحيحة فيقوم عليه مجتمع خالد متناغم ينطبق على قول الرسول ﷺ: "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالمرض والحمى".

ومن هنا يكون الالتزام الصحيح انبثاق تلقائي من قلب المؤمن وفكره ونفسه، فالالتزام فن وفكر وسلوك وعمل، ومن هذا المنطلق يصبح الأدب رسالة شامخة وعطاء متجدد يحقق المتعة والفائدة معا.

وقد نجد الالتزام في الرواية الإسلامية مختلفا تماما عما هو الروايات الأخرى ذلك لأنه يستمد مقوماته من القرآن والسنة، ومن السوابق التاريخية لجيل الصحابة والرواد... إذ يتيح للفرد مدى واسعا سعة الإسلام للتعبير عن الذات. فالروائي المسلم لا ينحصر في قالب محدود فله أن يتحدث عن جمال الكون والطبيعة حتى وإن كانت طبيعة روائية درامية، وعن جمال المشاعر والقيم، بل له أن يقدم الحياة كلها من خلال المعايير الجمالية سواء بالسلب أو بالإيجاب.

فهو حين يتعرض للاختلالات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو حتى النفسية والخلقية، يعرضها على أنها قبح ينافي حقيقة الجمال الذي ينبغي أن تكون راسخة في حياة البشر لأنها راسخة في بنية الكون كله والحياة.

إن الأديب هو واحد من المدعوين لممارسة المهمة الخطيرة، بفنه القادر على التأثير والتحسين بل إنه مدعو إلى أكثر من هذا إلى دعوة المجتمعات الإسلامية لاستعادة ممارستها الأصلية، وقيمها المفقودة وتكاملها الضائع، وتقاليدها الطيبة، وإحساسها المتوحد، وصبغتها الإيمانية التي أهدتها رياح التشريق والتغريب"⁽²⁾.

(1) الأدب الإسلامي، قضايا المفاهيمية والنقدية، عباس محجوب، المرجع السابق، ص 25.

(2) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، المرجع السابق، ص 111.

وبهذا يكون الالتزام الإسلامي على قدر كبير من الحرية والمرونة والعفوية والانفتاح مما يتيح للروائي أن يعبر عن خلجاته في إطار التزامه بالفكرة الإسلامية.

ثانياً: التصور الإسلامي:

لعل من الخصائص أيضاً التي تحاول الرواية الإسلامية إبرازها والتحلي بها هي التصور الإسلامي اعتماداً على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾⁽¹⁾. فالشريعة الإسلامية هي التي تقدم الرؤية الإسلامية لكل ما يحتاج إليه المسلم من قضايا وتفكير وسلوك ومعاملات وفي كل المفهومات التي يكونها عن أي شيء فهي الشريعة التي تقدم التفسيرات اللازمة للقضايا الكونية والفنية وتقدم الحكم في القضايا بمختلف مجالاتها.

وقد تميز الأدب الإسلامي عما سواه بأنه أدب يصدر عن تصورات إسلامية ويتردد في كتاباتهم مصطلح التصور.

فما التصور وما علاقته بالأدب؟

أ- مفهوم التصور:

التصور لغة: استحضر صورة الشيء فقد جاء الصحاح: "تصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي"⁽²⁾.

ويبدو أن المعنى الاصطلاحي يستفيد من المعنى اللغوي، ويبيّن بما يستفيد دلالة أوسع، فقد جاء في حديث "محمد قطب" عن "الفن الإسلامي أنه: "التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام لكون والحياة والإنسان"⁽³⁾.

وعلى هذا نستنتج أن التصور اصطلاحاً: هو وجهة النظر التي يعتمدها الفرد أو الجماعة حول موضوع وقضية ما.

(1) سورة آل عمران، الآية 19.

(2) قضايا أدبية رؤية إسلامية، صالح آدم بيلو، ص 29.

(3) محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6، سنة 1983، ص 6.

فعندما نقول أن التصور الغربي لوظيفة المال، يقوم على النظرية الرأسمالية نقصد أن وجهة النظر الغربية في قضية المال مبنية على المبادئ التي تقرها النظرية الرأسمالية، وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد أن التصور ضروري في حياة المجتمع وقيامه، وأن لكل فرد تصورات خاصة عن الوجود والدين ومختلف القضايا ولكل مجتمع تصورات عامة تشترك فيها تصورات أغلبية الأفراد⁽¹⁾.

فإذا كان معظم أفراد مجتمع ما متخذين القواعد الإسلامية منهجاً لهم في حياتهم بمختلف ميادينها، قلنا إن تصور هذا المجتمع إسلامي، وقد يشمل عالم التصورات الفرد كله من أكبر قضاياها إلى أصغرها، ومن ثمة تتطابق تصوراته مع المبادئ والموروث الثقافي السائد، كما أنها قد تنفق في قضايا وتختلف في أخرى.

فيرضى الفرد عن أشياء ويسخط عن أشياء كما هو الحال في حياتنا وقوانينها فمن البديهي أن الأدب الإسلامي هو لسان حال الإسلام والمسلمين، ونظرته إلى الإنسان والكون والمخلوقات والأحداث نظرة نابعة من المسلمات الدينية وعقيدة التوحيد، والمفهوم الصحيح للدنيا والآخرة والرسالة التي تم توصيفها للمسلم وفق ضوابط معينة، أو بمعنى آخر أن ينظر الأديب من خلال تصور إسلامي واضح⁽²⁾.

ويعتبر الروائي المسلم قائداً متميزاً بثقافته تجعل منه فرداً بارزاً يعمل على تغيير التصورات وفرضها على الآخرين بالوسائل المقنعة في مقدمتها الكلمة البليغة المؤثرة والصادقة، كما هو الحال بالنسبة للداعية أو المرشد أو المصلح الاجتماعي أو المبدع الموهوب...

ب- مصدر التصور:

أما مصدر استلهام هذه التصورات فيكون من مصادرة عدة يكون صاحبها على اطلاع عميق بها، حيث تأتي في المقدمة العقيدة والتجاري الشخصية وتجارب الآخرين، وكذا الثقافات المختلفة. "فالعقيدة المصدر الأول للتصور غالباً سواء أكانت عقيدة

(1) قضايا أدبية رؤية إسلامية صالح آدم بيبلو، ص 29.

(2) نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، سنة 1985، ص 41.

سماوية أم من إنتاج عقل بشري، ويرتبط تأثيرها في الأفراد بمدى التزامهم بها وبتقفيهم بمبادئها من جهة وبثرائها وقدرتها على تقديم تفسيرات قوية لقضايا الإنسان والكون والحياة من جهة أخرى"⁽¹⁾.

أما التجارب الشخصية المصورة للأحداث التي يعبر بها الفرد ليصل إلى إقناعات خاصة به، فقد يكون للفرد تصورا خاصا عن المرأة وعن بيت الزوجية لكنه إذا ما فشل في زواجه فإنه حتما سيفقد ذلك التصور ويبني له وفق النتائج المترتبة وقد تكون تلك التجارب لا يمر بها الفرد شخصا ولكنه يتعرف عليها انطلاقا من الآخرين فتؤثر فيه، وبالتالي يبني تصورات عبر نتائجها.

ومن جهة أخرى فقد تبني التصورات انطلاقا من الخبرات الثقافية الأخرى والتي تساهم في تغيير وتكوين تصورات جديدة قد تؤثر فيها معايير ثقافية محلية أو أجنبية، ويكون التأثير كلما كان الشخص منحرفا عن عقيدته أو ارتباطه بها يكون ضعيفا ذلك لأن الإنسان دائما يبحث عن تفسيرات لقضايا الكون والحياة وتلك الثقافات الأجنبية، غالبا ما توهمه بأنها صاحبة تلك التفسيرات. ولهذا يفرض التصور الإسلامي للأدب على مجموعة قواعد أساسية هي⁽²⁾:

- 1- تأكيد الانتماء الإسلامي والالتزام الإسلامي ومسؤولية العلم وأمانة الدعوة والتبليغ.
- 2- إعادة الثقة إلى النفس الإنسانية في التوبة إلى الله ونيل مغفرته والمشاركة في الخيرات والعمل الصالح.
- 3- الارتقاء بالإنسان وتجاوز حالات ضعفه وعدم التركيز على نقائصه أو تزيينها.
- 4- التصدي للحركات والمناهج الأدبية المنحرفة وإبراز مفايدها ومخاطرها.
- 5- توجيه المجتمع إلى الاستعلاء على الفاحشة والإباحية والعودة إلى منابع الأصالة والقيم الإسلامية العليا.

(1) قضايا أدبية، رؤية إسلامية، صلاح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 30.

(2) أحمد عطية السعودي، شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، دراسات تأصيلية في الرؤى الفكرية والتقنيات الإبداعية، دار المأمون للنشر الأردن، [د.ط] السنة 2010، ص 20.

وبهذا تكون الحاجة إلى الأدب الذي يحمل في تصوره هذه المبادئ هي حاجة ملحة ذات مسوغات متعددة، لما للأدب من تأثير بالغ في توجيه الفكر والعواطف، ونشر الآراء وحشد الاتباع "فالعالم اليوم يحكمه القلم وتحكمه الحكمة، والأدب سلاح يستعمله أعداء الإسلام في إفساد الأجيال، وإشاعة الانحلال والأدب المنحل يستهدف عقيدة الأمة وأخلاقها وتمامها ووحدها.

وينأى بها عن أن تكون كما أراد الله خير أمة أخرجت للناس" (1).

ج- أهمية التصور:

ومن ذلك فإن للتصور أهمية كبيرة في حياة الفرد باعتباره "مصدر السلوك غالباً، والرافع الأول للمواقف التي يتخذها، وللتوضيح يمكننا أن نقارن بين مسلم ملتزم بإسلامه وآخر غير ملتزم، فالأول يستمد تصوراتهِ عن المرأة نظرة الإسلام إليها، ويحكم هذا التصور ما استطاع في اختيار شريكه حياته، وفي طريقة معاملته لها، وفي مظهرها خارج المنزل وفي نوعية العمل الذي يمكن أن تقوم به، فيحرص أن يتوفر فيها شرط التدين، ويعاملها بما أمر الله به، وهكذا يمكن أن نضيف هذا المثال على جوانب الحياة كلها" (2).

وأعتقد أن هذا ما ينطبق على الرواية إذا نجد أن للتصور أهمية كبيرة فهو الذي يحدد نظرة الروائي نحو القضايا المتعددة، ويوجه موقفه إزاء الموضوعات التي يريد معالجتها وبالوسيلة التي توصله إلى الغاية التي يكتب لأجلها.

فباعتبار التصور قضية فكرية تتصل بالمفاهيم والمبادئ المعقدة، وأن مادة الرواية الفكر والعاطفة والشعور، فالفائدة كل الفائدة هي أن الرواية أثبتت قدرتها الفائقة على تمثل المبادئ والتعامل مع القضايا وحمل التصورات في الأمور الكبيرة فتعرض من خلال مواقف يعلن فيها صاحبها عن وجهة نظره صراحة أو بالإشارة.

إنها تستوعب في أحداثها المتوالية قضايا كثيرة تتصل بالتصور الإسلامي، وهذه القضايا من خلالها تحكم على المؤلف الذي يريد إثباتها عن طريق تصوراتهِ.

(1) مجلة الأدب الإسلامي، ع1، سنة 1414هـ / 1993م، "دور الأدب"، عبد القدوس أو صالح، ص 72.

(2) قضايا أدبية، رؤية إسلامية، صلاح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 30.

كما أن الصراع بين الشخصيات ينتهي عادة إلى تصورات مختلفة، يدركها القارئ في المبادئ والأفكار، ومن خلال إبراز السلوك والمواقف والحوار والإيجاعات وينتهي كل هذا بالقول بأن التصور هو: "المادة التي تنتشر في ثنايا العمل الأدبي وتؤثر بنيته وغايته"⁽¹⁾.

فمن خلال التصور يكون للروائي صفات إسلامية في أدبه ومنهجها قويم في سلوكه "فهو حينما يتحرى الصدق في أدبه ويلتزم بالتصور الإسلامي في أهدافه وأحلامه وأشواقه فإنه لا يجانب السلوك الإسلامي في معاشته، فالإيمان فكر، وعمل الصالحات تعبير عنه، وذكر الله حسا وعقلا وتصورا تطبيق سلوكي، فالرواية الإسلامية لون من أدب الشخصية الإسلامية في تكوينها الشخصي ومنهجها السلوكي"⁽²⁾.

ويبدو أن هذه الشخصية في دراستها لقضايا الكون والحياة من خلال التصور الإسلامي تكون قد أدركت قيمة الأشياء وكيفية التعامل معها.

وبقدر ما يخلط تصوراتها بتصورات المناهج والعقائد الأخرى تكون مواقفها مهتزة وقلقة، فلا مجال للخلط بين الإسلام وغيره، وهذا لا يعني رفض العقائد والمذاهب الأخرى وإنما المراد هو عدم الوقوف في وجه أية تجزئة للإسلام إسنادا لقوله تعالى:

﴿... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

وقد نجد في التصور الإسلامي في حد ذاته خصائص ينفرد بها عن باقي التصورات العقائدية، وتتجلى بها الألوان الأدبية الإسلامية فتكون بذلك متميزة ومتوازية قد عرضها "سيد قطب" حيث أجملها كالآتي⁽⁴⁾:

(1) قضايا أدبية، رؤية إسلامية، صلاح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 30.

(2) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، مصطفى عليان، المرجع السابق، ص 26.

(3) سورة البقرة، الآية 85.

(4) سيد قطب، خصائص الفن الإسلامي، مكتبة عيسى الحلي، القاهرة، [د.ط.]، سنة 1992، ص 38.

1- الربانية، فهو تصور رباني جاء من عند الله عز وجل، بكل خصائصه ومقوماته فالله الذي خلق كل شيء، وضح في دينه الذي ارتضاه للعالمين حقائق الأشياء ومقوماتها في هذا التصور، فهو الذي "ينهل منه الأديب المسلم روائع الأدب القرآني والمعين النبوي والقيم الإسلامية السامية والتراث العريق والإبداع الممتد عبر القرون والأجيال"⁽¹⁾.

ويكفي أن يقوم الأدب على منهج رباني يكفل له النجاح والحياة السوية.

2- الانسجام: فلا يلحقه التغيير أو البطلان إنما يتطور الأدب في إطاره ويرتقي في إدراكه والاستجابة له "فقد جاء الإسلام عقيدة تحدث التوازن والتناسق والانسجام بين الإنسان والكون، والإنسان يحقق حريته باختياره من خلال انسجامه مع الكون وابتعاده عن الخلل والتضارب، فالعالم بما يحتوي من مخلوقات مشاهدة وغائية يسير في حركة دائمة موزونة إلى الله سبحانه وتعالى، والإنسان المسلم مطالب بتناسق حركته وسعيه مع هذه المخلوقات جهادا وثورة ومغالبة للباطل والطواغيت حتى لا يظلم نفسه ويشذ عن المسيرة الكونية المتناسقة والمتوافقة مع إيقاع الحياة وأنغام الوجود"⁽²⁾.

وكما أن نواميس الكون تسير وفق انسجام فكذلك تسعى الرواية إلى اتخاذ هذه

النواتميس النموذج الأمثل في الانسجام والتناسق.

3- الشمول: فشمولية التصور الإسلامي لجوانب الحياة كلها تجعل قضاياها كثيرة وتتيح له فرصا لا تحد للظهور في الأعمال الأدبية.

"فإذا استشعر الأديب هذا الكون بجميع أشيائه بإحساس المسلم، ثم عبر عنه التعبير اللائق بالإحساس الإسلامي، أو بالإحساس غير المتصادم وغير المتناقض مع المفهوم الإسلامي، فلا عليه بعدئذ، وليفعل بأية ما يشاء، إن له مطلق الحرية ليحد من انطلاقاته أحد ولا يحجر على رفرقاته حاجزا"⁽³⁾.

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، ص 102.

(2) عباس محجوب، الأدب الإسلامي، قضاياها النقدية والمفاهيمية، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، سنة 2006، ص 32.

(3) من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 59.

وعلى ذلك ففي مقدور الروائي الإسلامي أن يتحدث ويبدع في مجالات الكون كله، يمكنه أن يتحدث عن الطبيعة وما تحويه من أرض وسماء، وأن يتصور هذه الطبيعة من ورائها يد الله وقدرته تديرها وتدبرها، كما يمكنه أن يتحدث عن المخلوقات باختلاف أنواعها، وصلتها بفاطرها وباريها.

إنه تصور يشمل جميع قضايا الحياة والإنسان والكون وكل ما تحتاج إليه البشرية في كل زمان ومكان، وهذا ما طبع على الأدب الإسلامي والرواية منه صفة العالمة وميزه عن باقي الأداب.

4- التوازن: فهو تصور متوازن في مقوماته وإيجاءاته، إنه يصور العدالة الإلهية في حقيقة الأشياء وذلك بإقامة التوازن في نظرتة إلى جميع العلاقات بين الله والعباد وبين العباد أنفسهم وبين العباد وبقية المخلوقات.

إذ يستثمر الأديب المسلم موهبته في التعبير عن كل مجالات الحياة من خلال نفسه المؤمنة المتفتحة بالإيمان "فيتحدث عن الطبيعة فيراها خليفة حية متعاطفة ذات روح تسبح وتخضع، ويتحدث عن الخلائق الحية من حيوان وطيور ونبات فيحس نحوها بالتعاطف والمودة ووشائج القربى، ويتحدث عن الإنسان فيرى فيه خليفة الله في الأرض ويصوره في كل أحواله، في القوة والضعف، والكره والفرح والألم وفي صراعه مع الشيطان"⁽¹⁾.

ويطرق كافة الموضوعات في مجال واسع ممتد وبعد إنساني كبير، وامتداد كوني رحب بحرية وسماحة وقوة وتوازن دون تردد أو حيرة أو وجل أو هبوط، سائر في درب الحياة عزيزا قويا على صراط مستقيم"⁽²⁾.

وقد تجسد هذا التوازن في سير الأنبياء والرسل والصحابة، أيضا تمثل لجانب من جوانب الرسول صلى الله عليه وسلم الإنسانية باعتباره بشرا عاديا قبل البعثة ونبيًا مرسلًا بعدها.

(1) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، المرجع السابق، ص 108.

(2) الأدب الإسلامي، إنسانيته وعالميته، المرجع السابق، ص 43-74.

5- الإيجابية: تميز بالإيجابية لأنه لا ينكر الفعاليات الإنسانية ولا يخرجها عن مسارها الذي حددها الشرع، فإيجابيته تكمن في أنه لا عبث فيه ولا لهو ولا تضييع للوقت والجهد بما لا ينفع ولا يجدي "لأن غاية الأديب المسلم في أن يرسخ الإيمان في الصدور ويوصل القيم الفاضلة في النفوس ويفجر ما يكمن في الذات الإنسانية من طاقات الخير والصلاح ويستشعر الأديب المسلم بعدها أنه مسؤول ومحاسب في كل كلمة ينطقها أو يكتبها. فهو مذهب إيجابي متجدد يدفع الأديب المسلم إلى الاستقامة والإيجابية والتأثير.

ولعل من مظاهر ذلك:

- إثارة التفكير السامي.
- تحريك المشاعر النبيلة وإيقاظ الروح الإسلامية.
- تنمية الحياة وترقيتها وتغيير الواقع وتحسينه.
- تنمية الأساليب والأدوات بالممارسة الإيمانية⁽¹⁾.

إذ بفضل هذا التصور يستطيع الأديب أن يرتقي بفنه دوماً ودوماً تعطيل سلبه لأنه يتعامل مع حقائق موضوعية ذات الوجود الحقيقي لا مع تصورات عقلية مجردة ومتناقضة ولا مع مثاليات وهمية لا مقابل لها في عالم الواقع.

6- التوحيد: فهو ينطلق من توحيد الإله وتحكيمه وحده في كل صغيرة وكبيرة وليس فيه تحريف ولا شيء من التشويه الذي أصاب الديانات الأخرى.

فوضوحه وعفته تجعله خال من الغموض والإبهام، مما يجعل مقوماته صريحة بعيدة عن التعقيد لأن "الأديب المسلم اكتسب هذه الصفة من أنه إسلامي في تفكيره ومشاعره ونظرته إلى الحياة والكون، وأنه معتر بدينه وانتمائه لعقيدته وارتباطه بموطنه، كما أنه اكتسبها من إيمانه بالله وبقيم الإسلام ومثله، ومبادئه وتعاليمه"⁽²⁾.

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، المرجع السابق، ص 104.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، المرجع السابق، ص 7.

وقد نجد خاصة تمز الرواية الإسلامية هي تصور القدر، حيث ترتبط نتائج الأحداث والوقائع التي تواجهها أو تواجه شخصياتها إلى الله راجية العناية والعون فيما تريده.

د- القدر في التصور الإسلامي:

القدر في التصور الإسلامي هو إرادة الله المسيطرة على الكون والحياة والإنسان في جميع التفاصيل والدقائق، وينتج عن ذلك نتائج كثيرة مهمة أبرزها⁽¹⁾:

1- أنه لا شيء في الوجود يحدث مصادفة أو جزافا بلا غاية، فكل شيء مخلوق وكل مخلوق مسير لما خلق له، ولا عبثة في الكون والحياة.

2- الله هو الذي يدبر كل أمر في الحياة ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾⁽²⁾.

هو الحكيم الخبير، اللطيف، العادل، وليس قدره هيمنة ظالمة ولا سلطة غشومة.

3- لا يوجد أي شيء من أشكال الصراع أو الخصومة بين الإنسان والقدر، فالقدر إرادة الخالق والإنسان هو المخلوق، وأي افتراض لهذا الصراع أو تلك الخصومة يخل بحقيقة كل منهما.

4- الأديب المسلم مستسلم للقدر عن اقتناع واطمئنان إلى عدالة وحكمة ورحمة إلهية والاستسلام للقدر لا يعني التوكل وتعطيل الفعلية، بل الإنسان فيه يكون إيجابيا ويتفاعل مع الآخرين أفرادا ومجتما ودولة، ويقف على مستوى عال من الإرادة والذاتية والتصرف مع هذه القوى، وقد يدخل معها في صراعات طويلة ومريرة.

ومن هذا المنظور فالمسلم يرى الإسلام كل الحياة، في النوم واليقظة، في شؤونه الخاصة ونشاطاته العامة ف الفرد والمجتمع والأمة لأن "الأدب في نظر المسلم نشاط

(1) قضايا أدبية، رؤية إسلامية، صالح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 39.

(2) سورة يس الآية 83.

إسلامي وإسهام من مسلم مبدع موهوب يستطيع أن يستخدم الكلمة والعبارة بطريقة مؤثرة، لكنه بهذا لا يخرج عن الإسلام ولا عن القدر"⁽¹⁾.

5- حكمة القدر واضحة حيناً ومغيبية أحياناً أخرى، ولا يمكن للأديب الروائي أن يقف عليها دائماً في المواقف الجزئية، لماذا فشل هنا ونجح هناك؟ - ولماذا عاش هذا ومات الآخر؟ - فحكمة القدر تشمل حركة الحياة كلها، وما لا تدركه الآن قد ندركه بعد مدة، بل إن الحياة ذاتها مرحلة وليست النهاية، وعمر الإنسان قصير وعمله محدود لا يتجاوزان الغيب "فالروائي المسلم يؤمن دائماً بوجود حكمة وراء الأحداث، فمن وراء علم البشر القاصر علم الله المحيط، ومن وراء الحادث الذي يتوهم المرء بأنه ظالم، لأنه متقطع عن صورته المتكاملة يتحقق عدل وخير كثيران"⁽²⁾.

وبهذا المفهوم للقدر تخصص الرواية الإسلامية أحداثها في أسلوب مباشر للفكرة مبني على أسس إسلامية ضمن عواطف وانفعالات تزيد الرواية قوة في التأثير والإثارة. "لأن قارئ الأدب يستجيب بسرعة للإثارة العاطفية، وإذا أتقن الأديب صياغة عمله الأدبي وبرع في شحنه بالعواطف القوية فإنه يكسب في الغالب تعاطف القارئ في إعجابه على أقل تقدير حتى ولو كان يخالفه في بعض تصوراته..."⁽³⁾.

وحين يعيش الروائي إحساسه الروحي بكل جوارحه، ويملا عليه هذا الإحساس كيانه ويفعم وجدانه تتحد عنده بمعادها النفسي، الأصل بالصورة، الواقع بالخيال ويبدو الطرفان متعانقين متداخلين، مما يجعل الروائي ينظر إلى الكون بعينين ثابتين: "فيرى الجانب المادي ويستشعر الجانب الروحي ثم لا يفصل بين الجانبين بل يتوحدان في داخله عند محرق واحد فيكون بهذا أقرب أنواع الواقع إلى الواقع.

إن الواقع الإسلام يرتفع هنا إلى درجة الحقيقة"⁽⁴⁾. ويعرضها لصور الحياة من خلال التصور الإسلامي وعند ذلك ينمو الأدب الإسلامي ويمضي ليكون أدب الإنسان

(1) الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، أحمد حسن بريغش، المرجع السابق، ص 68.

(2) قضايا أدبية، رؤية إسلامية، صالح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 40.

(3) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، أحمد بسام ساعي، المرجع السابق، ص 41.

(4) المرجع نفسه، ص 124.

وحاجة البشرية وليكون للناس كافة والأجيال كلها، ينمو نموا مطردا يعالج قضية الجماعة وقضية الأمة وقضية الإنسان تاريخا وقصة ورواية.

إن الرواية الإسلامية اليوم جهد بشري، ومعاناة بشرية، فهي حاجة إلى المهوبة والاجتهاد انطلاقا من التصور الصحيح حتى لا تنهض من قوم غافلين، ممزقين تائهين ولن ينهض من رايات خيالية.

هي نابعة من وحي يتزل من عند الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قرآنا وسنة، لتكون أدب الإنسانية في أعظم صور المعجزة التي لا يبلغها الجهد البشري، ولكن الجهد البشري يستهدي لها، إنه جهد تبذله الطاقة البشرية بمقدار ما تحمله من خصائص إيمانية وبمقدار ما تعمل من المهوبة وبمقدار ما تجد المهوبة من توجيهات.

إن الأدب الإسلامي عامة والرواية منه خاصة لا يستطيع أن ينهض بهما إلا الجليل الحامل للتصور الصحيح، المؤمن المتميز بـ "التصور الصحيح لمعرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به والإقرار بوجدانيته وبرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالإيمان بالله تعالى خالقا للحياة والموت وخالقا لهذا الكون الذي سخره للإنسان ثم الإيمان بأن الإنسان هو أسمى الكائنات وأكرم المخلوقات وأعقلها وأنه المخلوق المكلف.

هذا التصور الصحيح يعطي أو يمد الأدب الإسلامي بالحقائق الكبرى في الوجود أوّلها توحيد الخالق عز وجل" (1).

وبهذا تكون العبودية الخالصة لله باعتبار ذلك غاية الوجود وأن هذا الدين الخاتم هو دين الله القويم الذي ارتضاه لعباده: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (2).

(1) الأدب الإسلامي، قضايا المفاهيمية والنقدية، عباس محجوب، المرجع السابق، ص 12.

(2) سورة آل عمران، الآية 85.

ثالثا: الشمول والتكامل:

نظرت الفلسفات القديمة والحديثة معا للأديب نظرات متناقضة فمنهم من تراه على أنه كله وجود وأخرى تراه على أنه مفكر دون روح، وهناك من تعتبره مثال في واقع ... وغيرهم كثير، لكن الإسلام هو أول من كرم هذا المخلوق ونظر إليه نظرة متكاملة شاملة باعتبار الإنسان جسدا وروحا مجتمعين.

وبهذا "ينظر الإسلام للنفس نظرة شاملة متكاملة باعتبار الإنسان جسدا وروحا معا. ويأخذه أحدا شاملا متكاملا بكل ما فيه من جوانب وزوايا ليحدث فيه التوازن والانسجام فالسلام، وليباعد بينه وبين الصراع والتناقض، وهو لا ينظر إلى الجانب المادي وحدة بمعزل عن الروح، فيتربط عن هذا طغيان الصراعات الاقتصادية وبروزها حتى لتصير كأنها في جوهر الحياة الإنسانية وحقيقتها، وأنها هي المحرك والدافع الأصيل للسلوك البشري، وتحمل بمقابل تلك القيم الأخرى: معنوية وروحية وأشواقا إنسانية عليا... " (1).

وعليه فإن الرواية الإسلامية حين تعرض صورة الأدب فإنها تعرضها من جميع جوانبها غير منقوصة أو مشوهة، إنها بذلك تزودها بكل القيم سواء أكانت الاقتصادية، الاجتماعية، الفكرية أو الروحية، دون أن تعزل واحدة عن أخرى، بل الكل في صورة شاملة مع التركيز على الجانب الروحي للأديب لأنه العنصر النابض في الإبداع.

ولأن الإنسان بفضل هذا الجانب صار مكرما على المتزلة لقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿٢﴾.

ولعل ميزة الكثير من أدباء العالم يغلب عليها اللون المحلي في أدبهم ويكون مسبوغا بمشاعرهم ومهيمننا على نفوسهم، وهذا ليس بغريب لأن النفس ميالة إلى بيتتها،

(1) من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيبيلو، المرجع السابق، ص 74.

(2) سورة ص، الآية 71-72.

منشغلة بالحديث عنها، وإذا كان هناك أدباء عالميون حاولوا بتأثير من إقامة أو نزعة أو مذهب الكتابة خارج بيئتهم وحدودهم، فهم على الأرجح قلة قليلة وكتابتهم عن غيرهم محدودة ضئيلة، وإذا ما رحنا نبحت عن أدب أدباء العربية فإن اللون المحلي يكاد يكون أحد الألوان المميزة، فالناظر في أدب نجيب محفوظ، أو "يوسف السباعي" أو "إحسان عبد القدوس" ... نجدهم قد حصروا أنفسهم في بيئاتهم الخاصة لم يتجاوزوها إلى بيئتهم العامة في مصر أو بيئتهم العربية الواسعة، ورغم أن بعضهم قد هجروا أوطانهم إلا أنهم أخذوها معهم في مشاعرهم، ومثال ذلك أدباء المهجر الذين اجتهدوا وأسسوا رابطة قلمية، رغم الأبعاد الجغرافية التي كانت تفصلهم عن بعضهم البعض وعن بيئتهم، وكان حديثهم عن المهجر إثر تعلقهم بأوطانهم وإن قلنا: إن معالجة أمر ما في قطر عربي ما تنطبق على الآخر فإن السمات والخصائص بل الموضوعات أحيانا وطرق المعالجة تكون محلية بالدرجة الأولى وذلك لا ترتيب فيه على الكاتب ولا على الروائي لأن الإنسان ابن بيئته، فيه البحر الذي ينغمس فيه، والهواء الذي يتنفسه والأرض التي يترعرع فيها. "فالأديب المسلم لا يعمل في مجال محدود بل يعمل في مجال واسع، يتسع باتساع الوجود الإنساني، ويفي بالإنسان ويرقى بذوقه وحسه وسلوكه وعمله، وهذا جزء من الوظيفة التربوية للأدب الإسلامي الذي يعمل على الرقي بالإنسان إلى مستوى القيم الخيرة التي حفل بها الإسلام وجاء الأدب لينميها ويعمقها"⁽¹⁾.

وإذا كانت الرواية الإسلامية أدبا شموليا عالميا إنسانيا لا يتوقف عن الروائي في ذاته أو محيطه أو أمته، لأنه يرفض ضيق الأفق ومحدوديته التي تجعل الأديب لا يرى أبعد من أنفه، فإنه يمتد ليشمل العالم الإسلامي بأسره وينمو "بنمو الإنسان والجماعة والأرض والبيئة كلها"⁽²⁾.

وهذا الامتداد لا يتوقف عند حدود الأمة، بل يمد يده الرحيمة للجميع في عطف وعدل وتسامح لا يفرق بين لون ووجن ودين، إنما يحاول إنقاذ الجميع ومساعدتهم

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، المرجع السابق، ص 6.

(2) الأدب الإسلامي إنسانة وعالمية، عدنان النحوي، المرجع السابق، ص 21.

ولذلك "لابد أن يملك الأديب المسلم فلسفة أو تصورا أو موقفا شموليا إزاء الكون والحياة والإنسان وأن ينبثق هذا التصور الذي يطبع التجربة الذاتية طولا وعرضا وعمقا عن الإسلام المتميز المتفرد المبين"⁽¹⁾.

وأظن أن هذه إحدى معجزات الإسلام الذي نهل الأدب الإسلامي من أصولها، ومن هنا ومن هذا النبع الفياض اغترف الروائي الإسلامي وأسس شموليته التي حاول إظهارها بوضوح حتى تكون "آفاق الأدب الإسلامي رحبة واسعة والأديب المسلم يستطيع أن يلج عديدا من الأبواب، يدلف منها إلى التائهيين والضائعين والممزقين في هذا العصر، والأديب المسلم ملتزم بمبدئه لأنه ينظر إلى الإنسان والكون والحياة من خلال تصور إسلامي"⁽²⁾.

ويبدو أن الروائي في هذا المضمار يدعوا إلى تحطيم القيود بالتعبير بصدق وأمانة أن أمة التوحيد وعن الآمال التي تحقق في قلب كل مسلم غير عن إسلاميته لا وعن قضايا الإنسان باختلاف مجالاتها، وقد نجد "نجيب الكيلاني" يفسر ذلك بقوله: "أن الأدب الإسلامي الصحيح جزء لا يتجزأ من الواقع وحركة الحياة والعمل الدائب"⁽³⁾. وإذا أطلنا التمعن في قول الكيلاني: "الأديب المسلم مسافر دائما، إنه يقصد أرضا جديدة"⁽⁴⁾.

فإننا نجد في لفظت الدوام والجدية معاني كثيرة تصب كلها في الشمول والتكامل، فهو يقصد أن الأديب مسافر وراء هموم الأمة، محام يدافع عن قضاياها وطبيب يعالج أشهائها وأديب وصحفي يصف أحوالها ويشخص حالاتها. يظهر من وراء هذا أنها صاحب إدراك عميق، كما يظهر من خلال تلك المفاهيم متحركا متفاعلا مع أمته وجماهيرها، منسجما مع وعيها وتطلعاتها.

(1) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص 176.

(2) نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، سنة 1985، ص 44.

(3) المرجع نفسه، ص 51.

(4) المرجع نفسه، ص 58.

فإذا بإبداعه يبدو بعد ذلك عالما إسلاميا يموج بمشكلات لا حصر لها، ومع ذلك يظل على بعد الأجزاء عالما يفسر حقيقة الألوهية التي هي مصدر الخلق، ومصدر كل شيء، وإليها يتوجه العبد خاشعا إلى ربه بطاعة شاملة لمنهاج الدين، لأن الروائي منذ تفكيره في الإبداع يعلم أن الله تعالى هو الخالق المدبر وهو المحي المميت وهو الرزاق المغيث وهو رب السماوات والأرض وقدرته خلق الإنسان وإليه يعود كل الناس.

هذا التصور الشامل يتلقاه المسلم ويدركه ثم يعمل وفق معايير وحدوده، فيتحقق له بعد شاسع ونظرة صحح نحو الخالق عز وجل، ومع المخلوقات من حوله دونما مناقضات أو مغالطات، وبذلك يطمئن ويستقيم، ويمضي في إبداعه جادا للوصول إلى المبتغى وإلى الدرجات العلى، ولا يترك أفكاره مبعثرة هنا وهناك بين فلسفة وأخرى أو بين نظرية ونقيضها.

بل يمضي في حياته عازما على توصيل وإبلاغ ما يريد إبلاغه دون تردد، لأنه تعلم ذلك من وحي ربه ومن سنة الرسول الكريم، أخرج الترمذي عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: "يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (1).

واعتقد أن هذا الحديث وحده له جوانب كثيرة مهمة، عقديّة، وتربوية هامة، وله جوانب أدبية بليغة، قد يكون من بين النماذج في السنة التي يحتاجها الإنسان في دنياه وآخرته.

فبمقدار اهتمام الروائي بحقوق الله وبأداء هذه الحقوق ومراعاة حدوده شاملة كاملة دون تقصير يكون اعتناؤه به وحفظه له، وبهذا تكون الرواية الإسلامية بتصورتها

(1) الإمام أبو الفتوح بن أحمد بن رجب الخبيلي، نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس، دار البشائر، ط1، سنة 1989، ص 29.

الراقية وآفاقها الشاملة "يمكن أن تكون ملاذ الإنسان الحائر في شتى أنحاء العالم تقدم له الدور الإنساني الذي أضاعه والتصور الإنساني للغاية والهدف الذي يعيش له الإنسان في هذه الحياة، فلا ترى البشر كما هو ف أكثر ديار العالم اليوم، ذرات هائلة لا تعرف طريقها ودورها، وقد تختصر الطريق بالحروب والانتحار.

إن الأدب الإسلامي يمكنه، إن قدرت له المواهب الفنية الراقية، أن يجرر البشر على المستوى الأدبي من نزاعات الضياع والشتات والقلق والاعتراب، وأن يكون فتحة جديدة للنفوس البشرية بما يمنحه من عالم إنساني راق يرسى قواعد إنسانية الإنسان على نحو لا نرى له نظير في النظرات الأخرى"⁽¹⁾.

وطريق المؤمن واضح لا يسأل إلا الله ولا يستعين إلا بالله، ولا يخشى إلا هو، إلى جانب أن المبدع قد يحقق باتباعه هذه الطريقة صلته بالكون والصلة التي تجمعها بالإنسان وفق القانون الإلهي.

وهكذا يكون إبداعه يتميز بالوضوح والشمولية والتكامل "وفق تجربة واقعية يمارس فيها الحياة وفق منهج شامل كامل إنه منهج متوازن عادل فيكتسب هذا الوضوح فلا يتخبط ولا تضيع جهوده عبثا ولا يظل يهدر طاقاته فيما لا طائل وراءه، ولا يغرق في الأحلام والتخيلات، فهو متوحد الهدف"⁽²⁾.

وبهذا يكون الروائي المسلم يعيش حياته في عبادة ربه، يعلم كل العلم أنه صاحب أمانة وعليه تسديدها على أكمل وجه دون تزييف أو تحريف.

(1) محمد عادل الهاشمي، في الأدب الإسلامي: تجارب ومواقف، دار المنار بيروت، ط1، سنة 1987، ص 41.

(2) الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، محمد حسن بريغش، المرجع السابق، ص 121.

رابعاً : الرواية الإسلامية أدب الإنسان والكون.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بتبليغ الرسالة لكافة الناس لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (1).

فهذا الطريق الذي رسمه الله عز وجل لخاتم الأنبياء وهو مخطط لبني آدم جميعاً كي
يسيروا على هديه ويعلموا رسالات ربهم ويجذروا من خطر الشيطان الذي يعوقهم ويريد
أن يخرجهم عن الهدى ونور الحق ويبعثهم إلى هاوية الظلمات. كما أراد أن يفعل بأبينا
آدم، لقوله تعالى: ﴿ يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ
يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنْ
جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (2).

ولعل قصص الأنبياء التي يعرضها الله عز وجل في كتابه الكريم ما هي إلا بيان
لمصير البشرية ملخصة في كافة الأقطار والأزمان والألوان حينما تجيد عن عبادة وطاعة
الله، فهي دعوة إلى اتباع الطريق الذي نادى به الأنبياء والمرسلون حتى تنتهي بالإنسان
إلى النجاح، فقد خاطب الله تعالى بلسان الوحي الإنسان والناس في كثير من المرات
وكثير من المقامات ففي قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (3) وَأَنَّ سَعْيَهُ
سَوْفَ يُرَى ﴾ (4). ﴿ أَلْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (5). ﴿ هَذَا بَيَانٌ
لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (6).

(1) سورة المائدة، الآية 67.

(2) سورة الأعراف، الآية 27.

(3) سورة النجم، الآية 39-40.

(4) سورة الإسراء، الآية 11.

(5) سورة آل عمران، الآية 138.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾⁽¹⁾.

هذه الآيات وغيرها تصور حالة الإنسان والناس في مختلف الظروف والأوضاع وفي العديد من المجالات لما لها من تأثير في الحياة الدنيا والآخرة في الرخاء والشدة في الرضا والسخط.

إنها تخاطبهم وترشدهم إلى سلوك الخير واتباع الحق وتجنب الظلال وبيان الصلاح والتحذير من الخطر الذي يصيب المهالكين، إن الوحي حتى وإن لم يوظف كلمتي الإنسان والناس باللفظ فإنه يوظفهما في المعنى في جميع سورته باعتبار هذا الإنسان هو حامل الأمانة وباعتباره المستخلف في الأرض والمسؤول عن أفعاله، وقد يكون هذه الأمانة عن طريق الأنبياء والرسل والصبر والاستبصار لأن "القرآن الكريم يمد الأدب بكثير من السير والأخبار في أبعاد متنوعة وأشكال متباينة تضيء للإنسان طريقة مساعدة له في القيام بواجب الاستخلاف في الأرض والتعمير، وتتجلى هذه الصورة والموجهات في إدراك عجائب قدرة الله في الخلق والإحياء والإمامة"⁽²⁾.

فأي أدب يملك هذه الرؤية الواضحة لمسالك الإنسان وأحواله؟

وأي رواية تقوم على هذا المنهج العظيم وهذا السلوك القويم؟

إنه المنهج الذي يهذب الإنسان في رؤية وصورة دالة وفي تجارب إنسانية، إنها الرواية الإسلامية والأدب الإسلامي اللذان يملكان هذا الكثر ويعرفان دور الإنسان في الدنيا والآخرة وبذلك تكون الدنيا دار عمل وتدخير للآخرة، وفي هذا سعة لرؤيا الأديب المسلم إذ تتسع وتمتد لتشمل الدارين معا والزمن كله. ثم تأتي إلى موقف الإنسان من الخير والشر، الموضوع الذي تداولت الفلسفات قديما وحديثا، فإذا بنظرة الأدب الإسلامي تجلو الموقف "إن الخير في الفطرة البشرية أصيل تذكىه القيم الإسلامية وتنميه،

(1) سورة النساء، الآية 105.

(2) الأدب الإسلامي، قضايا المفاهيمية، والنقدية، عباس محجوب، المرجع السابق، ص 14.

والشر، وأصله الشيطان، مناط اختبار وابتلاء للإنسان، إن نجح في الاختبار نال الجنة والدرجات العلاء، وقد حف الأدب الإسلامي الإنسان بالضوابط والحوافز الكفيلة بتسديد خطاه، فألم القلب البشري مراقبة الله والخشية من عذابه، ونفت فيه الحرص على أداء الأمانة من خلال منهج الله في الأرض. كما زوده بمنهج متكامل من القيم يكون في الأدب الإسلامي عالم الخير"⁽¹⁾.

وهذا لا يعني أن الروائي معصوم ﴿... وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽²⁾.

فهو بإسلاميته يكون خبيراً مبصراً موجهها جوارحه من خلال تصوره، إنه يريد أن يعطي للإنسان قيمته من خلال إسلاميته متى كان قويا متمسكا بها ومتى كان ضعيفا ممزقا عنها، لأن "الأدب الإسلامي يعرض قضايا الإنسان ويرسم شخصوه ويتحدث عنه من خلال التصور الصحيح للفرد ومن خلال المواقف والمشاعر والتصرفات والشخصيات الحية المتحركة، ولذلك يتعرض لكل حالاته، حالة الضعف وحالة القوة لحظات الهبوط والنقص والعجز ولحظات الارتفاع والسمو والاعتدال.

ولكنه حين يعرض هذا لا يعرضه على أنه الواقع الدائم، لأن الإنسان السوي تمر به لحظات ضعف وهبوط ثم يعود إلى الإشراف وإلى الاستقامة يعكس الأدب الغربية وما تابعها فهي تعرض صورة الإنسان المنحرف وكأنه الواقع الدائم"⁽³⁾.

فالروائي الإسلامي هو إنسان تحقق فيه صفة الإنسانية الإسلامية لأنه صاحب تصور شامل للكون والحياة، فمن خلال صورته يرى في الإنسانية الشيء المقدس، وبالتالي يكون إبداعه انطلاقاً من تصوره أضف إلى ذلك أن الإنسان في الرواية الإسلامية يصبح مكرماً فلا ينظر إليه على أنه عبارة عن حيوان ناطق أو مجرد آلة مسخرة أو كائن وجودي أو مفكرة أو محطة اجتماعية أو غيرها من المفاهيم الغربية التي جردت الإنسان من إنسانيته بل تنظر الرواية الإسلامية إلى الإنسان نظرة الإسلام إليه في جوهره الذي

(1) في الأدب الإسلامي، "تجارب... ومواقف محمد عادل الهاشمي، المرجع السابق، ص 70.

(2) سورة النساء، الآية 28.

(3) الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، أحمد حسن بريغش، المرجع السابق، ص 127.

يسمو به عن باقي المخلوقات ثم إلى كونه مسخرا لاستخلاف الأرض فيألى حامل الأمانة هذه النظرة إن لم نقل الرؤية الخارقة "تعلي مكانة الإنسان وتكرم خلقه وترعى حقوقه وتكرم مشاعره وتثني على مشناته وتمنحه صفة الاستخلاف الحقيقي في الأرض وتضيء له الطريق ليتجاوز المصاعب والحواجز ويتخلص من الوهن والوساوس"⁽¹⁾.

إنه بعد التكريم لا يفرق بين المرأة والرجل لأن الإسلام هو الذي أعطى للمرأة إنسانيتها وحررها من ضعفها وظلمها، وهو الذي كسر الفرق بين الأبيض والأسود، بين الأعربي والأعجمي إلا بالتقوى، وكرم أول عبد ورفعه فوق جميع الناس بكلمة "الله أكبر" هو من وضع أول منهاج للتربية السوية الصحيحة داخل الأسرة وفي المجتمع الإسلامي.

فقد صور الاهتمام بالإنسان في صورة الأب والأم والابن والقريب، والبعيد والغني والفقير ... كلها أحوال استقتها الرواية الإسلامية فوظفتها لترعى قضية الإنسان في كل أحواله وأطواره وتحفظ له كرامته ومكانته واعتقد أنه لا يوجد مثل ذلك غفي الأدب الغربية "ودور الإنسان في الأدب الإسلامي واسع رحيب، يلي تطلعات الإنسان في الحياة المعاصرة إلى الحياة الكريمة ويعيد الثقة والاطمئنان إلى النفوس وذلك بما يحقق للإنسان المعاصر من قيمة كبرى تمنحه معنى لوجوده في هذه الحياة متمثلا في انتمائه لفكرة ربانية تبوئه مكانه ودورا ومسؤولية، ويحميه من سأم الحياة والضيق بها، كما يحميه من غربته مع نفسه ومجتمعه وعصره ويجعل للحياة مذاقا وطعما نستحق أن يعيش الإنسان لها"⁽²⁾.

وقد ظهر من الأدب الغربية فقدان التراحم والترابط بين المجتمعات كما جردت الإنسان من كرامته وأصبح مما تفخر به دور العجز وملاجئ الأطفال وقاعات تبذير وقت الشباب ... لقد اعتاد الأدباء الغربيون أن ينظروا إلى الإنسان على أنه مادة يتغير

(1) الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، أحمد حسن بريغش، المرجع السابق، ص 128.

(2) في الأدب الإسلامي، "تجارب ... ومواقف"، محمد عادل الهاشمي، المرجع السابق، ص 72.

بتغير الطبيعة التي يعيش فيها، إنسان مضطرب نفسيا ومنتشعب سلوكيا وقلما ينظرون إليه نظرة الإنسان السوي.

وقد يرجع ذلك إلى تلك الفلسفات الغربية التي أحدثت توترا ارتبط في حقل الأدب الغربية بمأساة الوجود حيث لم يجد الإنسان العربي في ظل الفلسفات المادية أي جوانب مقنعة للأسئلة حول الوجود وقضاياها المصرية وبذلك "تعد عملية بناء الإنسان وصياغة شخصيته من أعقد العمليات البنائية التي تتطلب من المربين والمصلحين فكرا دقيقا وجهدا مضنيا، ومتابعة دائمة، وتجديد مستمرا في الوسائل الأساليب"⁽¹⁾.

ومع انبعاث الإسلام تحول التوتر من الجانب الوجودي إلى الحقل الاجتماعي، سيما وأن العقيدة الإسلامية قدمت ولا تزال الأجوبة الصادقة لما يحيط بالإنسان. من أين وجدت؟ كيف وجدت؟ ولماذا؟

لعل تلك الدراسات المقترنة بالغرب جعلت من الدوافع الجنسية سببا رئيسيا في تكوين شخصية هذا الإنسان، مما دفعه إلى ممارسة نشاطات مختلفة وتصرفات بشرية سببت في مجموعة من الانحرافات أفقدت الإنسان كرامته وإنسانيته. وأصبحت هذه الدراسات سببا في تشويه الديانات والأخلاق كما ساهمت في تحطيم الأدب العربي الذي فتح أبوابه لها وتأثر بها وذاق مرارتها وهو الآن يتخبط في برائثها إلى أن بدأت صيحات النذير وصرخات الخطر، فجدد الأدب الإسلامي رؤيته المعاصرة ونظرتة المعاكسة لتلك الإدعاءات وانبعثت الرواية الإسلامية تحاول نشر الوعي بأسلوبها وواقعيتها واحتكاكها مع الإنسان السوي "فإذا كان الشكل الروائي الغربي الذي اعتنق فكر الغموض تعبير عن تغير جذري في موقف الإنسان الغربي من العام كما زعم "آلان روب غرييه" فإن الكاتب الروائي المسلم المنطلق من إبداعه من منظوره الإيماني العلمي الثابت والمتوازن والشامل والواقعي للوجود والحياة والإنسان والقيم لم يتغير موقفه من العام ولم يتغير تبعا

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، دراسة تأمله في الرؤى الفكرية والتقنيات الإبداعية أحمد عطية السعودي، المرجع السابق،

لذلك اتجاهه الأدبي، فيقينيته الكونية لا تنهدم بفرضيات ونظريات وظنون العصر... " (1).

وهذا لا يعني بالطبع أن يستثمر الروائي المسلم التقنيات المشيئة في مجال الشكل بما لا يعارض المقدمات الإسلامية عن الحقيقة والفن ولا ينافي الذوق الإسلامي المتشكل بثوابت العقيدة والخلق والأنظمة "فلا بأس على الروائي أن يستجيب لروح العصر الآلي ونبضه المتسارع وإيقاعه الجاد الذي قد يجتزل لغة إبداعه ويرشقها دون هدم لقواعد النحو والتعبير أو تجاوز على الترابط الموضوعي أو تمزيق لنسيج الحكمة أو قطع حلقاتها المتساوقة، أو إهمال تام لفكرة الزمان بحجة نسبية" (2).

وبهذا فقد يملك المسلم رؤية واضحة للنفس الإنسانية، وهذه الرؤية مأخوذة من تصور لكتاب الله عز وجل ولسنة رسوله ﷺ.

فيكون لنا رواية إسلامية تهتم بالإنسانية لا نفاقا ولا كذبا ولا تشويها وإنما تهتم بها لأنها موضوع الاهتمام والتكريم وموضع تحمل المسؤولية، وأدائها في وجهها الصحيح، الرواية التي تبرز قضايا الإنسان أينما كان ويصور النفس البشرية بصدق بعيدا عن كل تزيف.

خامسا: الغائية والجدية الهادفة.

تتجه الرواية الإسلامية إلى تكوين هدف وغاية مقصودين، وقد استمدت من الدين الإسلامي الذي يراعي في سلوكاته التزاهة ومحاسبة النفس وتأنيب الضمير من كل عمل أو قول ليس من ورائه غاية جادة لأن: "المضمون الفكري للأدب الإسلامي مرتبط بالعقيدة الصحيحة التي تعمل على إيجاد المسلم الصالح، والمجتمع الصالح، وتجعل من الأدب في أشكاله المختلفة قصة أو رواية أو قصيدة أو مقال أدبا يحرك النفوس إلى الجدية في الحياة والعمل، ويدفع إلى البناء ويجعل التفكير والتأمل عبادة وقرية، ويرفض الظلم

(1) مجلة الأدب الإسلامي، ع 21، سنة 1419 المملكة العربية السعودية، مقالة لـ محمد رشدي عيد، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 37.

والاستغلال والفساد والشر، ويربط حياة الأفراد برباط الإيمان الذي ينظم الحياة كلها والسلوك كله"⁽¹⁾.

ولهذا فالروائي المسلم يدرك أنه مسؤول ومحاسب على كل شيء، يفعله، ومن هنا نجد أن العاقل يميز بين أديين، أدب نخب أن يكون مسؤولاً وحاملاً رسالة وأدب يتهرب من مسؤوليات بناء الحياة النظيفة والمشاركة في أعبائها بحجة أن الإبداع الفني في ذاته جمال مطلوب وغاية مرادة مقصودة وكفى.

حتى لو كانت رواية عارية متماخنة منحلة، لكن الروائي المسلم من منظاره يبحث عن الغائية والجدية الهادفة "فينشئ للأديب المسلم فنه وأدبه، وله في ذلك هدف واضح مقصود ومحسوب وغاية مرادة مرصودة"⁽²⁾.

ولعل هذه الغاية تستطيع أن تغير مسار الحياة إلى ما هو أرقى وأصلح. بمحاولة تطوير سلوكيات الأفراد وذلك بغرس بذرة العقيدة في النفوس، وترسيخها في الصدور والتباعد عن الرذيلة والقبح، فالرواية أدب فني، وهذا النوع يجب أن يكون غاية يسعى إليها الأديب، فالمتعة التي بنجنيها من هذا الأدب هي الغاية في ذاتها ولا شيء وراء ذلك، وهذه حقيقة منبثقة من حقيقة إسلامية كبيرة، هي أن الفرد المسلم يتره نفسه عن أن يحدث عملاً ما من الأعمال أو يقول قولاً من الأقوال ليس من ورائه غاية جادة، أو أن يلتفت دون ينظر مسبقاً إلى عواقبه ونتائجه ومدى العائد عليه منه، أو هو عائد على الآخرين، فهذه الغاية تكمن في: "تصور لا يتحرك الأديب إلا على هديه ونوره وحس وجداني مفعم بمنحه فرصة الوفاق مع الكون والعالم والوجود. وبين هذا وذاك يبدو الأدب الإسلامي كالينبوع الذي لا ينضب وكنور الشمس والقمر الذين لا يكفان عن إرسال النور وكالأرض الخصبة التي لا تقف عن بعث الحياة والجمال على سطح الأرض، وبين هذا وذاك يتدفق الأدب الإسلامي شعاعاً وردياً حيناً يفنى للتناغم والتآلف

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، المرجع السابق، ص 6.

(2) من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 67.

والانسجام وينضب حيا آخر نارا تحرق الدنس والشوائب والصغار، وأحيانا ثالثة يتفجر حمما تقذف الطواغيت وتلوي أعناق الذين تعبدون الناس للناس من دون الله" (1). وهذه الأهداف لا تتحقق إلا إذا كان الأديب مدركا لأفعاله وسلوكه ومشاعره صادقا مع نفسه ومع الآخرين.

وبهذا يترفع الروائي المسلم على أن يأتي بالعبث المضيع للوقت المحسوب، وأن يهدر طاقته الخلاقية، أو أن يضيع أوقات الآخرين من عباد الله ويبد طاقاتهم فيما لا خير فيه.

ولعل هذا ما يمنح للرواية التجانس، وتمنحها نظرة الثاقب المتمعن الباحث عن الحق، ولقد عرفها سيد قطب على أنها "التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية" (2). ثم يعود فيعرفها مكملا صورتها "تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان ... هذه القيم ... تنبثق عن تصور معين للحياة والارتباطات فيما بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض" (3).

فإذا كان المذاهب الغربية تمثل مذهبا أو رأيا أو مرحلة ثانية أو لونا من ألوان الحياة فإن الرواية الإسلامية تمثل الحياة كلها، لأنها تصور للحياة بأسرها، والحياة مرتبطة بالآخرة باعتبار الأولى جسر نعبر به إلى الثانية، وبذلك فالروائي المسلم يدرك هذه الحقيقة، وبهذا فإنه يخلص في عمله الأدبي الدنيوي ليعود عليه بالخير في آخرته، حيث أنه يدرك أن لكل عمل إنساني وأن لكل نشاط بشري غاية وهدفا لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (4).

فهو أدب غائي بعيد عن العبث باسم الفن والتلاعب بمصالح الناس وطموحاتهم لأهداف خاصة أو مصالح مذهبية.

(1) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص 86.

(2) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، [د.ط] [د.ت]، ص 8.

(3) المرجع نفسه، ص 11.

(4) سورة الزلزلة، الآية 7-8.

ولذلك كان من غاياته وأهدافه القيام بمهمة التربية بصورة غير مباشرة وبطريقة مناسبة للفن ومتناسقة مع منهج الإسلام.

فالرواية تحاول عرض الموضوع الذي يجلب انتباه القراء والجمهور إليه، فيندمج بذلك التأثير الفني والتوجيه التربوي مع بعضهما ليؤديا غاية مشتركة يتلقاها المتذوق، ويخزنها لينسج على منوالها سلوكا متأثرا بها.

فما بالننا بالرواية الإسلامية والوظيفة التي تهدف إليها في "تثبيت القيم الفاضلة وتوضيح التصورات الصحيحة ورسم الصور الإيجابية للحياة الإنسانية من خلال أدائه بصورة مناسبة"⁽¹⁾.

و حين تريد الرواية الإسلامية تحقيق غاية وترسم صورة للحياة في انبعاثها وتطورها وازدهارها فهي تؤمن مسبقا بالقدر وأن قدر الله هو المسير لهذه الحياة، وهو القوة الفاعلة في تشكيل الأحداث التي تجري في الكون بما ينفع الناس، وهي تؤمن كذلك بأن من قدر الله عز وجل أن يكون فاعلا في الحياة هادفا إلى تحقيق عمل صالح.

والإسلام لا يجد في هذا تناقضا ولا معرقلا لأن السنن الربانية هي التي تحكم المعادلة والعلاقة بين فاعلية الإنسان وفاعلية القدر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁾.

وفي ذلك تختلف الرواية الإسلامية على الرواية الغربية بأنها خاضعة للسنن الكونية وللإنسان فاعليته التي تنفذ من خلال هذه السنن.

فالرواية الإسلامية تصوير للحياة الإيجابية لأنها توظف كل صورة للبناء. فالخطأ الذي يصوره يجعل منه بطريقته المناسبة وسيلة لتجاوز الخطأ عملا بقوله

(1) سيد قطب، الوظيفة التربوية للفن الإسلامي، ص 16 [نقلا عن الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريغش، المرجع السابق، ص 134.

(2) سورة الرعد، الآية 11.

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلِيمٌ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (1).

ولذلك جاءت القصص والحوادث في كتاب الله تعالى، وقدمت سيرة رسوله الكريم، فكانت أمثلة سامية لهذه الخاصية.

فقصة سيدنا يوسف عليه السلام لا يصور حالات الضعف الإنساني أمام الغيرة والحسد والمكانة الرفيعة وحب السيطرة وحب المال والجنس فقط، بل تجاوزت ذلك إلى ما هو أسمى من مثل قويمه وسمو في الأخلاق وخوف من الله عز وجل ومن أخوة وتسامح وحب الخير لكل الناس ...

كل هذا وسط تصور يخيم على هذه الأجواء ويظلل هذه الحياة كلها وبهذا تكون هذه الرواية قد قدمت ومازالت تقدم هدفا ساميا وغاية مدروكة تنفع بها الجمهور.

سادسا: الواقعية.

لقد اقترن مصطلح الواقعية بالمذاهب الغربية الفنية، تلك التي تحصر واقع الإنسان في حيز ضيق محدود وتنسى الواقع الإنساني الكبير الذي يشمل حياة الإنسان كلها طولا وعرضا وعمقا، زمانا ومكانا.

ومعروف على الأدب أنه انتقل على المستوى العالمي من كلاسيكي رسمي إلى رومانسي يقترب من طبقات المجتمع بخيال دون عقل ويتوجه إلى عواطفها دون تفكيرها. ثم إلى واقعي يلتصق بحقائق الحياة مرتكزا على الجانب المادي في الإنسان، ويغفل الجوانب الروحية ذات الطاقات الإنسانية الهائلة.

وأظن أن هذا التنقل أفقد الأديب وظيفته، ولهذا وجب عليه سد تلك الثغرات "وإلى أن يصل الأدب إلى الواقعية الكاملة التي يسعى إليها تلقائيا بقوة تيار الحياة وتجاربها

(1) سورة آل عمران، الآية 135.

سيكشف في النهاية أن الإسلام قد سبقه إلى إقرار تلك الواقعية الإنسانية التي يبحث عنها⁽¹⁾.

وأعتقد أن الروائي قد أحس بحاجته إلى إقرار هذه الواقعية في إبداعه، وبفضل هذا الإحساس واتباع هذه الخصائص مجتمعة كانت الرواية (الإعصار والمثدنة) تجربة استطاعت أن تنشر المعادلة بين المستوى الفني والالتزامي، وبذلك فإنها تجسد الموقف البين للأدب الإسلامي⁽²⁾.

وأظن أن هذه الشهادة كافية لأن تبصرنا بقدرة الدكتور عماد الدين خليل في بلورة أحداث وشخصيات وجدت فيها مهارات كافية لإرساء وعي حضاري يحاول بكل دأب وتركيز متابعة مسار الأدب الإسلامي.

وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نجعل من الواقعية الإسلامية الخاصة التي تقيد الروائي والتي نجمع فيها كل ما يبدعه كتابنا، كما فعل أصحاب المذاهب الغربية، بأدبائهم، حيث أن الخط الفكري الإسلامي سينظمهم جميعا بقدر ما ستساعدهم روح الإسلام المتجددة وقابليتها الفريدة للتكيف مع العصور المتغيرة على تلوين أشكالهم، وتنويع طرائفهم وتحديد هياكلهم الفنية.

ويبدو أننا في أشد الحاجة إلى ثقافة من نمط جديد تسير العصر، وبحاجة أيضا إلى تقييم للثقافة القديمة بل إننا في حاجة إلى إعادة النظر في الفنون الأدبية القديمة والحديثة وإعادة غربلتها وتصفيتها من كل ما يضرها ويتقدمها وسعيها نحو المستقبل وبالتالي التخلص من كل ما يعيق ويشوه إسلاميتها، لا بالافتراض أنها أمر واقع علينا أن نكيف حياتنا وأفكارنا، وعقيدتنا تبعا للطبيعة، ولا بالافتراض العكسي أيضا، أن نكتفي بتكييفه هو، أو مسخه ليكون موافقا لطبيعة عاداتنا وتقاليدها وأفكارنا بل يجب أن ننظر إلى الأدب نظرة إبداعية حرة خالية من قيود الواقع.

(1) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، أحمد بسام ساعي، المرجع السابق، ص 4.

(2) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، المرجع السابق، ص 204.

"وبهذه النظرة الخلاقة، وحدها نستطيع أن نجد لأنفسنا فنونا الأدبية المتميزة، فنونا إسلامية كاملة، نقية من التشويه والتزييف والمسوخ. ولم يكن الإسلام أبداً، وهو الذي أبدع النفوس البشرية الجديدة، ونقلها من طور إلى طور، عاجزا عن إبداع بدائل أدبية لهذه النفوس، تستجيب لندائها وتتفاعل مع حرارتها"⁽¹⁾.

ولعل الملفت للانتباه في أغلب الروايات الإسلامية أنها لا تناقض الواقع ولا ترفضه بل هي تحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه ومعالجة قضاياها في شكل فني يحاول توجيه اهتمامه إلى المجرى والمصعب.

V- أصالة الشخصية الأدبية في الرواية الإسلامية:

لقد أعلنت رسالة الإسلام من مكانة الأديب المسلم وعظمت شأنه وميزت شخصيته بشمائل تفرقه عن سائر الأدباء في جوانب الحياة المختلفة، في الفكر والعقيدة والعبادة والتشريع، والخلق والمعاملة، والهيئة والمظهر، وجعلته ينطلق من أسمى عقيدة وينتسب إلى خير أمة، ويستقي من أعذب مورد، فكان أن تفجرت طاقاته الإبداعية في العهود الإسلامية الزاهرة، وتدفق عطائها بالكلمة الطيبة والنور الساطع والجمال الفني الأخاذ.

ولعل سر احتفاء الإسلام بشخصية الأديب المسلم يرجع إلى عدة أسباب:

1- اعتراف الإسلام بالكلمة الطيبة في صناعة الحياة، وتميز المجتمع الإنساني والتفوق الحضاري، لأنها أداة متميزة في البناء والتفاعل والتأثير لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٥﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٧﴾ ﴾⁽²⁾.

(1) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، أحمد بسام ساعي، المرجع السابق، ص 27.

(2) سورة إبراهيم، الآية 24-25-26.

واعتقد أنه لما كان للإسلام مصطلحاته وكلماته الطيبة فإن الضرورة تقتضي توظيفها بدل مصطلحات الجاهلية المتسمة بسلبيات كثيرة، وهي الرؤية التي أخذ منها الأدباء الإسلاميون وعلى رأسهم "الكيلاي" بقوله: "للإسلام مصطلحاته التي وردت في كتاب الله عز وجل أو حديث رسوله، ﷺ، كما للجاهلية مصطلحاتها ورموزها فهل يجوز التخلي عن مصطلحاتنا ومجارات المحاربين لله ولكتابه ولرسوله وتستخدم مصطلحاتهم ورموزهم"⁽¹⁾.

ولعل الاكتفاء الذاتي في مجال استخدام المصطلح يحيل على الرغبة في الاستقلالية وعلى مراعاة مقتضيات الهوية الإسلامية في مختلف المجالات، وهو أمر يدعو إليه عدد من الأدباء والنقاد الإسلاميين في مواجهة الزكام المصطلحي الغربي الذي يرون فيه خطراً يلوج في الجوار، إذ يقول محمد حسين يرغس في هذا الصدد: "لدينا مصطلحات في العقيدة والتربية والعلوم والآداب وهذه المصطلحات سوف تمدنا بما يفيد في رسم سورة هذا الأدب أو معرفة النفس البشرية عامة، ومكونات الأديب خاصة وستعيننا في معرفة السبل التي تجعل الأديب يكتسب ثقافته الإسلامية، وتتهيأ له المكونات والخبرات المختلفة"⁽²⁾.

وفي هذا كله تكمن الرغبة الملحة لدى الشخصية الإسلامية في إحياء المصطلحات التراثية الأصلية والتي تحمل دلالات الإسلامية، وليس يحظى أن اعتماد المصطلحات التراثية يقتضي دراسة واعية لها وفق مناهج ومنهجيات مناسبة في أفق إصدار حكم عليها ومن ثم قبولها أو رفضها، وقد كان هذا من بين توصيات الملتقى الدولي الثاني للأدب الإسلامي المنعقد بالغرب سنة 1995 في موضوع النقد الأدبي بين التأصيل والتجريب"⁽³⁾. ويبدو أنه مسعى يسهم في تحقيق الاستقلالية واستعادة الهوية الإسلامية في مختلف مجالات الحياة.

(1) مجلة المشكاة ع 26 سنة 1997 نجيب الكيلاي، المشكاة والملفأة الحداثية همسة ناصحة، ص 172-173.

(2) الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، محمد حسن يرغش، المرجع السابق، ص 67..

(3) محمد أمهاوش، قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، نجيب الكيلاي، نموذجاً، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، سنة 2010،

2- عناية الإسلام الفائقة بتكوين الإنسان المسلم وإبراز شخصيته، شخصية سوية متميزة ذكرا كان أن أنثى، صغيرا أو كبيرا، عالما أو متعلما، أديبا أو عاملا، فلاحا أو جنديا فالأديب الإسلامي هو ذلك الشخص الملتزم لأنه "يقدم للناس عملا إيجابيا نافعا يعالج مشكلاتهم، ويتصل بحياتهم، ويعبر عن همومهم بأصالة وإبداع تعكس تجارب الناس في وجدانه وأصداء الحياة في إبداعه"⁽¹⁾.

3- تقدير الإسلام لرسالة الأديب في الحياة ودوره في قيادة مجتمع يسوده الإخلاص كي تتغذى مشاعر المسلم من رحيق الأدب الصافي وتنعم في ظله الوريث. وسر هذا التقدير هو أن "الأديب الكبير رائد من رواد البشرية يسبق خطاها ولكنه ينير لها الطريق، فلا تنقطع بينها وبينه الطريق، وهو رسول من رسل الحياة إلى الآخرين الذي لم يمنحوا حق الاتصال كما منحه ذلك الرسول"⁽²⁾.

وقد مدد الإسلام المعالم الرئيسية لشخصية الأديب المسلم وذلك من خلال القدوة الحسنة لرسول الهدى صلى الله عليه وسلم، إلى جانب سائر الأنبياء والرسل والصحابة والصالحين فيحقق التميز الأدبي والاستعلاء الإيماني والانتماء الحقيقي للأمة المسلمة. ولكن هذه الشخصية الأدبية في العصر الحاضر لم تسلم مما اعترى الأمة المسلمة من استعمار ثقافي تسبب في ضياع الذات وفقدان الهوية والانغماس في الشهوات، بسبب الإعراض عن هدي الكتاب الحكيم والسنة المشرفة.

وبهذا تغدو الحاجة الملحة في هذا الواقع المعاصر العسير لإزالة الغيار الكثيف عن هوية الأديب المسلم المتميز، وشخصيته المتفردة، ليرى نفسه بمرآة الإسلام الصافية لأن "الأديب المسلم لا يعمل في مجال محدود بل يعمل في مجال واسع يتسع باتساع الوجود الإنساني ويفي بالإنسان ويرقى بذوقه وحسه وسلوكه وعمله، وهذا جزء من الوظيفة التربوية للأدب الإسلامي الذي يعمل على الرقي بالإنسان إلى مستوى القيم الخيرة التي

(1) عباس محجوب، الأدب الإسلامي، قضايا المفاهيمية والنقدية، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، سنة 2006، ص 127..

(2) النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، المرجع السابق، ص 25.

حفل بها الإسلام وجاء الأدب لينميها ويعمقها"⁽¹⁾. وبهذا يكون للإسلام دور كبير في تقدير رسالة الأديب في الحياة، لأنه من خلال الرؤية الأدبية الإسلامية يمكن للأدب أن ينتج نماذج أدبية عالية البيان تستند إلى التذوق الجمالي والإبداع الفني.

1- مفهوم الشخصية الأدبية الإسلامية:

حرص الإسلام على صياغة الشخصية الأدبية المسلمة ببعدها الروحي والمادي صياغة جديدة متميزة في تكوينها وفقا لتصور صحيح شامل للخالق والإنسان والكون والحياة.

ولعل نظرة في عجلة تسلط الضوء على مفهوم الشخصية في علم النفس الحديثة لتكشف القليل عن قصور كبير في فهم طبيعتها لدى علماء النفس المعاصرين، وتمهد الطريق للكشف عن تميز الشخصية المسلمة، وإبراز سماتها وملامحها من منظور إسلامي. فالإنسان في حالة تفاعل مستمر مع ما يحيط به من ظروف وما يتطرق إليه من أحداث ولهذا فشخصيته معرضة دائما إلى البحث والمعاينة من جوانب مختلفة وقد استقت الشخصية في كلام العرب من مادة (شخص) ومن معانيها: "شخص الشيء شخصا، ارتفع وبدا من بعيد، وشخص فلان شخصا: ضخم وعظم جسمه، فهو شخص، وهي شخيصة، وشخص الشيء، عينه وميزه مما سواه، والشاخص الشيء المائل، والشخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد. وجمله أشخص وشخوص وأشخاص، والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد اتباع الذات فاستعير لها لفظ الشخص، فكل شيء رأيت جسمانه رأيت شخصه"⁽²⁾.

وفي اللغة الإنجليزية (personality) من الأصل اللاتيني (persona) "وتعني القناع الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة وقد أصبحت الكلمة تدل على المظهر الذي يظهر فيه الشخص"⁽³⁾.

(1) الأدب الإسلامي، قضايا المفاهيمية، عباس محجوب، المرجع السابق، ص 2.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة شخص، ج 2، ص 311.

(3) نعيم الرباعي، الصحة النفسية...، ص 94.

ولعل آراء الغرب قد تعددت في مفهوم الشخصية نتيجة لتجدد الاتجاهات الفكرية والنفسية والاجتماعية في مجتمعاتهم ونتيجة لتضارب النظريات والمذاهب، ونجم عن ذلك اختلاف في الأقوال وتباين في وجهات النظر على الرغم من اتفاقهم على اعتماد المنهج العلمي في البحث.

ومن أهم تعريفات الشخصية⁽¹⁾:

- تعريف مورتن برنس (Morton Prince):

"يرى "مورتن" إن الشخصية هي كل الاستعدادات والتراعات والميول والغرائز والقوى البيولوجية الفطرية والموروثة، وهي كذلك الاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرات".

- تعريف "باودن" (Bowden):

"ينص باودن على أن الشخصية هي ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً التي تعد مميزاً خاصاً بالفرد والتي يتحدد بمقتضاها أسلوبه الخاص في التكيف مع البيئة المادية والاجتماعية.

- أما حامد زهران فيرى:

"أن الشخصية هي جملة السمات الجسمية والعقلية الانفعالية والاجتماعية التي تميز الشخص من غيره"⁽²⁾.

فمن خلال هذه التعريفات يتبين ما يلي:

أن كلمة الشخص في اللغة العربية يراد بها ذات وجسم الإنسان أما في اللغة الإنجليزية فيراد بها مظهر ولباس الإنسان.

والملفت للانتباه في هذه التعريفات أنها قد أهملت الجانب الروحي وهو المقوم المهم والأساسي للشخصية الإنسانية وللحياة الإنسانية ككل.

ولكن يمكن القول أن الشخصية الإسلامية هي:

(1) الصحة النفسية، نعيم الرباعي، المرجع السابق، ص 95-96.

(2) حامد زهران، الصحة النفسية، والعلاج النفسي، ص 55.

"مجموعة الأوصاف والسمات التي تنبثق من التصور الإسلامي، وتميز المسلم من غيره فكراً ومظهراً وسلوكاً في العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع. والشخصية الإسلامية هي التي تستلهم التعبير الفني الهادف عن الكون والحياة والإنسان من قواعد التصور الإيماني الصحيح والسلوك الإسلامي القويم سيرة وسريرة وصورة"⁽¹⁾.

ولهذا فشخصية الأديب المسلم تمت بثلاث مميزات جليلة في التصور الإسلامي.

2- مميزات الشخصية الإسلامية:

1- أنها شخصية إنسانية مكرمة بالعقل الواعي والخلق الكريم والفضيلة السديدة ويحمل الأمانة، وأكثر من ذلك فإنها شخصية سخرت لأن تكون خليفة في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾⁽²⁾.

2- أنها شخصية متوازنة متكاملة تتفرد بالصدق والإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله والانتماء إلى الأمة المسلمة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽³⁾.

3- أنها شخصية أدبية متميزة بالأصالة والإبداع والإشراق الروحي والإيجابية والعطاء ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾⁽⁴⁾ ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾⁽⁴⁾.

والأديب المسلم لم يخلف مترها ولا مثاليا وإنما المنبع الأصيل هو الذي ميزه عن باقي الأدباء.

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية، السعودي، ص 15.

(2) سورة الإسراء، الآية 70.

(3) سورة فصلت، الآية 33.

(4) سورة إبراهيم، الآية 24 - 25.

ولهذا فالظروف الحالية تستدعي لأن يكون هناك أدبا يرقى بالأمة ويخرجها من الحضيض الذي تتخبط فيه.

VI- الحاجة إلى الأدب الأصيل:

لعل الوقت قد حان لأن يعرف الأدب حقيقة الخط النظامي والتغير الاجتماعي الذي يدور في إطاره المجتمع، ولعل الأدب عامة والرواية خاصة بقدرتها على الموضوعية تستطيع أن تكون أعم دعائم الفن المعبر عن الكينونة الاجتماعية للمجتمع وقادة في الوقت نفسه على الاقتراب الدائم والمشاركة المستمرة للقضايا التي تتصارع وسط المجتمع واتخاذ موقف منها.

لأن الأدب يمتاز بدور فعال في حياة الشعوب قديما وحديثا لأنه "أسهم في الاستعلاء كما أسهم في الإذلال، وكان حصنا للرفعة والمتعة في أمة ومعولا للضيعة والصنعة في أمة أخرى فكان أكبر معول هدام كما كان أقوى عامل بناء في عقلية الأمم والبلاد وتوجيهها إلى الفساد أو السداد بحسب اتجاه البارعين فيه والقادرين عليه تحت مؤثرات بيئات مختلفة متناقضة يشهد بذلك تاريخ الفكر العالم وإنجازات المجتمعات البشرية ومواقفها وعقولها في عصور مختلفة، وذلك من العصر الذي دوّن تاريخه وتوجد آثاره في المكتسبات إلى عصرنا هذا"⁽¹⁾.

واعتقد أن أرقى الأدب ما تصل بالعبقيدة الإسلامية لأن الأصالة تقتضي الصراحة والوضوح والإخلاص والصدق: "والتزام الإنسان بعبقيدته في أعماله الأدبية يحقق له الانسجام مع نفسه والتوافق مع فكره ويسم عمله بميسم الصدق"⁽²⁾.

ومن فطرة الإنسان التي فطره الله عليها أنه لا يستطيع أن يعيش بدون عقيدة، لأنه يعتبرها المصدر الأساسي في الحفاظ على النظام والانضباط وعلى التوافق في مختلف المجالات، والأدب الإسلامي، والرواية منه، ارتبط في حياة البشرية بعبقيدتها ومقدساتها

(1) مجلة الأدب الإسلامي، ع1، سنة 1993/1414م، "طليعة خير وبركة لأبي الحسن الندوي، ص 3.

(2) الأدب الإسلامي، قضايا المفاهيمية، والنقدية، عباس محبوب، المرجع السابق، ص 121.

فقد ارتبط الأدب اليوناني في بداياته بالطقوس الدينية والأغاني المقدسة المفعمة بالثناء على الإله، وكذلك الأدب الروماني والأدب اللاتينية، كما ارتبط الأدب الجاهلي ومنه الشعر، بالقوى الغيبية فالجن والشياطين وارتبط بالكهنة والسحر، مما يدل على أن المعتقد الذي يؤمن به البشر كان دائما مصدر الإبداع الأدبي في كل أمة، وأن الأدباء دائما ملتزمون بعقائدهم يصدرون عنها، ويعتمدون عليها، وهذا ما جعل اعتماد الأديب المسلم على العقيدة الإسلامية منطلقا لإبداعه وموجها لفطره أمرا محتما، لأنها العقيدة السليمة المنزلة من خالق العباد والكون، والتي لم تتعرض ولن تتعرض كالمعتقدات الأخرى، لتحريف البشر وأهوائهم وتقلباتهم.

لأن الإسلاميه تتميز بالرحابة والسعة "فآفاقها بلا حدود تفتح المجال واسعا أمام تجربة الأديب المسلم لأنها ترتبط بعالم الواقع كما ترتبط بعالم الغيبات، وتلي حاجات الإنسان الفطرية إلى كل شيء، إلى البحث عن الحقيقة وإلى الصراع مع عوامل الهدم وإلى النضال الدائم للتغيير نحو الأفضل وإلى معطيات الأمن والاستقرار وإلى الركون إلى قوة القاهرة ترعى، وإلى عدالة مطلقة تعيد إلى النفس المضطهدة ما اغتصب منها، إلى فردوس يحقق الأمن والاستقرار للذات التي فقدت الأمن والاستقرار"⁽¹⁾.

ويبدو أن الأدب الذي يخلو من المضمون العقدي لا يمكن أن يؤثر في الناس أو يربي الأجيال أو يوحد الرأي العام الموجه نحو قضايا الأمة فالأدب النابع من العقيدة أدب له وظيفة في الحياة، وأثر في نشر الوعي الحضاري وترسيخ القيم وإثراء الأفكار، والأدب النابع من العقيدة الإسلامية يحمل في مضمونه معاني الخير والعدل والتضامن والتعاون على البر والوقوف مع المظلومين ضد الطغاة والظالمين: "إنه أدب ينود عن القيم ويحافظ على المثل الثابتة ويوقظ الضمائر النائمة ويجرر النفوس المستعبدة من البشر"⁽²⁾.

وما أجزر الروائي المسلم بأن يكون صادقا في تجاربه الشعورية، صادقا في التعبير عنها، مترها نفسه عن النفاق، بعيدا عن الزيف.

(1) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، عبد الباسط بدر، المرجع السابق ص 39.

(2) الأدب الإسلامي، قضايا المفاهيمية والنقدية، عباس محبوب، المرجع السابق، ص 130.

وأن تكون وراء التجربة الأدبية مغزى بقيد الحياة شيئا، فما يحق للأديب بأي وجه من الوجوه أن يضيع على الناس جهدهم ووقتهم.

فالإسلام رحب ومجالاته واسعة، والمجال متسع أمام الأديب المبدع بحيث يشمل الكون كله والوجود جميعه بكل ما يضطرب بين جنباته، شريطة أن يتصور الأديب هذا الكون تصورا صحيحا ثم سويا ثم يتفاعل معه حسب تصور الإسلام كذلك.

فيرى كل جزئية فيه تقول: ﴿... رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ

هَدَى ۝﴾⁽¹⁾. هذا من جهة، ثم يعبر عنه تعبيرا صحيحا نظيفا يتلاءم مع ذلك التصور

من جهة أخرى فإذا استشعر الروائي هذا الكون بجميع أشيائه بإحساس المسلم، ثم عبر عنه التعبير اللائق بالإحساس الإسلامي، أو بالإحساس غير المتصادم المتناقض مع المفهوم الإسلامي، فيكون حينها أدبا أصيلا لا يجد من انطلاقاته عائق.

(1) سورة طه، الآية 5.

الفصل الثاني :

الدعوة إلى الرواية الإسلامية.

استطاعت الرواية الإسلامية أن تفرض وجودها ضمن دائرة الأدب الإسلامي، فحاولت بذلك تقديم إسهامات عديدة يمكن عدّها محاولة للخروج والبروز، والبحث عن آفاق جديدة ومفتوحة أمام حركات التجريب والتجديد.

ولعلنا نستبشر خيرا بأن الدعوة إلى الرواية الإسلامية ليست تقليدا لدعوات الاشتراكيين إلى الأدب الملتزم، وإنما هي دعوة تبتغي أن يكون للإسلام. وهو دين الله الخالد ودعوة نبيه الخاتم، أدبه الذي ينطلق منه ويحمل رؤيته وتصويراته للإنسان والكون والحياة، أما ما تشير إليه الحاجة من أن "الذي يبعث على التخوف أن الدعوة إلى رواية إسلامية جاء مواكبة ما يختلج في هذه الآونة من دعوات سياسية واجتماعية واقتصادية مواصلة بالإسلام كلها، لا يكاد يتجاوز الصيغة الإعلامية الصرفة، وما يحاول منها أن يكون منهجيا وجادا لا زال يلتمس سببه إلى الجذ والمهجية بخطوات حذرة ابتدائية تريد أن تستبين معالم الطريق" (1).

ويبدو أن هناك نخبة طيبة من علماء الأمة الإسلامية يبذلون قصارى جهودهم في إضاءة جوانب الحياة المختلفة على هدى وبصيرة، ومنهم: الداعون إلى الأدب الإسلامي، والذين نجحوا في تأسيس "رابطة الأدب الإسلامي العالمية" سنة 1405هـ حيث كان دورها فعال في نشر عدة كتب عن الأدب الإسلامي تحاول أن تدرسه من كافة جوانبه، وعقد ندوات ومؤتمرات في الهند وتركيا والقاهرة لدراسة المصطلح وتحديده ودراسة بعض جوانب أدبنا القديم والحديث في إطاره.

وقد ساهمت "رابطة الأدب الإسلامي العالمية" بفضل كتابها المتفوقين إلى تحديد مصطلح الأدب الإسلامي نظريا وتطبيقه على أعمال أدبية متفوقة، كما عملت على "إطفاء نار التخوف من أن يؤول مصير هذا الأدب إلى الانطفاء، كما أنطفأ بريق" الأدب الملتزم" وزال مع زوال الاشتراكية، لأنها على يقين أن الأدب الإسلامي والرواية

(1) حسين علي محمد، الأدب الإسلامي وقضاياها المفاهيمية، هبة النيل العربية، مصر، ط2، السنة 2009، ص179.

الإسلامية ينطلقان من عقيدة كتب الله لها الخلود، ولم ينطلق من فكري بشري نشر بقوة الإرهاب والتسلط، ولا يمكن مقارنة فكري بشري كالاشرافية-بأي حال- بالإسلام، فالمقارنة ظالمة وغير موضوعية" (1).

ولعل الدعوة إلى الرواية الإسلامية تستدعي التساؤل الآتي:

-هل نحن بحاجة إلى رواية إسلامية؟

وأظن أن هذا السؤال يثير عددا من الأسئلة الملحة التي أثارها عدد من الأدباء الإسلاميين من بينهم "حسين علي محمد" لعدد من دراساته ولعل أبرز هذه الأسئلة:
-هل المهتمون بالأدب الإسلامي فعلا يدفعهم توق حضاري إسلامي إلى تحقيق فكرة الأدب الإسلامي نظريا وتطبيقيا، أم أنهم يأخذون الأمور أخذنا سطحيا والاكتفاء برفق الأشياء "لماذا لا تعتقد جريدة" المسلمون" بالاشترك مع غيرها من الجرائد والمطبوعات الهامة بأن يكون الإسلام منهاج حياة، ندوة عن الإسلام وإشكالات الأدب المعاصر"، ولتكن ندوة سنوية تدعو فيها المختصين في الأدب الإسلامي مع بعض الفقهاء المهتمين بهذه القضية ليدلوا فيها بدلائهم في الفنون الإسلامية ومنها الرواية.

وستكون هذه الندوة بأبحاثها ومناقشاتها مجالا لاختبار بعض الآراء التي لا تبقى الساحة وقفا على بعض الأقلام التي قد تدعي في العلم معرفة بينما تفوقها معرفة أشياء كثيرة؟" (2).

ولعل الإجابة عن هذه الأسئلة تفرض على الأديب المسلم وعلى الجامعات الإسلامية ككل ملازمة الأهداف التي بها يستطيع أن يحقق المجتمع الأدبي الإسلامي فن الرواية الذي يخدمه ويخدم أمته ويمكن إجمال هذه الأهداف فيما يلي:

1- يجب التفريق بين الرواية ذات التصور الإسلامي والرواية التي تمتلئ بها الكتب العربية بالعاميات المحلية، وكما يكون التصور إسلاميا لا بد من أن يكون الروائي المسلم يملك إلى جانب موهبته الشخصية ما يؤهله علميا وفكريا عليه أن يبدأ أولى خطوات القضاء على

(1) الأدب الإسلامي وقضايا المعاصرة، حسين علي محمد (مرجع سابق)، ص 180.

(2) المرجع نفسه، ص 201.

التخلف والانحلال ويتطلب منه ذلك أن يحلل مظاهر الخلل والاضطراب في المجتمع، ويبرز مواطن الضعف السائدة حوله. "فمهمة الرواية الإسلامية يتمثل في إقامة هذا الكيان وإصلاح اعوجاجه وإحداث التوازن في قيم المجتمع بحيث يضمن له الاستقرار والنماء والبناء" (1).

2- عندما تطالب الأقلام الإسلامية الواعية برواية إسلامية فهي تطالب بفن يتجاوز ما هو واقع، ويتجاوز مع أحلام الأمة في فن نظيف يثبت القيم الإسلامية ويقدم النماذج الطيبة ولا يتوسل بأية وسيلة يرى الإسلام أنها خارجة عن القصد، وقد يكون الفن الذي تتطلبه الرواية الإسلامية ليس هو التقريرية والمباشرة والسهولة التي نجدتها في الخطب والمواعظ، إنما هو "الأدب الذي يبذل فيها الأديب المبدع صاحب الموهبة جهدا ملحوظا ومعاناة في سبيل الجمال والإبداع، فهو أدب يتجاوز حدودا المباشرة إلى اعتماد اللغة التعبيرية وانتزاع أسرارها الجمالية...بتحويل الكلمة إلى ريشة تفرش الألوان دون تهينة الأرضية وشحن الأجواء وإشعال النار التي تحرق والنور الذي يضيء لتجيء القيمة أو الخبرة في إطار فني مقنع من مترع بالقدرة على التأثير" (2). وبهذا فقد استطاعت العديد من الروايات الإسلامية أن تحقق الصورة المثلى للرواية الإسلامية حيث تلتزم بالضوابط الشرعية والفنية للعمل الإبداعي "فالروائي المسلم يفترض فيه أن يكون ملما بتاريخ الأمة الإسلامية وجهادها الدائم في سبيل إعلاء كلمة الله، ودحر الأعداء الدائمين الذي حدد القرآن علاقاتهم بالمسلمين ونظرهم لهم، وما يكيدونه لهم، تلك العداوة المتمثلة في عداوة اليهود وحقد الصليبيين مكائد المنافقين ومن على شاكلتهم، هذا الوعي التاريخي لطبيعة الصراع بين الإسلام وأعدائه هو الذي يوجه رؤية الأديب، ويجعل حسه سليما وحكمه صحيحا ونظرته للأمر معقولة" (3).

(1) الأدب الإسلامي قضاياها المفاهيمية والنقدية، عباس محجوب (مرجع سابق)، ص30.

(2) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، عماد الدين خليل، (مرجع سابق)، ص81.

(3) الأدب الإسلامي، قضاياها المفاهيمية والنقدية، عباس محجوب، (مرجع سابق)، ص3.

وبهذا يبدو أن واقع الرواية الإسلامية يؤكد دورها في التعبير عن النظريات المتباينة والتصورات المختلفة التي تملأ عصرنا بالصراعات الإيديولوجية والفكرية ولهذا فإن الدعوة إلى رواية مطهرة أصبح ضرورة في الحياة الأدبية باعتبارها تلعب دوراً أساسياً في تقديم القيم الإسلامية السامية ومحاربة القيم الشريرة الهابطة، ويكون هذا بعلاقة حميمة مشترك فيها الشكل والمضمون.

I- الرواية الإسلامية وعلاقة الشكل بالمضمون:

1) دور المضمون في إبراز الأدب الأصيل:

يزخر أدبنا بتراث كبير يمتد على قرون، صور الحياة الإسلامية وأسهم في الدعوة والجهاد وحمل تجربة الأجيال المختلفة، وسجل أحداث العصور المتتالية، والأديب المسلم عامة والروائي خاصة دور كبير في مرآة الحياة الإنسانية، فأدبه الأصيل يتدفق خصبا ونماء وبحرا زاخرا بالآلئ والدرر وهو "المرأة التي ينعكس عليها وه الحياة وما يجري في حياتها وأعطافها فيعطي صورة صادقة رائعة تأخذ بالقلوب والألباب تقرأها الأجيال في تمتع وإعجاب" (1).

ولذلك يحرص الروائي المسلم على إشراقه أدبه وجودته ليكون مضمونه صافيا قويا بعقيدته، مما يجعله ثابتا في مواقفه "لأن القلم واجهة من واجهات الجهاد، بل إن دوره لا يقل عن أعتى الأسلحة وأحدث الوسائل في إلهاب الجماهير وتحريكها وإشعال الحماس في قلوبها، والذود عن الدعوة إلى الله وإبلاغها إلى الناس، ولهذا أقسم الله سبحانه وتعالى به لخطورة دوره وفعالية تأثيره وسرعة نفاذه إلى القلوب والعقول، وجاء ذكره في أولى آيات الوحي الإلهي" (2). قال تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ

(1) مجلة الأمة ع 50 سنة 1450 هـ/1985م، الأدب مرآة الحياة، صالح آدم نبيلو، ص85.

(2) مجلة الأمة ع 22، سنة 1402 هـ/1982م، الأديب المسلم ودوره في بناء المجتمع، عباس محجوب، ص6.

الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿ نَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ﴿٢﴾.

ويبدو أن هناك تحديات كبيرة تواجه الروائي الإسلامي في عالمنا المعاصر تتمثل في الحيرة والخوف والقلق، كما تتمثل في حالة الفوضى والضياع لعديد من القيم، وتلاحق الأحداث التي تحتم على الروائي ضرورة التصدي لأوجاع العصر بشجاعة وقدرة على الأمل والتصميم ومعالجة قضايا الفرد والجماعة.

والأهم من ذلك يطالب الروائي المسلم ويسعى في الوقت ذاته بفهم السيرة الحضارية الإسلامية مع وعيه بسر بقاء الرسالة الإسلامية وخلودها وعلو همتها عبر بقاع الأرض ومحاوله الخوض وراء أسرارها ورموزها مع يقينه بقوة الإسلام الصامدة التي تدفع إلى الإبداع والابتكار.

فالأديب المسلم وحده هو: " القادر على إرواء الظامئين وسد جوعة الجائعين وحدائه يبعث القوة والأمل والانتعاش في قلوب السائرين على الدرب الطويل حيث القيظ الحارق والعواطف الرعناء والأشواك المتناثرة هنا وهناك".

وبهذا فالروائي المسلم يطالب بتحقيق أقصى درجات الوفاق بين الجمالية والتأثيرية والتناسب بين الشكل والمضمون، لأنه يريد أن يكون: "كالزارع المتمرس الذي يعرف كيف يشق الأرض لكي تستقبل الماء المنصب من السماء، فتكون الحضرة الواعدة، مستمداً ذلك من كتاب الله الذي اعتمد جمال الكلمة وتأثيرية المضمون له وجدان الناس، وإيقاظ عقولهم وتحريك وجدانهم" ﴿٣﴾.

(١) سورة العلق، الآية: 1 . 2 . 3 . 4 . 5 .

(٢) سورة القلم، الآية 1.

(٣) مجلة الأمة ع 25 السنة 1402هـ/1982م، الأدب الإسلامي ومصادر القوة الصامدة، نجيب الكيلاني، ص 16.

وعندما تصدر الرواية عن استلهام القرآن الكريم والسنة النبوية فإنها تبني على أساس مضمون سليم وتأثير فني جميل.

وقد نجد الروائي الإسلامي يوجه طاقته المبدعة التي تقوم أساساً على الوعي الحضاري والإرادة نحو المسار الصحيح، في الرفع من قيم المجتمع الإسلامي والمحافظة عليها من مخاطر التبعية والانجذاب نحو الزيف والهوى...

وتعتبر الموهبة في إطارها الصحيح. نعمة كبرى من النعم التي أنعمها الله على عباده لقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾ (1) وقد يستثمر الروائي موهبته في التعبير عن كل مجالات الحياة "فيطرق كافة الموضوعات في مجال واسع ممتد وبعد إنساني كبير، وامتداد كوني رحب بحرية وسماحة وقوة وثقة دون تردد أو حيرة أو وجل أو هبوط، سائراً في درب الحياة عزيزاً قويا على صراط مستقيم" (2).

ولعل أهم الموضوعات التي ينبغي للرواية الإسلامية معالجتها والاهتمام بها تتمثل في "ثلاث مجالات رئيسية تشكل جوهر المضمون الأدبي ونواة الانطلاق والامتداد المجالات هي:

- 1- القيم السامية.
- 2- النهوض الحضاري.
- 3- الإمتاع الوجداني. (3)

(1) القيم السامية:

إذا كانت شروط الرواية الإسلامية الآفاق العليا في التصور، والرفعة في البناء الفني والفكري، بروحها الإنسانية الشاملة، بديلاً راقياً من النزعات الأدبية العالمية، ويكون لها دورها في توجيه البشرية عليها، بجوار تصحيح المفاهيم والتطلعات البشرية، إذا كنا نرجو

(1) سورة البقرة، الآية: 269.

(2) الأدب الإسلامي، إنسانيته وعالميته، عدنان النحوي، (مرجع سابق)، ص 43-74.

(3) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، (مرجع سابق)، ص 108.

للكرواية الإسلامية هذا الدور العالمي فلا بد من تحكيم القيم السامية وتبيين القواعد والأسس والخصائص التي يمكن الاقتداء بها لأنه لا بناء دون قيم، فبالقيم السامية يكون للرواية الإسلامية " دور كبير في تحويل البشرية وريادتها إلى الحق، وفي الارتقاء بالآداب والفنون على ضوء تكريم الله تعالى للإنسان واستخلافه في الأرض، لذا فإنصافاً لأخلاقه الراقية ودوره العالمي والإنساني يجعل بنا أن نعلي من قيمته الفنية وأن نرتقي بنتائجه فلا نقبل منه ولا نسمي أدبا إسلاميا إلا ما توافرت فيه الشروط الفنية....

إن الروائي الإسلامي هو الروائي الذي تتوافر في إنتاجه مقومات الأدب الإسلامي وخصائصه ، ويعني هذا أن يتكيف الأديب مع هذا المقومات والخصائص ويمثلها ثم يعبر عنها تعبيرا فنيا رفيعا" (1).

وعلى احتكام الأديب المسلم إلى المنهج الإسلامي لتعبير عن الأصالة الحقيقية التي تحمل في ثناياها روحا مبدعة وابتكارات تسحر الأسماع وتصل إلى الأفتدة لأنه بذلك يخوض التجربة بشجاعة المؤمن المجاهد، وسبيله إلى ذلك تمسكه بالإسلام تصورا ومسلكا، لأن الإسلام هو الذي يقدر قيمة الإنسان بمقدار تمسكه بالقيم العليا والعمل على تحقيقها، لأنه لن يكون إنسانا مستخلفا في الأرض دون تحقيق ذلك ولو ملك القوة والجاه والسلطان وهي القضية التي شغلت الغرب، وهو يسعى جاهدا إلى تحقيقها " وإن دعوى الفصل بين القيم الخلقية وبين الأعمال لهي أعجب ما جاء به الغرب في فترة انحطاطه الحالية" (2).

ويبدو أن القيم السامية عالم من النور الوجداني والإشراق الفني، والتعامل مع هذه القيم هو تحقيق لوعي حضاري وتأسيس عصر جديد " وق تعالت أصوات في بلاد الغرب تنادي بضرورة أن تكون للكاتب الكبير قيم يتمسك ويهتدي بها في عمله، ويستفيد عمله من معرفته لوجهته وغايته، وهو يستفيد من التجارب السابقة ويتعرض

(1) في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، محمد عادل الهاشمي (مرجع سابق)، ص32.

(2) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط8، السنة 1983، ص213.

لشتى أنواع المؤثرات والعوامل، وإنه لحمار كبير إذا اعتقد أن ما يقدمه للأدب هو من صنعه الخاص" (1).

والراوي المسلم يؤمن بالقيم النابعة من الإسلام إيماناً راسخاً بترجمة حقيقة ماثلة بقلبه وقلمه ولسانه وسلوكه" لأن هذه القيم هي المقومات الأساسية لبناء حياة جديدة بأن تقاس، وعندما تتلبد السحب وتحارب وتسجن هذه القيم فسيكون ذلك بمثابة إعلان عن بداية الشقاء البشري" (2).

ولعل من أهم القيم التي ترفع شأن الرواية إلى مرتبة الإسلامية ما يلي:

1) الإيمان الصادق، وهو أولى القيم وأعظمها في حياة المسلم، إذ تميز هويته التي تستند إلى عقيدة التوحيد التي تشكل أساس التجربة الأدبية وخالصة الإصلاحات التي يصبو إليها الروائي هو في ذلك يدعو إلى دعائم أهمها (3):

أ- ترسيخ الإيمان في النفوس وتعميق آثاره في السلوك.

ب- توحيد الله تعالى والإخلاص له في النية والعمل.

ج- العمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

د- الاقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين.

هـ- الإيمان بعالم الغيب والشهادة والعمل في إعداد الزاد للآخرة.

و- هدم عقائد الوضاعين ومذاهبهم وتصوراتهم والكشف عما تتضمنه من كذب وزيف وخديعة.

ز- محاربة البدع والضلالات، وهي الأمور المستجد التي تضر الإنسان وتتناقض مع المعلوم من الدين بالضرورة وهي قسمين:

البدع المحلية، والبدع الأجنبية، التي تنتقل عن طريق وسائل الإعلام والدعاية والسفر.

(1) دونالد آدمز، الأديب وصناعته، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، السنة 1983، ص 170.

(2) مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني (مرجع سابق)، ص 106.

(3) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعوي، (مرجع سابق)، ص 110.

(2) التفكير والتأمل:

تعتبر هذه القيمة من أبرز الدعائم التي تحرر العقل من الأوهام والمعتقدات المنحرفة، وقد يحرص الروائي المسلم على تجلية هذه القيمة الثمينة في إبداعه من خلال دعوته إلى (1):

أ- عرض الأدلة الكونية المتعددة التي تثبت وجود الله وقدرته، وأن كل شيء خلقه الله الحكيم بقدر موزون.

ب- التأمل في مناظر الطبيعة والاستمتاع بجمالها واستكشاف عظمة وجمال الخالق جل جلاله من خلالها، فالمسلم يستلهم الصورة القرآنية عن هذه الطبيعة "فهي ليست شيئاً جامداً في مادتها، وإن بدت كذلك فكل ما في الكون متحرك يسبح بحمد الله وفضله" (2).

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في كثير من آياته كقوله تعالى: ﴿الْمَرْتَرَانَّ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۗ﴾ (3).

ج- التأمل في حياة الأمم الغابرة والماضية، وأخذ العبرة من تجاربها ومواقفها وحضارتها في البناء والإعمار.

د- التأمل في حياة الأمم المعاصرة واستلهام الدروس بما يعزز الإيمان بقدر الله ويقوي اليقين والثقة بنصر الله للمسلمين.

هـ- التفكير العملي والعقلاني الصحيح في فهم الحياة والتعامل معها والعمل على تحقيق النهضة الشاملة.

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، ص 111.

(2) شلتاغ عبود، الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة، دمشق، السنة 1412هـ، ط 1، ص 88.

(3) سورة النور، الآية: 41.

(3) الحرية والمسؤولية:

لعلّ هذه القيمة هي من أغلى ما يفتخر به المسلم ويعمل للدعوة إليه محاولة منه إنقاذ المجتمع المسلم من أغلال العبودية ولا يخضع إلا لخالقه " فلا يتناول الأديب المسلم الحرية كشعار يتحدث عنه بل ليحققها في العالم، لأن الحرية الإسلامية هي حرية المسؤولية والالتزام، وهذا هو الذي يربط مفهوم الحرية عند الأديب بالممارسات التي تجعل الحرية في صالح الإنسان وفي سبيل الارتقاء بروحه ووجدانه" (1).

وهو يسعى في ذلك إلى تحقيق شعار "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" وربط ذلك كله بالقيم الإسلامية المتفتحة على التطور ومحاربة التعصب والجمود "إن خاصية الانفتاح تشكل بكل ما تمتاز به من مواصفات رافدا يساعد الجمالية الفنية على تحقيق ذاتها في النص الأدبي....

وقد تكون تجارب المسلم الحياتية أغنى وذلك بفضل رؤيته الكونية الواضحة التي تدفع صاحبها إلى الانغماس في الحياة بكل أشكالها" (2).

وبهذا فحرية الأديب تدفعه إلى أن يرتفع إلى مستوى التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية، ولعل من أهم جوانب الحرية والمسؤولية هي الحرية الفكرية المرتبطة بعطاء الأديب وإبداعه "وما لم يجاهد الأديب في سبيل حرية الفكر فإنه يصعب تحول المجتمع المسلم من مجتمع متخلف إلى مجتمع متطور" (3).

(4) الخلق الكريم:

لقد كان خير الخلق أكرمنا خلقا ولقد قال فيه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ ۝﴾ (4)، ولذلك كان الخلق الحسن معيارا أساسيا في ثبات الروائي على الحق

(1) شخثة الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، ص 112.

(2) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 56.

(3) مجلة الامة ع 22 سنة 1982 الأديب المسلم ودوره في بناء المجتمع، عباس محجوب، ص 7.

(4) سورة القلم، الآية 4.

في الدعوة إلى الخير قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (1).

والخير هو الغاية الأساسية التي استخلف من أجلها الإنسان وفائدتها سلام في الدنيا وأمن في الآخرة، و"الخير فائدة نهائية من صياغة التجربة الفنية الشعرية لدى الأديب المسلم التي تفيض نفسه بالإيمان الدافع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكي تظل الأمة كما كانت خير أمة أخرجت للناس" (2) والقيم الخلقية عديدة نابعة من الشريعة الإسلامية ومشوحات السيرة المحمدية "فمن أهم هذه القيم التي ينبغي أن يركز عليها الأديب المسلم في أدبه: الإخلاص في القول والعمل والإيثار، والكرم والشجاعة والأمانة والصدق والرحمة والعطف وحسن الجوار والتواضع والعفة وتب الغيبة والنميمة وعدم اللغو والقول وتعزية الفلسفة المادية اللاأخلاقية وغيرها" (3).

5) التكافل الاجتماعي:

وهو أيضا منطلق تشريعي مستمد من القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ ...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ (4).

وبما أن الأدب وليد المجتمع، باعتبار الروائي ينطلق من مجتمع محاولا في ذلك تأدية رسالة إلى المجتمع في وعي حضاري وعلاقة متينة هي "علاقة واضحة في فكر الأديب المسلم الذي يدرك أبعاد رسالته، ويعي تجاربه الحضارية ويفهم التلاحم الوثيق بين المبادئ الإسلامية وحركة الحياة على مدار العصور" (5).

ورغم أن الرقعة الجغرافية شاسعة وواسعة باتساع الأرض إلا أن الرواية الإسلامية تحمل على عاتقها غرس روح العمل الجماعي، ليست في الحفاظ على العادات ولا على

(1) سورة آل عمران الآية، 104.

(2) الطاهر محمد علي، الملامح العامة للأدب الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، السنة 1989، ط1، ص37.

(3) علي علي صبح ورفاقه، الأدب الإسلامي: المفهوم والقضية، دار الجليل، بيروت، السنة 1412هـ، ط1، ص42.

(4) سورة المائدة، الآية 2.

(5) نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، السنة 1987، ط2، ص71.

التقاليد ولا على الأعراف وإنما التوحد في كيان العقيدة والقتال في سبيل الله صفا واحدا، ومسؤولية الأديب المسلم ككل "تتجلى في إبداع قصص ومسرحيات بصورة خاصة تصور فنيا مختلف مظاهر التعاون والتكامل بين أفراد المجتمع الإسلامي" (1).

6) الدعوة والجهاد:

من الوظائف السامية التي فضلت الروائي الإسلامي عن غيره هي الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يستنهض الهمم ويبعث الحمية في النفوس للدفاع عن الكرامة والأعراض والمقدسات، فالروائي المسلم يكون داعية، والدعوة الإسلامية فرض وليست تجارة، فهو يؤدي الرسالة المقدسة دون نظر لأي مكسب مادي مهما كان مقداره.

ويصور كثير من الروائيين المعاصرين الأوضاع المزرية التي يتخبط فيها العالم اليوم، محاولين الإصلاح وإنقاذ البشرية من الانحلال والزيغ.

ويبدو أن "محمد إقبال عروي" قد تعرض لقضية القيم السامية، فخلص بالمعادلة القائمة على: "فقدان القيم = (يساوي) فقدان الالتزام الأدبي" (2). وقد أشار بعد هذا إلى كلام شكري محمد عياد يقول:

"إن قضية القيم حضارية أعم من النقد وأعم من الأدب نفسه، والقيم الأصلية في الحضارة هي التي لا تقبل الاختزال... ومن هنا يأتي حكم النقد على عمل أدبي بأنه جيد (لاقترابه من هذه القيم) أو رديء بابتعاده عنها" (3).

إذن فإن تقصير الروائي في استناده إلى القيم السامية والدعوة إليها من خلال إبرامه سيعرض أدبه إلى السقوط ولن يكون هناك شيء عاصم له من التردى إلى القاع مهما كانت تجربته عظيمة ومهما كان موضوعه كبيرا والعكس يكون صحيحا، فكلما

(1) عبد الحميد بوزوينة، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، دار البشير، عمان، السنة 1990، ط1، ص134.

(2) جمالية لأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص116.

(3) شكري محمد عياد من فصل "النقد الأدبي بين العلم والفن"، مجلة الفكر العربي، 354، ص212 (مقتبس من جمالية الأدب الإسلامي

محمد إقبال عروي، ص116.

تمسك الروائي بالقيم السامية والتزم بمنهجها الإسلامي كلما ارتقى إبداعه إلى أبعد نقطة وتفجر نوره لمبدعيه ومحبيه.

II- النهوض الحضاري :

لقد شرف الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية وذلك حين كلفها حمل الرسالة وجعلها أمة وسطا لتكون شاهدة على الناس قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾⁽¹⁾ ، فكانت هذه الرسالة بمثابة الهدى والرحمة "فازدهرت لهم حضارة سادت الدنيا ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا القيم السامية وأفسدوا ما عمّر الأجداد حتى آل المسلمون إلى هذه الحالة المخزنة في العصر الحديث فانبعثت أصوات أدباء الإسلام تستنهض في المسلم المعاصر وثبة الإيمان والقيام بالأمانة"⁽²⁾.

ولعل فهم الواقع ودراسته واتباع المثل العليا في معالجة قضاياها والنهوض به إلى أرقى مستوى قد يكون بالرجوع إلى المصادر الحقيقية المستمدة من الشريعة الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم وتفسيره ثم السنة النبوية إلى جانب سيرة السلف الصالح والكتب الفقهية ودراسة التاريخ، ولك هذا لا يمنع الروائي من أن يكون متبعا للإعلام والمجلات والصحف والقنوات التلفزيونية والرقمية التي تهتم بالمجتمع وأحواله العامة.

وأظن أن النهوض الحضاري لا يتم فقط بإدراك المصادر الإسلامية دون أن يدعو إلى المعالم التي تنهض بالأمة وتقوم ما هو فاسد وما هو سليبي، ولعل من أهم هذه المعالم:

1- محاولة تغيير واقع المسلمين الحالية:

فلقد أصاب الأمة الإسلامية نوع من الضياع والانحطاط والخن وهذا نتيجة لبعث المسلمين عن دينهم، فضعفت قوتهم وتفرقت كلمتهم فأصبح لزاما على الروائي الإسلامي أن يحشد طاقاته الأدبية من هذه النكبات: ومثل هذا يحتاج إلى مخطط مدروس

(1) سورة البقرة الآية، 143.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، ص 115.

والسعي إلى تطبيقه ولهذا لا بد من "تشجيع الدولة للأدباء والكتاب والفنانين، ورعاية الناشئين منهم والاهتمام بمصادر الثقافة ووسائلها، والارتفاع بها إلى مستوى المسؤولية وإعادة النظر فيما يقدمه المسرح والسينما والصحافة والإذاعة والتلفزيون من مواد ثقافية وتوجيهها توجيهها جادا يفتح أعين الشباب على آفاق جديدة، ويكسب حياتهم عمقا واكتمالا على الدخول في حوار حضاري مع العالم" (1).

ولعل هذا التخطيط يقوم على أسس ودعائم أهمها:

أ- تصوير جرائم المستعمرين العسكرية والمتمثلة في المذابح المرتكبة في كل بقاع العالم الإسلامي، والسياسة المتمثلة في طمس وتشويه الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية.

ب- الدعوة إلى التغيير وتبني الأسس الشرعية الإسلامية لقوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (2).

ج- بيان مواطن الضعف والخلل في المجتمع الإسلامي ومعالجتها، وقد عالج هذه المواطن أبو بكر الجزائري ومنها:

*الضعف الروحي المادي.

* الخلاف المذهبي والعصبية القبلية والإقليمية.

*اليأس من إحداث التغيير المطلوب.

*الجهل بأحكام الإسلام وشعائره.

* انتشار الآفات الاجتماعية والانحراف وعدم تحلي المرأة بالأخلاق الإسلامية.

*التآمر العالمي على المسلمين وانتشار المكر اليهودي بين الدول الإسلامية (3).

ولعل مواطن الضعف كثيرة ومتشعبة تشمل جميع المجالات لكن الروائي المسلم

يحاول تبليغها عن طريق مضمون يؤدي الرسالة الصحيحة.

(1) محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة العربية، بيروت، السنة 1983، دط، ص 131.

(2) سورة الرعد، الآية 11.

(3) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، ص 116.

2- التربية الإسلامية:

لعل من المهام الأساسية التي تدعو إليها الرواية الإسلامية هي الانطلاق من تربية سليمة ونشرها عبر فنها الأصيل لأنه "على الأديب في ميدان التربية أن يدعو إلى ترسيخ دعائم التعليم الإسلامي في كافة المجالات التربوية" (1).

واعتقد أن الروائي بتربيته الإسلامية الرشيدة يمكنه إبراز معالم عديدة لتمكين هذه التربية منها:

أ- تخلص الفكر والمنظومة التربوية من التبعية الفكرية الفاسدة.

ب- جعل الدين المادة الأساسية لتدريس المواد الأخرى.

ج- العناية باللغة العربية الفصيحة لغة العلم والأدب والسياسة والإعلام وذلك "بمواجهة المخططات التآمرية عليها التي تهدف إلى محو القرآن من صدور المسلمين وتحقيق أهداف الغزو الفكري ومنها القضاء على لغة القرآن وعدم فهم التراث العربي الإسلامي وسيطرة اللهجات العامية، وإحلال المدنية الغربية الفاسدة محل الحضارة الإسلامية عن طريق سيطرة لغاتها الأجنبية" (2).

وأظن أن هذا كله يكون متبوعاً بوعي حضاري قد يكون الروائي مطالباً بنشره وإبراز أهمية التفكير العلمي في قالب أدبي مميز بتفكير مستنير حيث "لا يكون الوعي إيجابياً إلا إذا نمت أساليب التفكير العلمي عن طريق البحث والتقصي والتجرد من الهوى بحيث تكون الأهداف الإسلامية جزءاً من التركيب العاطفي والوجداني والعقلي والإداري للفرد المسلم" (3).

ولعل من المهام أيضاً المرتبطة بالرواية نجد التركيز على محاربة كل مظاهر التخلف والجهل وحتى الأمية في حياة المسلمين لأن "الأديب المسلم بينائه النماذج الاجتماعية المرتادة وتهديمه البدائل القبيحة التي عززتها وأتاحتها، إنما يمارس مهمة مزدوجة تتضافر في

(1) عباس محجوب مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر، السنة

1406هـ، ط2، ص 124.

(2) الأدب الإسلامي، المفهوم والقضية، علي علي صبح ورفاقه، (مرجع سابق)، ص 47.

(3) الأديب المسلم ودوره في بناء المجتمع، عباس محجوب (مرجع سابق)، ص 08.

نهاية المطاف لكي تؤدي وظيفتها الاجتماعية على أحسن ما يكون الأداء" وبهذا يكون الروائي على قدر كبير من أن يرفع المستوى الحضاري بإبداعه، وقد أكد على هذا محمد إقبال عروي في قوله " بين يدي أكثر من عشر روايات وقصص، وأزيد من عشر دواوين، وما من قصة أتأملها، أو قصيدة أقرأها غلا ويصدمني فيها هذا العشق النبيل للواقع، والسعي بالدم والدمع والخبر، من أجل تغييره ورفعته إلى المستوى الذي ينشده الخالق تعالى لهذه الإنسانية... "(1).

3) الوحدة الإسلامية:

يبدو أن أعداء الإسلام يجتهدون حتى لا يعرف المسلمون الوحدة فيما بينهم، وهو ما تحقق؛ وزيادة على ذلك يحاولون نشر الحق والعداوة في أوساط الأمة الإسلامية وهذا ما أدى بالروائي المسلم إلى الإشادة بالوحدة وإعلانها والإصرار على تطبيقها وسعيه في ذلك رغبة في تجمع المسلمين تحت لواء الحق والحرية والقوة وإخراجهم من هوان الخلاف والفرقة، فالوحدة هي السبيل الأمثل في ضم الأمة الإسلامية لشمليها وبناء أمجادها وإعلاء حضارتها، وتحقيق الأهداف الكبرى التي يطمح إليها المسلمون ومن أهمها (2):

أ- الحفاظ على القرآن الكريم والحديث الشريف المصدرين الأساسيين.

ب- الحفاظ على التراث العربي والإسلامي والأبجد التاريخية.

ج- الحفاظ على ثروات الأمة الإسلامية ومنع العدو من استغلالها.

د- الحفاظ على كرامة المسلم وحرية في أي موقع من مواقع العالم.

هـ- مواجهة أعداء الإسلام صفا واحدا واسترداد المقدسات والأراضي المحتلة.

و- مواجهة المستشرقين والمستغربين صفا واحدا.

ز- مواجهة الحرب الداخلية التي يدبرها ضعاف المسلمين كأصحاب الفرق الضالة والبدع.

(1) وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي، عماد الدين خليل، (مرجع سابق)، ص 10.

(2) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 84.

ولقد دعت الرواية الإسلامية وما تزال إلى الوحدة الإسلامية، وإلى دور التكامل في البناء الحضاري وإبراز المجد الإسلامي كمجد ليس ككل الأجماد.

(4) الحضارة الإسلامية:

لقد عرف الإسلام حضارة عريقة شيدت أبنية وعلقت أوسمة وألفت العديد من العلوم.

ولهذا فالروائي المسلم مطالب بدراسة عميقة في تاريخ الحضارة الإسلامية حتى تتحقق في روايته:

أ- معالم الحضارة الإسلامية الصحيحة "حضرة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في الإبداع والإنجاز والعطاء بشهادة عمالقة الفكر الغربي المعاصر" (1).

وقد تكون هذه الإشادة مصحوبة بإبراز سمات الحضرة الغربية المعاصرة لمواجهتها والتزود بإيجابياتها والتحذير منها ومن خلفياتها وهذه السمات تتلخص فيما يلي: (2)

-التصور القاصر المضطرب في معرفة الألوهية.

-سيادة التزعة المادية التي تؤمن بالمادة وحدها وتفسر بها الكون والمعرفة والسلوك.

-التزعة العلمانية الإلحادية التي تؤمن بفصل الدين عن الدولة.

-قيام هذه الحضارة على الصراع في كل النواحي: بين الإنسان ونفسه والإنسان والطبيعة، والإنسان وأخيه الإنسان والإنسان والآلة!

ب-إبراز أهم خصائص الحضارة الإسلامية في العالم التي تشمل بدورها عدة سمات من أهمها: (3)

-أثر القيم الخلقية في تقدم البشرية ونهضتها منذ عصر الرسالة حتى دخل المسلمون أوروبا.

-السُّمو في نظام الحكم الإسلامي ونظام الشورى والسياسة.

-القيم المثلى في بناء الأسرة والمجتمع بأسمى التعاليم والنظم الاجتماعية.

(1) عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيزيدن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، السنة 1992، ط4، ص79.

(2) مجلة آفاق الإسلامي، ع 1، السنة 1995، الإسلام وحضارة الغد، يوسف القرضاوي، ص45.

(3) الأدب الإسلامي، المفهوم والقضية، علي علي صبح ورفاقه (مرجع سابق)، ص45. 46.

ج- بيان حاجة البشرية إلى حضارة إسلامية تعبد إليها إيمانها بالله وبالقيم العليا. ويعي الإنسان مصالحه المتعلقة بالمشاعر الربانية، وتقدم البشرية نظاما متميزا بالتكامل والتوازن غير منهج الحضارة الغربية، والحضارة الإسلامية تقف فريدة في طابعها وتأثيرها، "لأن الإسلام كله حضارة، وإصلاحه العقائد الفاسدة في الجاهلية القديمة والحديثة وتقويمه ما اعوجج من الأخلاق، وإيمانه بضرورة الخلق الكريم والسلوك المستقيم، وتنظيمه المعاملات والعلاقات الاجتماعية، وإقراره الحقوق مطلقا لأبنائه وأعدائه على درجة سواء، وحرصه على إقامة برج الحق والعدل بين الناس، لأنه دين الحق والرحمة، ومقاومته لكل عوامل الشر والفساد ومنع العدوان، وقمع الإجرام وتهذيب النفوس البشرية وكونه نظاما روحيا ومدنيا وماديا، وتشجيعه كل أعمال الخير والبر، كل ذلك من أبرز المظاهر الحضارية" (1).

فهي حضارة خالدة لأنها مرتبطة بالقرآن الكريم، كلمة الله الخالدة، ولأن الأدب كان عنصرا من عناصر هذه الحضارة الإسلامية، ولسانا من ألسنة الدعوة الإسلامية، فهي تحرص أو ما تحرص على القدوة والمثل وتهتم بالفعل دون أن تهدر قيمة القول.

II- الإمتاع الوجداني :

لعل من مقاصد الروائي المسلم وغاياته هو إبداع رواية تتمتع الأسماع وتزين البيان، وتسحر الوجدان بلذة الجمال المحرك للعواطف الكامنة والمشاعر الرقيقة "ولا بد أن تتوافر في الأديب صفتان أساسيتان في التعبير الوجداني هما:

1- أن يكون إحساسه بالحياة أدق وأعمق من إحساس الجماهير.

2- أن يعبر عما يحسه بطريقة متميزة تعبيرا أسمى من تعابير الجمهور مظهرا فيه نفسه وتأثيراتها" (2).

(1) وهبة الزحيلي، الإسلام وأصول الحضارة الإنسانية، دار المكتبي، دمشق، السنة 2001، ط1، ص 11، 12.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، (مرجع سابق)، ص52.

وقد يعتمد العمل الأدبي في الرواية الإسلامية على جزأين أساسيين هما:

" التجربة الشعورية ثم التعبير عنها تعبيرا موحيا جميلا" (1).

فأما التجربة الشعورية فهي انفعال الروائي بموضوع ما، أو بمؤثر ما، أو بموقف من المواقف يتحرك له وجدانه فيأخذ قلمه في التعبير عنه تعبيرا جميلا مؤثرا في نفوس الآخرين لينفعلوا مثل ما انفعال هو.

وقد لا تكون التجربة ناجحة منتجة ما لم تتوافر فيها الشروط التالية: (2)

1- أن تتضح عناصرها في نفس صاحبها، وتنضج وتبلور أبعادها في ذهنه، فيلمّ بجوانبها إلماما وتمايز صورتها لديه.

2- أن يتعاون فكره وخياله في ترتيب وتنسيق عناصرها، ووصل بعض أجزائها ببعض حتى تبدو كائنا سويا لكل عضو فيه مكانه المحدد، ودوره المرسوم وإلا جاءت هذه التجربة كائنا مشوه الخلقه مختل البناء.

3- من المهم اللازم أن يظهر في التجربة عنصر الصدق والإقناع النفسي لصاحبها حتى تجيء تعبيرا صادقا أمينا عن شعوره ووجدانه.

4- أن يكون وراء هذه التجربة مغزى يفيد الحياة شيئا.. فإن فقدت التجربة هذا المغزى كانت إهدارا للوقت والجهد الذهبيين وكانت عبثا لا خير فيه !

5- ويأتي خامسا-وأخيرا-دو التعبير عن هذه التجربة، ولا يقصد بالتعبير هنا مجرد التعبير، ولكن يراد التعبير الذي يرسم الصورة الجميلة الموحية المؤثرة المثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين...

فلا ينبغي للروائي أن يكون مصورا ناقلا بل "المصور الفنان هو الذي يخلع على الصورة ظلا من نفسه وخياله، وتظهر في صورة شخصيته واضحة متميزة وأن يكون له ذوق أرق من الأذواق يستطيع به الملاءمة في الإحساس والتناسق في التعبير" (3).

(1) من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم سيلو، (مرجع سابق)، ص52.

(2) المرجع نفسه، ص53-54.

(3) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، ص 126.

وقد يجتهد الروائي ويكرس جهوده للوصول إلى القلوب فينير فيها شموع الأمل والمحبة والإحساس بالجمال الباهر، فيلجأ إلى الزينة الشاملة لكل مظاهر الخلق الرباني، لأن الله جميل يحب الجمال، ولقد أبدع الخالق حينما اختار لفظة الزينة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (1).

وهذه نعمة كبيرة من نعم الله في الحياة "فلو أن الحياة وحاجاتها مرتبطة بأشياء لا زينة فيها، فلا ملاءمة بينها وبين شهوات الأنفس وغرائزها وطبائعها لكان السعي لاستمرار الحياة مشكلة تستعصي على الحل" (2).

فهذا الإمتاع الوجداني لا يؤدي دوره في التأثير على وجدانات الآخرين ومشاعرهم ما لم يكتمل تصويرها الفني صياغة وأسلوباً لأن هذه الصياغة الفنية هي وحدها الطريق إلى الصور الخيالية ما فيها من إيجاء وتأثير وإبراز للعيان.

وقد تتلاحم جوانب مختلفة ومتكاملة في الوقت نفسه لتؤدي دور الإمتاع ويمكن حصر هذه الجوانب في (3):

- الجانب الجمالي.

- الجانب العاطفي.

- الجانب الفكاهي.

وهي جوانب تتكامل فيما بينها لتعطي الرواية متعة فنية تجعل من الإبداع يسري في الوجدان.

1- الجانب الجمالي:

الرواية الإسلامية تعبير تلقائي، وتعبير طبيعي وصرة صادقة واقعية عن حياة إسلامية عاشها الروائي أو عايشها، فلا يجد من خلال حياته وتعبيره عن هذه الحياة

(1) سورة الكهف، الآية، 07.

(2) عبد الرحمن حنيكة الميداني، مبادئ في الأدب والدعوة، دار القلم، دمشق، بيروت، السنة 1402هـ، ط1، ص25.

(3) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، ص127.

إلزاما ولا تناقضا، لأنه يعطي صورا طبيعية صادقة عن حياته وتجربته ويحس انسجاما داخليا وراحة وطمأنينة وفرحا في تعبير عن هذه الحياة.

ويبدو أن القضية ليست علاقة بين أدب وفكر، وليست تصحيحا للعلاقة التي سادت بين الآداب والعقائد وليست إنصافا للعقيدة.

فالرواية الإسلامية قرينة الحياة الإسلامية وقرينة بالإسلام، والإيمان بهذا الدين كمنهج حياة شاملة وليس فكرا ولا شعائر تعبدية، وهي لون من الأدب الإسلامي الذي ينحصر في تعريف مجمل هو: "التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي" (1).

فالتعبير والفن يجمعهما الجمال لأن الروائي المتأمل في الخلق والحياة والطبيعة يجد أمامه لوحة كونية جمالية كبرى أبدع في تصويرها خالق الكون فأروع في إتقانها وأعظم في صنعها، قال تعالى: ﴿... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (2).

وهي لوحة بديعة متناسقة تهمز الوجدان وتوقظ الإحساس وتحرك اللسان فتبعث في النفس المتعة والمسرة.

وعلى الروائي المسلم أن يكون موقفه إيجابيا من هذا الجمال الأخاذ وأن يتفاعل معه ويعكس كل ذلك على أدبه، وقد يظهر هذا الانعكاس في صور متعددة منها: أ- إبراز السمات الجمالية للكون (3) من دقة معجزة، وتناسق عجيب في توزيع الألوان والظلال على الأضواء والكائنات في رقعة بسيطة بصورة تلفت الحس وتستريح لها العين وتهدأ لها النفس وتخضع الأعصاب لتذوقها.

ب- الدعوة إلى الاستمتاع بالجمال: وذلك من خلال ربطه بالهدف الأسمى للحياة وهو "العبودية" ويكمل في التأمل في ملكوت الخالق والاستمتاع بالأنعام والدواب والترين باللباس، والتمتع بطيبات الرزق الحلال، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ

(1) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريغش (مرجع سابق)، ص 114.

(2) سورة المؤمنون، الآية 14.

(3) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب (مرجع سابق)، ص 85.

كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... ﴿١﴾ (1).

وقد نجد القرآن الكريم قد صور المال البديع في صورته الحسي والمعنوي من خلال التفكير في قدرته والإجلال لعظمته والإخلاص لرحمته.

ج- تعميق الإحساس بالجمال وتدوقه لأن الإحساس بالجمال ينبغي أن ينبع متدفقا من نفس الأديب المسلم ويلقي بظلاله الوارفة على أوتار المعجبين المتذوقين للجمال ليصلهم بالجمال الأعظم، جمال الخالق سبحانه وتعالى " (2).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، قال "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس" (3).

ولقد سحر القرآن الكريم العرب سواء منهم من شرح الله صدره للإسلام ومن جعل على بصره غشاوة وسيظل يسحر الإنسان ما دام ينظر ويعقل ويتفكر.

ومهمة الروائي المسلم تعنى بصقل الأذواق وتنميتها ويسعى في ذلك إلى "غرس الشعور بالجمال المبتوث في أجزاء الكون في قلب كل مؤمن ليرى يد الخالق المبدعة ويصير جماله في جمال ما خلق وما صور في السماء والأرض والنبات والحيوان والإنسان" (4).

فهذه صورة من صور التأثير الوجداني النابعة من الذوق الصادق للقرآن الكريم تجعل الروائي المسلم يصدر عن موقف جمالي أصيل في التذوق والتأمل.

(1) سورة الأعراف، الآية 31 - 32.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، 129؟

(3) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، م 1، ج 2، ص 89.

(4) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، القاهرة، السنة 1993، ط، ص 148.

2- الجانب العاطفي:

لا يخلو الإنسان مهما كان جنسه من العاطفة ومن تنوعها من حب وكرهية وانفعال، والروائي يصدر في إبداعه الأدبي عن التصور الإسلامي الصحيح عاطفة الحب وغريزة الجنس بالصورة الصحيحة العفيفة، فيستطيع أن يعبر عن المشاعر النابعة من أعماق النفس المتعلقة بالعاطفة ونزعات الجنس وفق الضوابط الإسلامية التي تكسب الرواية صبغة إسلامية، وقد يكون ذلك من خلال:

أ- التصدي للأدب الماجن القائم على الكذب والزور وشم الأعراس وهو "يكشف الخدار الفارقين في الإسفاف والابتذال، لهذا فهو يحاول القضاء على الداعين إلى الفجور والتهتك وبخاصة في كتب التراث القديمة وما ينشر في العصر الحديث من أدب إباحي في القصص الخليعة والأفلام الماجنة" (1).

ب- تقرير النظرة الإسلامية الصحيحة للجنس، وهي نظرة نيرة تضيء الحقيقة الإسلامية على أساس أن الجنس غريزة من غرائز الإنسان وطاقة من طاقاته الفطرية التي يجب أن تصرف ويندفع بها في الإطار الذي حولها لها الدين الإسلامي لتحقيق أهدافها السامية وهي:

- تحقيق أواصر الرحمة والمودة بين الرجل والمرأة لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2).

- تكوين الأسرة مبعث الاستقرار والراحة ومنشأ الأجيال الصالحة المتباهية يوم القيامة.

ج- تحقيق الجانب الفطري الغريزي وذلك، "بالدعوة إلى الطرائق الصحيحة للإشباع الجنسي والتحذير من الزنا وارتكاب الفواحش، ويكون ذلك بالتمسك بالعفة والفضيلة

(1) مجلة الأدب الإسلامي، ع 5، السنة 1995م، ظاهرة الأدب المكشوف في كتب التراث، محمد رجب البيومي، ص 25.

(2) سورة الروم، الآية 21.

وتجنب المغريات والمثيرات والاختلاط، والحث على الزواج وإحصان النفس، والحرص على قدسية العلاقة الزوجية حفاظاً على المروءة والشرف وصيانة الفرد والمجتمع" (1).

إضافة إلى ذلك فقد تحض دعوة المرأة إلى الاحتشام بالدور الكبير في الرواية الإسلامية "متأسية بأمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح لتحقيق مرضاة الله والسعادة الطيبة في الدارين" (2).

وقد يجد الروائي المسلم في التعبير عن الجنس النموذج الرائع في سورة سيدنا يوسف - عليه السلام - كرمز للعفة والطهارة وانتصار الفضيلة على الرذيلة والثبات على الإيمان.

3- الجانب الفكاهي:

من الطرق التي يلجأ إليها الراوي في الإمتاع الوجداني هي: "الترويح عن النفس وإدخال السرور على قلوب المتلقين بالطرفة المضحكة، والحكاية المسلية والكلمة الساخرة اللاذعة، والخبر الطريف، والمزاج العذب، على أن يكون ذلك وفق المقاييس الإسلامية، لفن الفكاهة:

أ- العفة وعدم الإفحاش في القول.

ب- قول الحقيقة بالأسلوب الحسن اللين.

ج- عدم الاستغراق أو الانكباب على هذا اللون الفكاهي أو الاهتمام به دون سواه لأن في ذلك ضرباً من البلاهة والعتة وخرجا عن طبائع الأشياء.

د- الارتباط بالهدف الأسمى للأدب الإسلامي وهو تحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالى" (3).

وقد يكون موضوع الرواية جادا وأحداثها مأساوية ومع ذلك يحاول الروائي المسلم في مداخلته أن يضيف نوعاً من الفكاهة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حسن ذكاء المبدع، وهو في هذا كله يتحلى بالرزانة والصدق والرواية عندما "تستدق"

(1) - فتحي يكن، الإسلام والجنس، مؤسسة الرسالة بيروت السنة 1983، ط1، ص23. 24.

(2) - الإسلام والجنس، فتحي يكن (مرجع سابق)، ص29.

(3) - الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني، (مرجع سابق)، ص34.

وتعلو وتؤدي غاية الفن المكتوب كأحسن ما يؤدي كلام وتؤدي رسالة في أبلغ بيان، لأنها تمسك مدخلا لطيفا إلى باحات النفوس من غير أن تثير ومضة أو تهيج نفسا أو تهز فكرا وتلجئه إلى التفطن وإمعان الرؤية" (1).

وبهذا تؤدي الراية هدفها الأسمى ومطلبها المنشود في تحقيق المضمون الأدبي كمطلب أساسي في تأدية الرسالة والارتقاء بالرواية إلى مرتبة الإسلامية.

(III) الشكل الفني:

يعنى الإسلام بالجمال من مختلف جوانبه سواء أكان الجمال الخارجي أو الجمال الداخلي ابتداء من جمل الفكرة وجمال السلوك وجمل الخلق التي تتخذ لتكون سمة من أهم السمات التي تختص بها الرواية الإسلامية.

فحين يكسو المضمون حلة جمالية بديعة يتحقق النموذج الفذ الذي يجلب المحبين وييهو السامعين ولأن "الشكل الفني لا يقل أهمية عن المضمون في تشكيل العمل الأدبي فهو كالقشرة الذهبية التي تغلف اللب الشهي، وتشد أواصله، وتتخلل أعضاؤه فتكون الثمرة الطيبة اليانعة الزاهية" (2).

ويبدو أن الروائي المسلم كان محظوظا كونه مسلما وكون أن أساس حياته كتاب في من حسر الجمال ما تقشعر منه الأبدان وما تحشى منه النفوس "لقد تلقى العرب القرآن مسحورين، وكان إحساسهم بالجمال الفني تلقائيا، يحسونه في ضمائرهم ويصورونه بتعابيرهم" (3).

وبهذا يكون الإسلام مناصرا للعنصر الجمالي إذ يقر بأهميته في إحداث الانفعال المطلوب في نفسية المتلقي، ولكنه لا يجعله مقصورا على اللغة أو الصورة أو البناء أو العاطفة أو حتى الطرافة بل يتعدى ذلك إلى إحداث التأثير بوسائل جمالية متنوعة تتلاءم والقصور العام، ومن جهة أخرى فقد "لا تعد الوسائل الجمالية وحدها المقياس في بلوغ

(1) الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، الطاهر محمد علي (مرجع سابق)، ص 12-13.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي ص 136.

(3) الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، العراقي لخضر، (مرجع سابق)، ص 34.

الانفعال لدى المتلقي، فهناك عناصر أخرى غير جمالية تتدخل في إثارة المتلقي، تتعلق بالفكر وطبيعة المتلقي نفسه" (1).

وجدير بالروائي أن يحرص على العناية بالشكل الفني واستعمال التعبير المصور الموحى فهي "طريقة تخاطب الحس والوجدان ويصل إلى أعماق النفس الإنسانية من منافذ شتى" (2) حيث أنه "يرسم للمعنى صورة أو ظلاً، ويدل اللفظ المصور على معناه دلالة تصويرية تخيلية موحية مؤثرة، وينقل المعاني والحالات النفسية في صورة شاخصة موحية، يرد القصص والحوادث والمشاهد والمناظر شاخصة حاضرة فيها الحياة والحركة والحوار، وينطبع في النفس صورة من صنع الخيال" (3).

ولعل الروائي المسلم غير ملزم بشكل فني محدد، بل له مطلق الحرية في اختيار الشكل الذي يناسب عمله الأدبي، و"إنما يتبعه الإلزام في مراعاة جوانب تعنى بالشكل الفني وهي:

أ-عدم مخالفة الشكل القيم الإسلام ومبادئه، إذ ليس الأديب المسلم رخصة ولا خصوصية تميز له ما لا يجوز لغيره من المسلمين.

ب-بلوغ قمة الروعة في جمالية الشكل والتجويد و الأداء الفني حتى يكون أدبه شرارة توقظ القلوب بجرارة التجربة ولهب الإبداع ونورا بيدد ظلمات التيه.

ج-اختيار الشكل الفني الذي يرضي أذواق النقاد ويجذب القراء بمسؤولية ووعي بما يقدم من فكر أو يرشد إلى سلوك أو يعبر عن علاقات" (4).

هذا الاعتناء بالشكل الفني من طرف الروائي لا يكون على حساب المضمون وإنما كل منهما يكمل الآخر بل ويضيف الجانب الجمالي إلى المضمون دوراً حيويًا في الرواية إذ يزيد من تفاعل شخصياتها وبلوغ ذروتها وتمازجها على الوجه الصحيح.

(1) الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، شلتاغ عبود، (مرجع سابق)، ص 108.

(2) الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، العربي لخضر (مرجع سابق)، ص 76.

(3) صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير عند سيد قطب، (عن الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية)، ص 269.

(4) المجلة العربية ع 2003، السنة 1994، مفهوم الأدب الإسلامي ومميزاته، عبد القدوس أو صالح، ص 117.

ويبدو أن قضية الشكل والمضمون من أهم القضايا التي شغلت النقاد قديما وحديثا فأفاضوا فيها القول، وخاضوا في دقائقها كثيرا، وكان منهم انتصر للمعنى ومن آثر اللفظ وغظ من المعنى، ومن ساوى بينهما، وعدهما مرتبطين كارتباط الروح بالجسم" (1).

والقرآن الكريم هو النموذج المثالي للمزج بين المضمون والشكل فهو يمزج بين الغرض الديني والغرض الفني، واتخذ القرآن من الجانب الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، لهذا السبب نرى أن الأمر كانت طبيعيا لأن يختار القرآن في التعبير عن مختلف الموضوعات والأغراض التي طرقها، الطريقة التصويرية قصد تحقيق التأثير المطلوب في نفس المتلقي" (2).

ولعل من أروع مظاهر الجمال أن ينبع أولا من أعماق النص وروح المعنى قبل أن يسكب رحيقه في الشكل الفني، ومن مظاهر ذلك (3):

أ-تناسق الأفكار وترابطها بوشائجها المنطقية وتكاملها دون إمعان للفكر.

ب-الانتقال من الجذور والأصول في الأفكار إلى الفروع الكبرى فالصغرى فالأوراق والثمار أو من الفروع إلى الأصول.

ج-محاكاة الواقع بتصوير فني يبرز الحركة والحياة والمشاعر ويعبر عن مختلف أبعاد الواقع ولا يقتصر على التصوير الجامد للأشكال والرسوم الظاهرة.

د-الصدق في التعبير عن الحقيقة أو عن المشاعر والأحاسيس، أو عن الآمال والرغائب.

هـ-ما تشمل عليه المعاني مما يحرك المشاعر الوجدانية أو النفسية الحلوة.

و-ما يعجب الأذهان من إشراقات ذكاء، وأفكار جديدة مبتكرة.

ز-ما يسر الخيال ويعجبه ومتعته مما يرضي الرغبات النفسية التي يتمناها الإنسان.

هذا وقد تصدر الصورة الفنية في الرواية الإسلامية على أشكال مختلفة متلاحمة

أخذت مجراها من النبع الأصيل المتمثل في القرآن الكريم، ولعل أول من بين الراغبين لهذا

(1) هند حسين طه، النظرية النقدية عن العرب، دار البشير، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، السنة 1981، ص175.

(2) الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، العراقي لخضر (مراجع سابق)، ص82-83.

(3) عبد الرحمن حينكة الميدالي، مبادئ في الأدب والدعوة، دار القلم، دمشق، بيروت، ط 1، السنة 1402، ص69-70.

هو "سيد قطب حيث يرى أن "التصوير الفني في القرآن من حيث التلاؤم أنواع: تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنعمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان" (1).

ومن هنا ومن هذا النبع الفياض أخذت الرواية الإسلامية كسوقها، فتحدت فيها عناصر جمالية، وظفها الروائي الإسلامي في الشكل الفني، وهي (2):

- 1- الصياغة الفنية.
- 2- الأسلوب البياني.
- 3- الشواهد الأدبية.
- 4- الحس الموسيقي.
- 5- البراعة التصويرية.

1- الصياغة الفنية:

يبدو أن الروائي المسلم يمثل اللغة في حيوية دائمة، كما أنه يحرص على انتقاء الألفاظ الموحية المتناسقة.

وقد تكون الصياغة الفنية هي أساس بناء جمالي، تظهر فيه موهبة الروائي وعلمه وخبرته، فانتقاء المفردات المناسبة وتركيب الجمل وربطها ربطا محكما وفق السياق اللائق يدل على معرفته الفنية، وانعكاسا لواقع شخصية أو مهنته أو شخصية الروائي ويجدر بالروائي المسلم أن يضع نصب عينيه هذه الأمور التي تعينه على دقة الانتقاء وحسن السبك.

(1) الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، العرابي لخضر (مرجع سابق)، ص 108.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي (مرجع سابق)، ص 138.

- أ- قد يكون اختيار الكلمات الفصيحة التي تتحقق فيها السلامة من العيوب التالية: "تنافر الحروف، غرابة الاستعمال، مخالفة القياس والكراهة في السمع" (1).
- ب- الإكثار من الألفاظ الدالة على العوم الإسلامية "الاقتباس من علوم الشريعة مثل مصطلحات الفقه والتفسير والحديث والسيرة والتاريخ الإسلامي وحضارته" (2).
- ج- استعمال الأسماء والألفاظ التي تدل على الخلفاء والأبطال والقادة والعلماء والمؤرخين والمفسرين والمحدثين وأصحاب السير وأعلام الإسلام.
- د- جودة التأليف وترتيب الأحداث من خلال:
- "- صياغة الجملة صياغة فنية سهلة الفهم واضحة المقصد.
- رصف الجمل رصفا يثير الاستحسان والإعجاب لدى المخاطب.
- استعمال بعض المحسنات البديعية اللفظية التي تأتي مناسبة محبة غير متكلفة ولا مصنعة كالسجع الطبيعي" (3).
- هـ- تجنب استعمال الألفاظ ذات الدلالات الواضحة في المعتقدات الوثنية أو الديانات المحرفة كاليهودية والمسيحية مع ضرورة التنبيه إلى ذلك، لأنها تتنافى وتتصادم مع العقيدة الإسلامية.

2- الأسلوب البياني:

- يعد الأسلوب عنصرا أساسيا في بناء الرواية لأنه الطريق الذي يسلكه الروائي من البداية إلى نهاية حيث بدونه لا يتمكن من التفكير بدونه.
- "فالأسلوب هو طريقة الكتب الخاصة في التفكير والشعور وفي نقل هذا التفكير وهذا الشعور في صورة لغوية خاصة" (4).

(1) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت، ط2 (د.ت)، ص11.

(2) الأدب الإسلامي، المفهوم والقضية، علي علي صبح ورفاقه، (مرجع سابق)، ص53.

(3) مبادئ في الأدب والدعوة، عبد الرحمن حنيكة الميداني، (مرجع سابق)، ص48.

(4) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص26.

- وليس ثمة أسلوب واحد معين يُلزم الروائي المسلم باتباعه بل هي أساليب كلامية متنوعة ترقى في معارج البلاغة الراقية والأدب الرفيع إذا كانت ملائمة للغرض العام من الكلام، والوضع العام للمخاطب، والمناخ النفسي له" (1):
- أسلوب العرض المباشر الصريح للفكرة المراد الإعلام بها:
 - أسلوب العرض غير المباشر الذي يعتمد فيه على مقدار ذكاء المخاطب ويدخل فيه التلميح ومعاريض الأقوال، والإشارة الخفية، وفحوى الكلام.
 - أسلوب الإطناب وعرض الفكرة مبسطة موضحة من كل جوانبها.
 - أسلوب الإيجاز والاختصار.
 - أسلوب الترغيب، وهو يلائم معظم النفوس لما أودع الله فيها من مطامع.
 - أسلوب التهيب، وهو أيضا يلائم معظم النفوس لما أودع الله فيها من حذر وخوف.
 - أسلوب العنف والقسوة.
 - أسلوب الرقة واللين.
 - أسلوب الإثارة للعواطف والانفعالات.
 - أسلوب الإقناع الفكري الهادئ.
 - أسلوب الجدل.
 - أسلوب الكتابة التقنية، ولكتابة العلمية المحررة والمحددة.
- وكما أن الروائي المسلم متأثر بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف، فإن ذلك ينعكس مباشرة على إبداع الروائي، وقد يستهدي الروائي بهذه المعالم في اتباع الأسلوب الأمثل: (2)
- أ- الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والتابعين وكبار العلماء.

(1) مبادئ في الأدب والدعوة عبد الرحمن حبنكة الميداني، (مرجع سابق)، ص 84.

(2) الأدب الإسلامي، المفهوم والقضية، علي علي صبح ورفاقه، (مرجع سابق)، ص 54.

ب-النسج الرصين الذي يشفّ عن وضوح المعنى وجلاء الفكرة والبعد عن التعقيد والتقعر.

ج-تجنب الأسلوب الخطابي والاهتمام بالأسلوب التصويري.

د-تجنب الأسلوب التقريري الذي يعتمد على سؤق المقدمات للوصول إلى النتائج والبراهين لأن الأدب يعتمد على الخيال وروعة التصوير وبعث الحياة والحركة في المشاهد والأحداث.

3- الشواهد الأدبية:

تعتبر الشواهد الأدبية في الرواية الإسلامية المنبع الأصيل والمكسب المنير الذي يهتدي به الروائي، فهو رمز التصور الصحيح والانتماء إلى الدين الإسلامي لأن من ذوق الروائي المسلم وحسه المرفه أن يحفل عمله الأدبي بالشواهد الأدبية التي تحقق فوائد بيانية هامة منها:

-تقريب الصورة إلى الذهن وتعزيزها.

-إقناع المخاطب بفكرة من الأفكار.

-شحن ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية للتأمل والتفكير وإدراك المراد⁽¹⁾ ويبدو أن الشواهد الأدبية قد ساهم في إبراز شخصية الروائي من خلها كما تسام في رسوخ الاتجاه الإسلامي رسوخا واضحا.

4- البراعة التصويرية:

أعتقد أن البراعة سمة من سمات الأديب المتمكن، فليس كل روائي بارع في التصوير الفني، وإنما هي استثمار الخيال عبر البناء الروائي. فتكون الصور كثيرة والوصف متقنا فإن "امتلك الأديب قدرة فنية، وبراعة تصويرية، وخيالا محلقا فقد حاز حظا وافرا من الإبداع، وأمسك بناصية العمل الأدبي الذي يستهوي القلوب، وتفيء إلى ظلاله النفوس، وترتوي من رضابه المهج والجوارح"⁽²⁾.

(1) مبادئ في الأدب والدعوة، عبد الرحمن حبنكة الميداني (مرجع سابق)، ص 95.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، (مرجع سابق)، ص 146.

وقد برزت هذه البراعة التصويرية أول ما ظهرت في القرآن الكريم " والحق أن بفضل طريقة التصوير الفني في أسلوب القرآن، نرى العواطف والانفعالات في القصص القرآني بارزة واضحة، شاخصة منظورة، فعندما تتلو آيات القرآن الكريم التي ترسم قصة من القصص بجوادثها وأبطالها وشخصها، ترى هؤلاء البشر يتحركون حركة متجدد، ويعيشون حياة شاخصة ملموسة، بفضل قوة العرض والإحياء، وترى عواطف الحب والكره، أو الفرح والألم، أو الشكر والبطر، واضحة على ملامحهم، وترى الانفعالات مرسومة مجسمة بارزة على وجوههم، انفعالات الدهشة والمفاجأة وانفعالات الغضب والرضا" (1).

وقد برمجت أسس يستوجب على الروائي المسلم امتلاكها ليحصل على البراعة التصويرية وهي (2):

أ- إبراز وتصوير الأحاسيس والمشاعر النفسية بتقديم الفكرة من خلال نظير حسي، أو المبالغة في تصويرها، أو تصوير آثارها ولوازمها.

ب- الإتقان في إبراز دقائق الصورة مادية كانت أو غير مادية، وذلك لدى رسمها في الصورة الكلامية مع استقاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل جميل وواضح.

ج- استخدام الرمز الهادف المتفق مع التصور الإسلامي.

- البعد عن الرمز الخرافي ذي الدلالات المنحرفة.

- الإفادة من أسلوب الرمز في القرآن الذي يتميز بالوضوح، والتنوع وإيجابية الهدف، وربط الجمال الفني أو التعبيري أو التصويري بالفائدة لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي

قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ... ﴾ (3).

د- عدم جموح الخيالة الطاغية على العقل، بل يخلق الخيال لاصطياد الصور الجميلة البديعة المقبولة في عرف العقل والواقع.

(1) الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية العراقي لخضر.

(2) مبادئ في الأدب والدعوة، عبد الرحمن حبنكة الميداني (مرجع سابق)، ص 115.

(3) سورة يوسف، الآية 111.

وذلك لأن الخيال الجيد ليس هو الذي يشطح ويشط ويأتي بالأوهام والحالات
 "إنما هو الذي يجمع طائفة من الحقائق، حقائق الوجدان وانفعالاته ويربط بين أشتاتها
 ربطاً محكما لا ينكره الحس والعقل".⁽¹⁾

هـ- انسجام الخيال مع القيم الإسلامية، ولا يجوز -بحكم الطبيعة الخيالية للأدب
 والشعر بخاصة- أن يكون منحرفاً عن المنهج الإسلامي، موحياً بالمخافة للذوق الإسلامي
 الرفيع.

وبهذا فقد تبرز الرواية الإسلامية، ومعها العاطفة الإسلامية الصادقة مضيئة
 بأحداثها وشخصياتها رسالة تبثها في ميدان القراء كما تعلن بفتيتها الأصيل عن وعي
 حضاري تسخره لخدمة المجتمع الإسلامي والدفاع عن الإسلام ومقدساته، وهي تسعى
 بذلك إلى تأدية الدور المنشود في تحريك الهمم وتقوية العزائم والدعوة إلى محاربة أعداء
 الإسلام.

(1) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط5 (د ت)، ص 175.

IV- نماذج من الروائيين الإسلاميين:

1- نجيب الكيلاني-رائد الرواية الإسلامية:

ولد نجيب الكيلاني في "1 يوليو من سنة 1931م بمصر، وهو الطبيب الأديب والأديب الطبيب، صاحب الإسهامات الجليلة في الكتابة الإبداعية الإسلامية وفي النقد الأدبي الإسلامي تنظيراً وتطبيقاً، توفي في 6 مارس عن عمر ناهز أربع وستين سنة وأكثر من ستين كتاباً في الرواية والقصة والشعر والبحث الأدبي والكتابة الطبية، وأهم من ذلك التنظير للأدب الإسلامي" (1).

قد شغف نجيب الكيلاني، حياته في تحقيق مجتمع إسلامي أملاً أن يرد الاعتبار للإسلام، وتنهض أمته مرة أخرى على نتاج وعي حضاري إسلامي، فكانت الرواية متكأً وسبيلاً إلى بلوغ الهدف من بين تلك الروايات "مملكة البلعوطي" (2) التي صدرت قبل وفاته بأسابيع تعالج فكرة "القرية الفاضلة" وتسعى لقيام المجتمع الإسلامي الذي ينهض على أساس الحرية والشورى والعدل والتكافل الاجتماعي والوقاية من الأمراض الاجتماعية الخبيثة...وقد برزت في هذه الرواية-وكغيرها من الروايات السابقة- الواقعية الإسلامية، ولعب الفن الذي يملكه الكيلاني دوره في تقدم أحداث الرواية "إنه لم يفتعل أحداثاً، ولم يرض نفسه على الشخصيات لقد استقى التجربة من الواقع الريفي الذي عايشه، وكان لصيقاً به، وكانت روايته التي بطلها "البلعوطي" والواقعية التي اختارها الكيلاني تختلف بالضرورة عن الواقعية في المذاهب الغربية" (3).

فواقعية نجيب الكيلاني، تبني على أساس الإسلام، فتقتحم الواقع لتعيش مشكلاته وتعالجها في موضوع واقعي تحت منظور إسلامي، وبهذا "فالرواية التي تحول شخصياتها وقضاياها إلى نماذج إنسانية حية يمكن للمرء أن يعايشها في هذا العصر أو ذاك، ولذا

(1) قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، نجيب الكيلاني، نموذجاً، محمد أمهاوس (مرجع سابق)، ص3.

(2) نجيب ال كيلاني، رواية مملكة البلعوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1415 هـ، 1994م، وتقع في 39 صفحات من القطع المتوسط.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 22.

تكتسب وجودا متميزا لا طارئاً، وتلك هي آية الفن الأصيل الذي لا تتلاشى قيمته عندما تمر مناسسته، أو يبهت تأثيره بعد وقت قليل من كتابته ونشره على الناس⁽¹⁾.

"ومملكة البلعوطي" تنطلق من أحداث الواقع وتفصيلاته التي تحوي على أرض الوطن في كل يوم ولك الأزمنة، حيي نجد الكيلاني في هذه الرواية "انعطف نحو الأحداث اليومية التي يعايشها الناس، والانطلاق منها لمعالجة همومهم وآلامهم من خلال تصور إسلامي واع"⁽²⁾.

ويبدو أن مملكة البلعوطي "ربط صاحبها أحداثها بأسرته، تحديداً بجده "إبراهيم الكيلاني" وقد كانت المقابلة التي جمعت نجيب الكيلاني بصديقه "حلمي محمد القاعد" مبينة ذلك في المقابلة التي دارت بينهما:

"وقد روى لي -يرحمه الله- قبل وفاته بأيام، وكان المرض قد جعل منه كيانا ذابلاً هزيباً، كيف بكى وهو يكتب آخر سطر في الرواية، وأشار إلى المكان الذي كان يجلس فيه داخل غرفة النوم، فدخلت عليه زوجته، ورأته يبكي بدموع غزيرة فسألته:

-لماذا تبكي يا نجيب؟

-أبكي جدّي؟

فردت عليه:

-إن جدك مات قبل ستين سنة.

-الآن فقط دفنته بعد أن شيعت جنازته !!

كان يقصد أنه هل دفن جده في الرواية، وبكى عليه مثل الباكين في الرواية وكانت عيناه وسط الذبول والهزال تلمعان بحسرة ونشاط وتعبيراً عن حبه الذي أثر فيه وأثر في مصير قرية بأكملها، وجعل منه الناس مثلاً يضربونه لكل باحث عن الشجاعة والحق ولذا سمّوه البلعوطي"⁽³⁾.

(1) محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة بيروت، السنة 1979، ص26-27.

(2) حلمي محمد القاعد، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، مكتب البلاد العربية القاهرة، ط1، السنة 1417هـ، ص35.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعد، (مرجع سابق)، ص36.

وقد نجد "الكيلاي" قدم صورة لواقع الحياة متفاعلا مع البيئة ولعل يدل على موهبته الإبداعية التي تجعل من إبداعاته الروائية متعة خاصة ووقتنا مكتملا ووحيا حضاريا.

و"مملكة البلعوطي" تلج قضية الصراع بين الخير والشر، بين القوة والضعف هذه الثنائية التي تعبر عن الطبقة المستبدة والطبقة المستسلمة لأمر الله، وتدور الأحداث بين أناس ينتصرون أحيانا وينهزمون أحيانا أخرى، ومن خلال الصراع تظهر معاناة الشعب المصري ككل نتيجة الاستبداد من جهة والجهل والفقر من جهة أخرى.

وقد كانت الشخصية الرئيسية "البلعوطي" تمثل البطل الذي يلتف حوله الناس ويرون فيه أملهم في إنقاذهم من الإنجليز العاشم.

وبصورة عامة مثل "البلعوطي" في الرواية، قد وضعت الأقدار "ليحقق أحلام الناس في إقامة القرية الفاضلة، أو المجتمع الفاضل بطريقة واقعية إسلامية، تختلف بالضرورة عن المدينة الفاضلة المثالية الأفلاطونية"⁽¹⁾.

وقد ظهر هذا جليا في الوصية التي قدما الأب "إبراهيم" لأكبر أبنائه وهو في مرض الموت "... لا أطلب أن تكون مثلي، إن لكل عصر رجاله وظروفه يتخيل إلي أنه قد مضى زمن العصي والكرباج، أعرف دينك تعرف طريقك واستفت قلبك وإن أفتاك الناس...

واسمع لصوت ضميرك، فإنه صوت الحق في داخلك... اعمل أن السلام والاستقرار لا تقوم إلى في حراسة القوة، وليست القوة كما يتصور الناس قريبا سلاحا وبطشا فحسب، لكن القوة في الحب والوحدة والتعاون... لو أننا فعلنا ذلك لوجدت القرية الفاضلة التي تحلم بها"⁽²⁾.

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص41.

(2) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاي، الرواية (مصدر سابق)، ص305-306.

ومن هذا المنظور الواسع يبدو أن الرواية قد قدمت موضوعا معاصرا، يشمل المستقبل حيث يبحث الإنسان في مجمل أقطار الأرض عن السلام والأمن والاستقرار وهو ما لم يتحقق في الماضي ولا حتى في الحاضر. وقد كان موضوع رواية "مملكة البلعوطي" يشمل مجموعة من الأحداث المتتابعة ويمكن القول أن هناك حدثين تبدأ بهما الرواية.

فأما الحدث الأول هو المواجهة بين المستبد "أبي العز سليم" والشيخ "عبد القادر الشايك" حول ظلمه وتعسفه نحو الفلاحين، والثاني تصدي "إبراهيم عبد اللطيف" مع أخيه غير الشقيق "السيد علي" لرجال أبي العز في سوق "سنباط"، والانتصار عليه وتفريق السوق، وهروب الناس عنه وصعود "نجم" إبراهيم عبد اللطيف، بطلا شعبيا يهز الناس فيعلقون به كما يكسب احترام "توفيق بكل" عمدة سنباط، البلعوطي ضرب السوق "وردد الناس" البلعوطي، البلعوطي.. أب الذي استطاع بجرأته وشجاعته أن يجعل الناس يفرون" (1).

ويترتب عن ذلك زلزال يصيب "أبا العز سليم" لأول مرة في حياته حيث ظهر من يتحداه علنا وهزم رجاله. ويبدو هذا الحدث بداية انتصار الخير الذي يبحث عن أهله وهم رجال مخلصون لدينهم وعروبتهم ووطنهم.

ذلك لأن موقف الإنسان من الخير والشر موضوع اضطربت نظرة الناس إليه قديما وحديثا فإذا بنظرة الرواية الإسلامية يجلو الموقف "إن الخير في الفطرة البشرية أصيل تذكیه القيم الإسلامية وتنميته، والسر وأصله الشيطان، مناط اختيار وابتلاء الإنسان إن نجح في الاختيار نال الجنة والدرجات العلاء، وقد حفّ الأدب الإسلامي الإنسان بالضوابط والحوافز الكفيلة بتسديد خطاه، فألم القلب البشري مراقبة الله والخشية من

(1) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاني، الرواية (مصدر سابق)، ص 14.

عذابه، ونفت فيه الحرص على أداء الأمانة من خلال منهج الله في الأرض كما زوده بمنهج متكامل من القيم يكون في الرواية الإسلامية عالم الخير " (1).

وكما هو الحال في رواية "مملكة البلعوطي" التي بنيت على أساس الصراع بين الخير والشر حيث يحاول "أبو العز" الانتقام من الأهالي فيرسل رجاله لاقتلاع زروعهم وتبطل الشركة في التحقيق الذي لا يسفر عن اتهام أحد وفي الجهة المقابلة نجد "إبراهيم عبد اللطيف" ورجاله حول الرد بالانتقام المماثل لأبي العز" ورغم أن الشرطة سارعت في التحقيق هذه المرة غلا أنها لم تسفر على أي نتيجة، وبتصاعد الأحداث أكثر بمحاولة اغتيال "كامل" أحد أبناء إبراهيم، لكن المحاولة باء بالفشل في هذه الذروة من الأحداث يتدخل "توفيق بك الخشن" ويعقد محاولة صلح عند "يوسف الجندي" السياسي المعروف، بين أبي العز" و"إبراهيم" ويتولى إبراهيم بموجب الصلح شؤونه العامة والخاصة، ومع أن "إبراهيم" يتعرض لمحاولة اغتيال لم تنجح بسبب عزوف القتلة عن قتله نظرا لمكانته واحتراما لقدره، فإن إبراهيم يواصل الإصلاح في داخل دائرة أبي العز الضيقة وفي المجتمع القروي الذي يعيشه.

ولعل "نجيب الكيلاني" يأخذنا إلى أن الخير لا ينضب وأن أهل الإصلاح دائمون ما دام في الدنيا حياة.

ومن هنا فقد مثل تكاتف الأحداث في الرواية الإسلامية ككل ولدى نجيب الكيلاني خاصة في مملكة البلعوطي "هدفا مقصودا في حد ذاته، وذلك ليقوم بطلها. إبراهيم عبد اللطيف" بتقديم الحلول وفقا لمنهجه الإسلامي البسيط المتسق مع الفطرة الريفية في نقائها وحبها للخير ومحاربتها للشر، ورغبتها في الإصلاح ومع ذلك فإن "مملكة البلعوطي" ليست من تلك الروايات الإصلاحية أو الإيديولوجية التي تموت بعد وقت قصير من تأليفها، وذلك لأنها ركزت على الإنسان من مشاعره وعواطفه وتصوراتها التي لا ترتبط بزمان دون زمان، ولا بيئة دون أخرى ولكنها ترتبط بالإنسان

(1) في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، محمد عادل الهاشمي، (مرجع سابق)، ص 70.

كل زمان ومكان، فضل عن أن تصور الإصلاح هنا غير محدود بإيديولوجية ما أو نظرية ما، ولكنه مرتبط بالفطرة النقية التي هي جوهر الإسلام⁽¹⁾.

وقد وصلت الأحداث في الرواية إلى التفاعل الشديد والترابط فيما بينها، فساهمت في بناء الرواية مساهمة نامية قادها إلى هذا نمط الشخصيات وحسن اختيارهم كل في مكانه المناسب فكانت الشخصيات حية مع بساطتها وتواضعها.

والرواية قدمت شخصياتها الواقعية دون تزيّد أو افتعال في إطار إسلامي واضح وهي في كل الأحوال شخصيات قريبة إلى العقل والمنطق والواقع الحي، ونصادفها في كل زمان ومكان مع الفارق الذي تفرضه الخصائص الدقيقة لكل زمان وكل مكان⁽²⁾ ويبدو أن "مملكة البلعوطي" كغيرها من الروايات الإسلامية تصور في الشخصيات المواجهة الدائرة بين القطبين المتناقضين (الخير، الشر) وككل الروايات الإسلامية فالخير تمثله شخصيات تحاول الإصلاح ما استطاعت، كما تشير في الرواية إلى الدعوة إلى الخير والتقوى، كل ذلك اتباعاً للشريعة الإسلامية، أما الشر، فكثيراً ما تمثله شخصيات متعجرفة ساخطة على أهل الخير تابعة لعناصر تكن العداوة والبغضاء للإسلام وكل هذا ينطبق على طبيعة الوعي الذي تكتسبه الشخصية الروائية حيث "يتحدد هذا الوعي وفق شروط التناقض القائمة بين الفئات الاجتماعية، وها من حيث أن الفئة المالكة تسعى باستمرار إلى إحداث خطاب اجتماعي يتناسق ومستواها الطبقي، وهذا على حساب الفئة التي تدنوها مترلة. هذا بغض النظر عن التقاليد المعيشية المتميزة بين الفئتين.

ونتيجة لهذه التناقضات تكون حدة وعي الطبقة الاجتماعية البسيطة أكبر إلى حد ما نتيجة لذلك التمايز الاجتماعي"⁽³⁾.

وهذا ما تميزت به رواية "مملكة البلعوطي" في تناولها لشخصيتين رئيسيتين تمثلت إحداهما في "إبراهيم عبد اللطيف" وهو الشخصية الأولى روائياً حيث تتركز حوله

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص44-45.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص45.

(3) فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، السنة

2010، ط1 ص344.

الأضواء وتدو به الأحداث سواء كان طرفا فاعلا أو مشاركا في آثارها بالحل والتصويب.

" إنه رجل بسيط ولكنه واع وشجاع، استمد فلسفته وتصوراته من إيمانه الإسلامي الذي يتسق مع فطرته النقية الصافية، وقد جعلته معركة سوق سباط" بطلا شعبيا لأنه واجه قوى عاتية بشجاعة تلقائية، وانتصر عليها بطريقة مذهلة وكان يمكن لهذه القوى أن تسحقه سحقا، ولكن النصر حليفه بسبب إقدامه وجرأته" (1).

وقد كان المبدأ الذي تسير عليه شخصية "إبراهيم عبد اللطيف" هو التوكل على الله ثم ردع الظالم والمستبد، وذلك باستعمال القوة، ويظهر ذلك في قوله: "القوة لا تردعها إلى القوة" ولست أعني بذلك الحرب وسفك الدماء ولكنني أقصد القوة التي تحقق الهدف... أي نوع من القوة... مادية كانت أو معنوية" (2).

فقد كان الإيمان الشديد والإصرار الملح على محاربة الإنجليز قد كثف من عزيمة "إبراهيم عبد اللطيف" وساعده الإقدام على الهجوم، "لقد كانت موقعة السوق تطبيقا عمليا لهذه الفلسفة التي ترى بأن الإقرار بالهزيمة سيكون مقدمة للاستسلام في المرات القادمة، ولن تقوم لنا قائمة، والحل هو الضرب بالعصا لكل من يقف في الطريق، قيل له تعقل يا إبراهيم، نحن قلة، ولكنه لم يستجب للنداء وصاح بأعلى صوته: اضرب يا ولد، اضرب ولا تخف، وراح يطوح عصاه يمينا ويسرة، ومن ورائه أخوة " السيد علي، فاضطرب الناس وهاجوا وماجوا، وفرت المواشي والأغنام، ولاذ أنصار "أبو العز سليم" بالفرار وتبعهم العسكر والخفراء، وهرب من في السوق، ونشرت أنباء تقول: إن "إبراهيم عبد اللطيف" وأخوه قد ضربا في السوق، وأن الإنجليز لاذوا بالفرار" (3).

هكذا يبدو المبادرة في حياة الشخصية الإسلامية عنصرا فاعلا، مؤمن بأن الشجاع المخلص هو من يصل إلى هدفه دون إراقة ال دماء، فهو لا يخاف الموت ولكنه

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص46.

(2) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاني، (مصدر سابق)، ص14.

(3) المصدر السابق، ص 25-26.

يخاف رب العالمين، "إن إبراهيم من خلال إيمانه بالقوة في مواجهة الظلم والتعسف، يؤمن بالعلم أيضا، بل أنه يسعد بالانتصار العلمي أكثر من الانتصار بالعصا، وقد عبر عن ذلك يوم ألقى ابنه "عبد الفتاح الطالب بالمعهد الديني خطبة الجمعة ونالت استحسان الناس" (1).

وعلى هذا النهج الصحيح والوعي الناضج تمضي شخصية "إبراهيم عبد اللطيف" على امتداد الرواية على تلقي ربها تاركة وراءها مملكة متماسكة الأركان عامرة بالحب والإخلاص في وسط صغير هو قرية شرشابة، فمات بعد أن زرع بذور الشهامة والمحبة في القلوب.

والشخصية الثانية في الرواية هي شخصية "أبي العز سليم" مثل الإقطاعية بكل تعسفها وبشاعتها واستبدادها، لا يقبل أن يرد له أحد أمرا أو يشاركه أحد في أمر، إنه لا يطيق نقدا أو معارضة، ولو جاء ذلك من أحد لصلبه وربطه بالحبال وجلده بالسياط، وهو يعمل دائما بنصائح أصدقائه من الإنجليز، وبخاصة نصيحة "فرق تسد"، ولهذا فغنه يرى العداة الحقيقي له في اجتماع الفقراء على كراهيته والكيد له ولهذا فهو يحمل على تفتيت كتلة الفقراء، والتفريق بينهم" (2).

كانت الأنانية تطغى على شخصية "أبي العز سليم" حتى وسط أبنائه وزوجته، فكان شحيحا على أسرته، وقد اتخذ من زوجته جارية تؤمر فتطيع، والأكثر من ذلك أنه رفض أن يبعث بأبنائه إلى المدرسة "ظنا منه أن المدارس لن تخرج غلا موظفين يتعاطون مبلغا تافها من المال وهم ليسوا في حاجة إلى هذا المال، لم يهتم بشؤونهم أو يشرف على تربيتهم فشبوا فاسدين منحرفين يدخنون السجائر والحشيش، يغازلون الخدم ويقون في شباك الساقطات، ويسافرون إلى المدينة للهو والعبث، ويسرقون المحاصيل والماشية والمجوهرات، إنهم ذرية فاسدة ليس فيها من يصلح لخلافته..." (3).

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 47.

(2) المرجع السابق، ص 47.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 48.

ولعلها يدل على أن المدينة الفاضلة لا تتحقق من خلال الفساد والانحلال وإن قامت فلن تقوم إلى على أساس التربية الصالحة والأخلاق الحسنة. وقد وصلت شخصية "أبي العز سليم" من الأنانية إلى حد أنه كان يسخر من كل الخطاب الذي يتقدمون لبناته رغم كبرهن، وكان يقول لزوجته: "إنهم يطمعون في ثروتي"⁽¹⁾.

ولعل هذه الشخصية قد بدت أحد الفراعنة المعاصرين، بشخصيتها الأنانية، المستبدة كما أنها تميزت بسطحية التفكير والتصور، وقد ظهر ذلك في الوصية التي أوصى بها أثناء مرضه الذي قربته من الموت، حيث أوصى أن يجهزوا له قبرا جديدا لا يدفن فيه غيره، وأن يكون فاخرا، من الحرير: "لقد كنت عالي المقام في الدنيا... ويجب أن تكرمون في قبري"⁽²⁾.

وهكذا فلن تستقيم "مملكة البلعوطي" بهذه الشخصية وأمثالها، باعتبارها شخصيات حاملة لقيم الأنانية والجهل والشر. ولكن التحوّل الذي أراده "نجيب الكيلاني" لها غيرت المسار، فغدت هذه الشخصية بعد نجاحها من المرض الذي كان كالمعجزة تحاول التغيير إلى الأفضل بفضل الشخصيات الإسلامية التي كانت حولها.

- الصياغة في رواية مملكة البلعوطي:

اعتمد نجيب الكيلاني في رواياته على الواقعية الإسلامية، فكانت الصياغة واضحة بأسلوب السهل الممتنع، وقد "حقق الموسيقى التعبيرية التي تتلاءم مع الأداء والمواقف القصصية، فضلا عن التضمنين بالقرآن الكريم والحديث والنصوص الإسلامية والتراثية، ويرع في الوصف والحوار واستخدام الحلم"⁽³⁾.

(1) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاني (مصدر سابق)، ص 202.

(2) المصدر نفسه، ص 202.

(3) الواقعية الإسلامية، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 59.

ويعد الوصف في روايات "نجيب الكيلاني" علامة فنية بارزة فقد يغرقنا الراوي في وصف ومعالجة القضايا، حتى كأننا نعيش الحادثة، "إنه يقدم للقارئ صورة حية" وقرية إلى ذهنه ونفسه لما يجري في الكون من أحداث تعالجها الرواية"⁽¹⁾. ومثال على ذلك ما قدمه الراوي من وصف حول واقع مصر في الثلث الأخير من القرن العشرين قدمه ببساطة عميقة، وبصورة متكاملة للواقع وما يجري فيه من عبارات واضحة" لم يكن إبراهيم عبد اللطيف يعترض على نصيحة الشيخ الشاذلي، ولا قول حضرة العمدة، ولكنه تساءل ماذا بعد ذلك، إن من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد، وهذا العصر عصر الشهداء، وكيف لا يكون كذلك وقد استبد الإنجليز، وسيطروا على سلطات البلد وتحكموا في رقاب العباد، أما ملاك الأراضي وأتباعهم وأشياعهم كذلك رجال المال والأعمال فقد استغلوا، ولم يعد للرحمة والعدل مكان في قلوبهم، نحن في أيام ساد فيها قانون الغابة، فكيف تحلو الحياة ويطيب لنا فيها المقام؟".

إن أكثر من ثلاثة أرباع الفلاحين مرضى بالبلهارسيا والأنكلستوما والملاريا، وفقر التغذية والحمى وغيرها. إنهم لا يجدون الدواء ولا الغذاء ويموتون موتا بطيئا يلجؤون إلى كتاب الرقى والتعاويد، وإلى العطارين وخبراء الوصفات الشعبية، والأطباء لا يوجدون غلا في أماكن نائية، فما بالك وهم لا يملكون أجور النقل والأطباء ولمواصلات وثمان الدواء؟

القطن انخفضت أسعاره، وقل محصوله والآفات انتشرت في المحاصيل ويقول بعض العارفين إن هذا من غضب الله علينا، ولو أطعناه لأكلنا من فوق رؤوسنا ومن تحت أرجلنا، والتقوى هي طريق الرزق الحلال.

كان إبراهيم عبد الطيف قلقا غاية القلق بسبب سوء الأحوال..."⁽²⁾.

وبعد هذا الوصف الدقيق والألفاظ القرية ترتب السياق الوصفي الذي بدت صورته في شكل عفوي تلقائي في أغلب الأحيان، مما ينتج عنه قيمة جمالية، وقد يكمن

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص50.

(2) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاني، (مصدر سابق)، ص49-50.

جمالها في المزج بين الاستخدام القديم والحديث، كقوله "بدلاً من أن يعيشوا على حافة الخطر الدائم، ويأكلوا لقماتهم مغموسة بالإثم" (1).

كما أن أثر القرآن قد بدأ واضحاً في "مملكة البلعوطي" كهذا التشبيه المأخوذ من قصة سيدنا موسى عليه السلام: "إن عصاك سحرية كعصا موسى التي ابتلعت كل الأفاعي" (2).

وهذا فنحيب الكيلاني قد برع في فن الرواية بجودته المتميزة في عناصر البناء وقد كان الحوار من أهم تلك العناصر حيث "يكشف الكثير من الأحداث وأعمق الشخصيات، ويبلور المواقف، وي طرح التساؤلات والتصورات ويجسد في كل الأحوال وسائل الحركة والنمو الروائي، ثم هو بعد ذلك حوار مكثف في لغة شفافة تحكي المشاعر والأحاسيس" (3).

ومثال على ذلك الحوار الذي دار بين "أبي العز سليم" ورجاله بعد مقابلة الشيخ الشاذلي الذي طلب منه أن يرفع أذاه عن الفلاحين:

"ابتسم أبو العز في دهاء وقال لهمك

- الذين يرفضون بيع أراضيهم سنتلف مزروعاتهم حتى يستسلموا ويبيعوا.

- والإيجار يا سيدنا البك؟

- سنأخذ باليمين ما أعطيناه بالشمال.

- كيف؟؟

- بأن وسيلة ممكنة.

- والشيخ؟

أرضيناه بالكلام وسوف يذهب بعضكم إليه ليكونوا من مريديه" (4) وقد زاد في رفعة الحوار في الرواية الإسلامية أنه تضمن آيات قرآنية وأحاديث شريفة جعلت من

(1) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاني، (مصدر سابق)، ص 223.

(2) المصدر نفسه، ص 31.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 52.

(4) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاني، (مصدر سابق)، ص 12-13.

أحداث الرواية كأنها حقيقة نعيشها، ومثال على ذلك ما جاء في الرواية من حوار بين السيد "علي" و"إبراهيم عبد اللطيف" حول الترتيب للانتقام من أبي العز ورجاله.

"وبعد فترة صمت همس السيد علي:

-ولكن في القصص حياة.

نظر إليه إبراهيم في إمعان وقال:

-لكنك لا تحب إراقة الدماء.

-العين بالعين..."(1).

وهكذا فالوصف والحوار وغيرها من عناصر البناء والصيغة الروائية تسعى إلى بلوغ الذروة ثم إلى الاستمرارية ولعل الهدف الأسمى للرواية الإسلامية هو نشر الوعي بالكشف والتوضيح والإيحاءات.

وقد يدرك القارئ من رواية "مملكة البلعوطي" حلما جميلا واقعيا يصنع القرية الفاضلة وسط أعاصير الظلم والقهر والأنانية، وقد جاء هذا الحلم في إطار فني راق أضاء لمؤلفه لبنة جديدة من اللبنة العديدة التي أرساها في مجال الفن الروائي عامة والرواية الإسلامية خاصة"(2).

فمحاربة الظلم والاستبداد وأعداء الإسلام هي المواضيع التي تداولتها الرواية الإسلامية المعاصرة ساعية بهذا الفن النبيل أن تنشر الوعي الحضاري داخل المجتمع الإسلامي ككل، وقد نجد إلى جانب "عماد الدين خليل" و"نجيب الكيلاني" مجموعة أخرى من الروائيين الإسلاميين نذكر منهم.

حمزة محمد بوقري، "من مواليد مدينة الطائف، ولا تعرف بالضبط سنة مولده ولكنه توفي عام 1403 هـ في سن مبكرة نسبيا لعلها بين الأربعين أو الخمسين أو قبل ذلك وقد حصل على درجة الليسانس في الآداب من جامعة القاهرة، وتولى عدة مناصب بوزارة الإعلام، ولم يترك أعمالا أدبية كثيرة، ومن أهم أعماله، أو لعلها كل

(1) مملكة البلعوطي، نجيب الكيلاني، (مصدر سابق)، ص39.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص54.

أعماله، دراسة بعنوان القصة القصيرة في مصر، ومحمود تيمور، ثم مجموعة قصصية مترجمة بعنوان "بائع التبغ" ثم روايته "سقيفة الصفا"⁽¹⁾ وتعد "سقيفة الصفا"⁽²⁾ صورة حية للظواهر الاجتماعية المختلفة، ولعل الوقوف على أحداثها يوحى ببراعة الكاتب في الفن الروائي.

لقد نشرت "سقيفة الصفا" عقب رحيل "بوقري" مباشرة مما يعني أنه كان يستعد لإثراء هذا الفن، لو قدر الله له العيش عمراً أطول، فروايته تحمل العناصر الأساسية لموهبة روائية تسعى للنمو والنضج، وتبشر بميلاد روائي جيد، ولكن قدر الله سبق"⁽³⁾.
وكغيرها من الروايات الإسلامية تحاول "سقيفة الصفا" الإصلاح بتسليط الضوء على المجتمع وعاداته المتمثلة في سيطرة الخرافات والبدع والجهل والاستغلال وقد صنف "حي عبد الدايم" هذه الرواية إلى "ما يعرف بالسيرة الذاتية، أو هي قريبة من هذا اللون الذي يندرج في التيار الإصلاحى النقدي"⁽⁴⁾.

وتقدم لنا الرواية معالم الطبقات الاجتماعية والأجناس التي تكون منها المجتمع المكى ومهنتهم وحرفهم ووسائل المواصلات التي كانت تعتمد آنذاك على الجمال والحميز ودورها في موسم الحجّ الذي كان يتميز بالمشقة والمخاطر المترتبة عن طول المسافة وعمق الصحراء...

والملفت للانتباه في "سقيفة الصفا" أنها رواية مكان وزمان بالدرجة الأولى إن "لتحول الزمان والمكان إلى بطلين أو بطل مشترك، حيث نرى المكان والزمان يمثلان بيئة لها ملامحها وشخصياتها المتفردة"⁽⁵⁾.

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 97.

(2) حمزة محمد بوقري، سقيفة الصفا، (رواية)، دار الرفاعي للنشر، الرياض، السعودية، السنة 1983، وتقع في 256 صفحة من القطع المتوسط.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 97.

(4) يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت، ص 99.

(5) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 102.

وقد اتخذت هذه الرواية كغيرها من الروايات الإسلامية أحد المعالم الإسلامية وهو "الحرم" كرمز للانفراج الروحين ويظهر ذلك في قول السارد على لسان البطل "محيسن" عن صديقه "سفيان" "ألم يكن هذا الذي نبّهني إلى أن الدنيا هي ذلك الشارع الضيق الذي أسير فيه والمحصور بين جبلي أبي فيبيس والسبع بنات، معه ما يتفرع عنه من أزقة أكثر ضيقاً، تنتهي كلها إما يمينا أو شمالاً مصطدمة بهذا الجبل أو ذاك؟ ألم يأخذني أول مرة خلال "سقيفة الصفا" المظلمة إلى العالم الرحب الذي انتهى بعد سير ساعات إلى (محيسن الجمن) مرورا بربع اللصوص وطلعه أبي لي لهب وغيرها؟" (1).

ويبقى المكان ضيقاً في جهاته الأربع المتشعبة حيث لا يرى النور إلى الحرم وهذا ليس للبطل فحسب ولكن لأهل مكة جميعاً ولعله يقصد المسلمين ككل وقد عبرت الرواية عن ذلك في قول بطلها "كانت صلاة الفجر في المسجد الحرام أو "الحرم" كما يسميه أهل مكة، وخاصة صلاة "السجدة"، فجر يوم الجمعة تمثل محفلاً روحياً هائلاً لي وللكتيرين ممن عاشوا تلك الفترة....

ربما كانت كذلك حتى اليوم بالنسبة لمن بقي من أهل مكة فيها.

وكانت قمة النشوة أن يتمكن إنسان من أن يصل إلى الحرم قبل الأذان بساعة أو بعض ساعة... " (2).

ويبدو "الحرم" في الرواية الملجأ الوحيد حين تضيق الصدور وتظلم الدنيا وقد بين ذلك البطل عندما يتعرض لمأساة شخصية لا يجد أمامه غير الحرم "و لم ينقذني شيء سوى الركض نحو الحرم وملاذي الأخير دائماً حيث أخذت أطوف حول الكعبة سبعا بعد سبعين حتى لم أكد أدري كم سبعا طفت وقد أنهيت ذلك بشربة من زمزم دافئة، أخذتها من دلو البئر مباشرة حتى أحسست أن أضلاعي تكاد تنفص من الامتلاء عندها فقط عادت السكينة إلى نفسي، وعاد الهدوء يُلْفني" (3).

(1) سقيفة الصفا، يحي إبراهيم (مصدر سابق)، ص 27.

(2) المصدر نفسه، ص 27.

(3) المصدر نفسه، ص 170-171.

وبهذا فـ"سقيفة الصفا" رواية قائمة على تصور إسلامي للحياة والكون والإنسان، حيث أنها تضع الماضي بجوار الحاضر ليختار الناس المستقبل وفقا لأسس واضحة وحلم حضاري مشروع.

(2) رواية "العائدة" (1) لصاحبها "سلام أحمد إدريس":

"سلام أحمد إدريس"، كانت روايته "العائدة" من الروايات التي شاركت في المسابقة التي أقامتها "رابطة الأدب الإسلامي العالمية"، ففازت بالجائزة الثانية لتمييزها أسلوبا وبناء (2).

تقوم أحداث الرواية على قطبين متناقضين هما: الخير والشر، أو بتعبير الرواية، الاستقامة والانحلال، وهما قطبان يقومان على أساس من التربية، إذ تستشرق الرواية عالم التحلل والسقوط، وتكشف الأسباب والطرق المؤدية إلى ذلك وفي مقدمتها دور الوالدين في ذلك. فتصور الرواية الأم مشغولة دائما تسعى إلى الحرية، حيث كانت تقول لنفسها وهي تتأمل المرأة، "إنني لم أحلق للبيت، ولكنني خلقت للحرية" (3).
وكما صور أبا فلاحا همه الوحيد هو السياسة والمال، فأهمل كل منهما، شأن البنيتين فنشأت كل واحدة منهما على هواها تفعل ما يحلو لها وتخرج متى تشاء وتمارس ما تريد فكان المصير هو الضياع والهاوية.

لكن الراوي كغيره من الروائيين الإسلاميين، يؤمن بالتحول وهو تحوّل يطرأ على البطلة، "ربا" هذه الشخصية التي وجدت نفسها ضائعة في مجتمع لا يرحم فجعلت الملاهي منها بنتا تخالط أفراد السوء والانحلال... لكن سرعان ما تلتقي بالشخصية الملتزمة "فاطمة" التي تجعل من "ربا" تترك عالمها القديم وتقتنع بعالم جديد أكثر طهرا ونقاء وصفاء، وتتعترف "ربا" بذلك في قولها: "عرفت ساعتها ما معنى التربية، فقد كانت (الأم) قادرة أن تكون مني ملاكا أو شيطانا" (4).

(1) سلام أحمد إدريس، رواية العائدة، دار النشر، عمان السنة 1995، تضم 168 صفحة من القطع الصغير.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص142.

(3) العائدة، سلام أحمد إدريس، (مصدر سابق)، ص21.

(4) العائدة، سلام أحمد إدريس، (محمد سابق)، ص110.

وهناك عنصر آخر يصور الضياع والتشتت العائلي والانحلال الخلقي وهو العنصر اليهودي الذي سيطر على المراهقين والشباب الغافلين، فهناك معهد الباليه الذي يديره يهودية، وهنا نادي النجمة الذي يديره يهودي، تحكي البطلة عن النادي وما يجري فيه: "هجرنا الحياة واعتصمنا بالدخان وترجيع الألمان، وحشم الجسد أمام سلطان الغواية، فشهدت الحجرة الزرقاء في الطابق الأعلى حالات من الإجهاض، وحالات أخرى من إعادة الإجهاض، لست أكذب حين أعترف أنني لم أمر بهذه التجربة و لكنها فضيحة... فضيحة" (1).

وأظن أن الروائي "سلام أحمد إدريس" كانت غايته من توظيف العنصر اليهودي في هذه الرواية هو نشر الوعي إلى الخطط والأساليب التي يستعملها اليهود عبر كافة الأقطار الإسلامية، بغية التضليل وتفرقة المسلمين "ولعل أشد ما ينتزع الغرابة ويثير الحيرة والدهشة هذه الخطط والأساليب الرهيبة التي حاكت خيوطها جماعات من بني إسرائيل على أشكال متعددة من المنظمات والحركات التي تبدي خلال ما تبطن والتي تطوي في أغوارها البعيدة الخفية مقصودها في الهدم المدمر الذي يأتي على كل قيمة من القيم التي جاءت بها الأديان بل أنها تطوي من حيث المقصود ما يزلزل أركان العقائد والأخلاق والمبادئ الرفيعة التي أجمعت عليها كلمة النبيين والمصلحين والمفكرين من كرام البشر" (2).

وعلى الجانب الآخر تقدم الرواية الصورة الأخرى لعالم الاستقامة التي تتميزه شخصيات تتمتع فيها الطهارة والبساطة والإيمان والجمال "وسعي الرواية إلى القول بأن الاشتباك بين عالم الضياع وعالم الاستقامة النماذج البشرية القادرة على احتواء الضائعين وإعدادهم بالعون والمساندة "دون تأفف أو تدمر أو هروب، وفي الوقت ذاته تجرنا

(1) العائدة، سلام أحمد إدريس، (محمد سابق)، ص 47.

(2) أمير عبد العزيز، النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، مكتبة الأقصى عمان، الأردن، ط1، السنة 1981، ص150.

الرواية إلى عالم الضياع يقود أهله إلى الهزائم والانكسارات والتخلف المريع والشقاء المقيم" (1).

وبهذا فقد تمهد هذه الرواية إلى نشر الوعي بمدى خطورة سوء التربية و دور الأم في تنشئة أجيال صالحين أو كذا التأثير الحاصل الذي تحدثه التبعية الغربية واليهودية بخاصة.

(3) الرجل الظل (2):

للأديب الإسلامي عبد الرزاق حسين "ولد في القدس عام 1949، درس المرحلة الثانوية في عمان وحصل على الدكتوراه في اللغة العربية بالقاهرة عام 1971، إنتاجه وفير وغزير ومتنوع مما يدل على قوة عزيمته ويبدو في المجال الروائي مجتهدا" (3).

ورواية "الرجل الظل" تعالج موضوعا لعل أدباء إسلاميون آخرون سبقوه فيه، إلا أن "عبد الرزاق حسين" عالج موضوعه هذا في شكل آخر مبينا حقيقة مرّة يعيشها المجتمع ويتخبط في برائثها وهي الظلم الإنساني، فالرواية لا تقف عند رصد عملية الظلم والاستغلال، ولكنها تطرح رؤية أعمق تعود بالعملية إلى مرجعية أكبر وهي نمط العلاقات السائدة في المجتمع، تلك العلاقات التي تفتح المجال واسعا أمام الانتهازية وتهميش الخير والأخلاق والدين، كل هذا في سبيل المنفعة والمتعة الزائلة والرواية تصور مأساة موظف بسيط يعيش ظروفًا صعبة في عمله وبيته، ظهره له ميول في كتابة القصة والرواية، يستغلها ضباط مخبرات سابق يعمل في التجارة، يسعى الموظف من الإفلات من سيطرتهم لكنه يتهم بالقتل ويحكم عليه بالسجن، ولحسن حظه تظهر إحدى المحررات وتحكم عليه ببراءة فيطلب الموظف إعادة مؤلفاته وحقوقه لكنه يقتل ويصبح هو "الرجل الظل"، وقد يعيش المجتمع الحاضر مثل هذه الظاهرة، ففي المجال الأدبي قد يكون الرجل الظل مبدعا مبتدئا أو متواضعا ولكنه بكتابة الموضوعات التي يضع الأديب الشهير فيها

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 143-144.

(2) عبد الرزاق حسين، رواية الرجل الظل، دار ابن عمار، للنشر والتوزيع عمان، الأردن، السنة 1988، عدد صفحاتها 171 من القطع الصغير.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 167.

اسمه تقوم العلاقة على الاستغلال بحكم المنصب أو السلطة أو الشهرة، والسارد يعبر عن الضعف من جهة والاستغلال من جهة أخرى في قوله: "ضاقت عليه الأرض بما رحبت" (1) وأيضا: "...نظر إلى نفسه وإلى أحمد حافظ، خطر بباله أولاده وزوجته، وكان لا بد من التضحية مرة أخرى، أعد نفسه جاهلا أميا لا يعرف شيئا، موافق يا أحمد حافظ، وسأظل على عهدي طول عمري، وسأعيش كما أردت لي أن أعيش ظلا والظل لا يملك أن يكون نورا في يوم من الأيام" (2).

وبهذا فرواية "الرجل الظل" من بين الروايات الإسلامية التي تحاول معالجة الأوضاع الاجتماعية الفاسدة عبر شخصيات وأحداث وأمثلة وأزمات تحقق النجاح المطلوب للبناء الروائي.

4) الهجرة إلى أفغانستان لـ: مرال معروف: (3)

هي رواية أكدت على مشاركة المرأة في الفن الروائي الإسلامي ببراعة، وكاتبة الرواية "مرال معروف" من "مواليد كابول عام 1960 درست الابتدائية والإعدادية في تركيا أين كان يعمل ولدها، ثم تخرجت من مدرسة "مستور الفوري" الثانوية للبنات في ولاية "لاغمان" الأفغانية عام 1978م، وهو العام الذي قبض فيه الشيوعيون الأفغان على والدها وألقوا به في السجن، وكان على أسرته أن تعود إلى "جرا باغ" موطنها الأصلي وهنا اضطرت "مرال" إلى تدريس الإنجليزية في المدرسة الثانوية للبنات، وبعد دخول القوات الشيوعية إلى أفغانستان أطلق سراح عشرات الآلاف من المسجونين وكان من بينهم أب "مرال" الذي أسندت إليه أحد المناصب ولكنه كان مراقبا في المخابرات الأفغانية" (4).

(1) الرجل الظل، عبد الرزاق حسين (مصدر سابق)، ص 169.

(2) المصدر نفسه، ص 100.

(3) مرال معروف، الهجرة إلى أفغانستان، ترجمة محمد حرب، دار القلم، دمشق السنة 1989، وتقع في 178 صفحة من القطع المتوسط.

(4) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 76.

ورواية "الهجرة من أفغانستان" تقوم على الواقعية الإسلامية "لأنها تناقش بطريقة فنية أبعدا الحدث الذي زلزل كيان السوفييات بعد حرب استمرت ما يقرب من عشرة أعوام" (1).

تصور الرواية في مجملها جوانب القهر والظلم والاستبداد على يد السوفييات وتقوم في بنائها على ثلاثة أجزاء فرعية متتابعة تحكيها الكاتبة على لسان أبطالها، فالجزء الأول تضمن هجرة أسرة الكاتبة من ولاية "لاغمان" إلى "بيشاور" وتقوم الكاتبة بدور الرواية، أما الجزء الثاني فيحكيها البطل إمام المسجد البخاري الذي هاجر بدوره منذ سنتين من مسقط رأسه بخارى إلى أفغانستان وهو في ذلك يحكي قصة الهروب أمام الزحف الوحشي الشيوعي على الدولة الإسلامية في "القوقاز" وما حولها. وفي الجزء الثالث تقوم "منور وهي صديقة "مرال" برواية قصة هجرة أسرتهما إلى "بيشاور" وتشاركها في الحكى أختها "فضيلة" ونلاحظ في الرواية معاناة خاضها الأفغان، والمتاعب التي أنجزت إثر الهجرة بعدها تركوا كل ما يملكون هناك من بيوت فاخرة ومناظر خلابة.

وقد أخذت الطبيعة حقها في الرواية من تصوير جميل جمال التصور الإسلامي تقول "مرال" عن بيتها: "أما بيتنا فكان على شكل فيلا تتكون من طابق واحد، حوشنا كان كبيرا جدا، فيه الورد والأزهار من كل لون، وكان من عادة أهل قريتنا النوم في فصل الصيف في شرفات منازلهم، وفي ذلك الوقت كنا ننام ونحن في أفغانستان، ورائحة الورد تملأ بعبيرها صدورنا، لم أكن أحب مغادرة بيتنا هذا في إجازات الصيف عندما كنا نذهب لقضائها في كابول، لكن الآن اختلف الأمر فهمم كنت أحب بيتنا هذا، فالحب مسألة أخرى، لأننا كنا نغادره ولا ندري متى نعود إليه" (2).

ويبدو أن رواية "الهجرة من أفغانستان" من أكثر الروايات توظيفاً للمعجم القرآني فنرى في جميع أجزائها يظهر هذا المعجم، في الوصف وفي السلوك والفكر كقول

(1) المرجع السابق، ص 76.

(2) الهجرة من أفغانستان، محمد حرب (مرجع سابق)، ص 11-12.

الساردة: " فليكن كتاب الله معكما طوال الطريق، هيا سموا الله وابدؤوا المسير " ، " نظرنا لآخر مرة إلى منازلنا ودموع أعيننا تنهمر، ترى هل سنرى هذا المكان بعد ذلك فيما بعد؟ هل سنرى جدتنا صاحبة هذا الوجه النوراني؟ يا رب متعنا بالإسلام وأعدنا إلى الوطن وألحقنا بشعبنا آمين " (1).

والملاحظ أن الدعاء في الرواية كثير ومتنوع ويزداد كلما تأزمت الأوضاع: "يا رب ! كن في عوننا، احفظ عبادك العاجزين، احفظهم من شر الشياطين، من الفاسدين أمثال هذا الرجل، آمين " (2).

وتقول "منور" "لكني لم أنس الدعاء، زوجة أخي كانت تتلو سورة يس وهي تبكي " (3).

ويبدو أن اللمسة الواضحة في أسلوب الرواية هي اللمسة الأثوية، التي تمثل خاصة المرأة، فنجدها تتحدث عن جمال المرأة البدوية الأفغانية والعروسة الجميلة والشابة اللطيفة والمرأة الرقيقة.. كما تتحدث عن بكاء المرأة الذي صاحب الهجرة والمعاناة التي أنتجتها هذه الهجرة.

وبهذا فرواية "الهجرة من أفغانستان" "عمل أدبي يضيء حدثا من أخطر الأحداث التي مرت بالأمة الإسلامية مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وصاغته مؤلفته في سياق عفوي بسيط مؤثر يستحق كل تقدير واهتمام " (4).

وقد يكون إبداعا يخلد عملا بطوليا لشعب أراد الحياة ي هدوء وسكينة تحت رحمة الله الخالدة وفق منهج رباني يرفض كل دخيل ويمقت كل معتد أثيم.

(1) المرجع السابق، ص20.

(2) الهجرة من أفغانستان، محمد حرب (مرجع سابق)، ص51.

(3) المرجع نفسه، ص112.

(4) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص93.

(5) لن أموت سدى: جهاد الرجبي⁽¹⁾

"ولدت جهاد الرجبي عام 1969م بالأردن، ومن المفارقات أن دراستها كانت بعيدة عن المجال الأدبي، فقد درست في كلية الزراعة بجامعة الأردن، وتخرجت عام 1992م تحمل درجة البكالوريوس، ولكن كتابتها وأسلوبها ومشوارها الأدبي تحوي بأنها على صلة دائمة بالأدب قراءة وكتابة، وأنها قريبة من اللغة العربية وأساليبها والإنجليزية وصياغتها أيضا. وذلك من خلال ما نشرته من قصص في المجلات والصحف العربية والإنجليزية وقد صدرت لها قبل رواية: "لن أموت سدى" مجموعتان قصصيتان هما: "المن تحمل الرصاص؟" و "محاكمة في الغابة"⁽²⁾.

وقد نالت جهاد الرجبي بروايتها: "لن أموت سدى" الجائزة الأولى التي منحتها لها رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام 1993م"⁽³⁾.

وبصفة عامة فأعمال الرواية تتحدث عن فلسطين من جوانب عدة إسلامية وقومية وسياسية واجتماعية ونفسية، كلها صادرة من تصور إسلامي متكامل فلما نثر عليه في الأعمال الروائية التي تناولت القضية الفلسطينية.

والتصور عند جهاد الرجبي "يعد من مميزات الكاتبة التي تعبر عنه بأسلوب فني جيد ومقنع"⁽⁴⁾.

تعالج رواية "لن أموت سدى" زاوية محددة في القضية الفلسطينية، وهي: "الانتفاضة الفلسطينية" ومن المعلوم أن هذه الانتفاضة قد شارك فيها الشباب وحتى الأطفال، وقد كان يطلق على هؤلاء الأطفال بأطفال الحجارة".

ويبدو من عنوان الرواية: "لن أموت سدى" وجه التحدي الفلسطيني الذي يرفض الموت ببساطة وبدون ثمن، مما يعني أن الموت هنا سيكون له قيمة وقدرة في تحطيم كيان العدو إنه موت الشهادة وليس الموت سدى.

(1) جهاد الرجبي، "لن أموت سدى"، دار النشر، عمان، السنة 1994م.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 117.

(3) المرجع نفسه، ص 117.

(4) المرجع نفسه، ص 117.

والرواية تؤكد على الطبيعة البشرية في حالات قوتها وحالات ضعفها. وقد تمثل ذلك في بطل الرواية "وائل الذي يتحول إلى صنيعة خائنة بعد مشاركتها في الانتفاضة ودخول السجن كما نجد شخصية "سالم الفتوح" الذي أصبح عميلاً لقوات الاحتلال، وهو يسعى إلى ترحيل شباب الانتفاضة إلى خارج وطنهم كي يتعدوا عن شرف المقاومة كما فعل مع "وائل" الذي ساعده إلى الرحيل إلى أمريكا، وقد انطلقت الرواية من مشهد قد صور المأساة الفلسطينية والبشاعة اليهودية: فالأم شاهدت ابنها وائل وهو يستعد للرحيل، ويضع في يدها بعض المال، ويقول لها مبتسماً: "احتفظي بهذا المال، سيهدأ كل شيء ولن تجدي غير هذا منقاداً لك".

كان المال صار طوق النجاة من الانتفاضة والاحتلال جميعاً، والمال يأتي نتيجة للفرار (العملاء يدفعون لمن يفر)، وهو أساس نظرة وائل اتجاه الانتفاضة. ولها فإن أمة تنز إلى الأوراق المالية بسخرية، وتقول له بعد أن يعيدها إلى جيبه بحركة عصبية:

- أنت أشد أبناء فقرا يا وائل.

ولكنه لا يفهم ما تعنيه أمه، فتد عليه:

بينما كنت تجمع تلك النقود، كانوا يجمعون الحجارة هناك.

ولكنه يتحسس جيبه المحشو بالأوراق المالية، ويصيح بكبريائه الهائج وفقاً لنظرته المادية: "هؤلاء الأغبياء... لتملأ الحجارة بطونهم الخاوية... ولتعد قتلاهم إن استطعت" (1) وتبدو حركة الأحداث في الرواية دالة على انفصال البطل عن الوطن والرغبة في عدم العودة، ولكن التصور الإسلامي أرجع للبطل الصورة الواضحة التي حاول اليهود طمسها فيدك له صورة الأم والإخوان والزملاء في الانتفاضة، وأكثر من ذلك بدت له صورة الجد الذي كان يقتدي به ويحبه كثيراً وقد وصفه "وائل" في قوله: "كان رجلاً،

(1) لن أموت سدى، جهاد الرجعي، (مصدر سابق)، ص 51.

كان رجلا فلسطينيا...، ويحبي، لم أر في حياتي رجلا مؤمنا بحتمية الانتصار كجدّي" (1).

ولعل الشارة قد ركزت على شخصية "وائل" فجعلت منه شخصية إنسانية واقعية حية تجمع عناصر القوة والضعف معا، "لقد عرضتنا الرواية في السياق الإنساني الذي يجعلها تحلم وتتمنى وتحب له الواقع وتصطدم به، فتبرز الطبيعة البشرية في حالات العطاء، وحالات النكوص، وهذا التصوير لبطل القصة توجه جيد في الرواية الإسلامية المعاصرة، حيث يصر البعض مثلا أن يكون البطل شخصية مثالية تماما لا تعرف الضعف ولا الخطأ، فضلا عن مجافة هذه الصورة للطبيعة الإنسانية، فإنها تحاكي الواقع وتتناقض معه بصورة عامة، لأن البطل المثالي يمكن أن يكون موجودا، ولكن الأبطال لا يمكن أن يكونوا جميعا مثاليين (2).

وبهذا فرواية "لن أموت سدى" قد عاجلت قضية من القضايا الحساسة في واقعنا المعاصر ويبدو أنها نجحت إلى حد كبير في تصوير انتفاضة شعب أراد العيش بسلام، والجدير بالذكر أن المنظور الإسلامي الناضج هو الذي ميز هذا الإبداع، فقد أثبتت الأدبية وكغيرها من الروائيين الإسلاميين أن الأدب الإسلامي هو اللائق للتعبير عن هموم الأمة وآمالها، وأنه هو الذي يقدم البديل للفن الزائف.

وهذا فالرواية الإسلامية المعاصرة تؤكد إلى نشر الوعي الحضاري من خلال تسربها إلى أفئدة الأمة وعقولها، لأن الأدب الإسلامي أدب الروح والمجتمع والمستقبل معا.

(1) لن أموت سدى، جهاد الرجبي، (مصدر سابق)، ص 79.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 126.

الفصل الثالث :

رواية الإعمار والمثذنة

بين النظري والتطبيقي

I. المحتوى والبناء:

1- عماد الدين خليل أديب إسلامي:

كتب "عماد الدين خليل" في الدراسات الأدبية والتاريخية، : كما أجاد فن المقالة بأنواعها، قرض الشعر، ألف عدة مسرحيات، الطويلة منها وذات المشهد الواحد، أما الرواية فاكتفى بـ "الإعصار والمئذنة" التي اتخذناها نموذجاً للدراسة.

أنتج "عماد الدين خليل" مجموعة كبيرة من الكتب في التاريخ الإسلامي وفي الفكر الإسلامي والسيرة النبوية، وقد نبذه إلى كونه أديباً، فيلسوفاً حيث كتب في الفلسفات المعاصرة وغيرها ... "وصلت كتبه إلى خمسين كتاباً منها: "ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عير العزيز - عماد الدين زنكي - الحصار القاسي - التفسير الإسلامي للتاريخ - نور الدين محمود - الرجل والتجربة المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي - لعبة اليمين واليسار - تهافت العلمانية - مقال في العدل الاجتماعي - العلم في مواجهة الملية، المأسورون (مسرحية) - في النقد الإسلامي المعاصر - جداول الحب واليقين (شعر)..."⁽¹⁾.

ولد "عماد الدين خليل" في مدينة الموصل بالعراق عام 1939م وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة عين شمس سنة 1968م وعين فترة طويلة أميناً للمتحف الحضاري بالموصل، ويعمل الآن أستاذاً بكلية الآداب في جامعة صلاح الدين بالعراق.

ويعد "من أبرز الدعاة إلى الأدب الإسلامي في العقدين الأخيرين، وله في هذا المجال أكثر من بحث ودراسة في المجالين الفكري والأدبي انصب اهتمامه أكثر بالتأليف المسرحي، وفن المقال وقرض الشعر، لذا لم يقدم لنا غير رواية وحيدة لعل دوافع كتابتها تكمن في وقوع أحداثها على أرض بلده التي ولد فيها ونشأ بها وهي "مدينة الموصل" ولأنه معني بالتاريخ فقد "أراد تسجيل مرحلة من أخطر المراحل التي هزت كيان العراق وأهل العراق، وتسببت في جروح كان أهل الموصل هم المتضررون، وهي المرحلة التي

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، دراسة تطبيقية، المرجع السابق، ص 57.

أراد فيها التوجه اليساري الشيوعي في العراق السيطرة على الأوضاع وتحويل النظام إلى دولة شيوعية، وقد ترتب عن ذلك عنف كثير فسالت دماء كثيرة أريقت على أرض بغداد والموصل⁽¹⁾.

وقد لقيت الرواية رواجاً ونجاحاً كبيرين في ساحة الأدب خاصة والأدب الإسلامي خاصة وجمعت في 224 صفحة من القطع المتوسط وطبعت في مؤسسة الرسالة سنة 1985م وهي تعد تصويراً للوحة بانورامية جمعت بين شهادة عينية لأحد أطراف المسألة عاصرت الوقائع الفعلية وبين جمال الإبداع والابتكار الفني الروائي الأخاذ.

اتسم بناؤها الدرامي بقسمات الإسلام الممزوج بين الفنية الجمالية وبين الصدق في التصوير، كما يعلوها الوصف الحيني لواقع حاضرة من حواضر عالمنا الإسلامي. فكتب عليها أن تتخضب بالدم، ويدفع ثمن أصالتها وإيمانها وجزء تفريطها كثير من أبنائها وأعادها بسنن الله الكونية والشرعية... نزيها هائلاً من مشاعر القلق والفرح، وضحايا متناثرة تحت أقدام ثورة مدمرة.

إنها ثورة تحاكم الإنسان وتدنيه حتى يغدو هيكلًا أصم قاسياً، بئساً من روح الله متجرداً من القيم الإنسانية المتجدرة في أرضيتها، كما أنها تؤثر بشجاعة إلى ما يحدثه أي عطب أو غموض في رؤية الإنسان للحقيقة الخالصة المتمثلة في الدين الحق، من تفكك ودمار في الإنسان والحياة والأشياء والقيم.

فإذا كان إحصار الهدى الغاشم والفكر المقلد قد تناثر وزرع غبار الحقد والإثم والعدوان، فإن مئذنة الحق الأكبر والدين الخالص قد غرست جذورها في أعماق فطرة الشعب ملتصقة بالواقع الأرضي مكاناً وزماناً بقمة مشرفة لنور السماء وأضواء الهدى ونبراس العدالة السماوية.

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، مرجع سابق، ص 58.

وقد زادها شموخاً أنها قد سقيت بدم بعض الطيبين الذين استشهدوا على أطرافها فاحتضنتهم بأنوارها. ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (1).

ولعل الملامين للرواية يجد مسار الإبداع واضحاً امتاز بالصدق الفني وجلاء الصورة وما زاد في تناسقه جودة الأصالة الثقافية والتوافق النسبي بين القدرة على تنظيم طرق التفكير والتعبير وفق القواعد اللغوية، والانطلاق من الهم المشترك والهاجس الإنساني الأصيل الذي يجعل القارئ أكثر تجاوباً مع النص الروائي. ويبدو أن هذا الوضع قد كسر الفكرة الراسخة في الأذهان وهي أن الرواية العربية ما هي إلا تقليد للرواية الغربية، فالإحصار والمثذنة نموذج للتميز والإبداع الفني.

في موقف الإنسان الغربي من العالم كما زعم "آلان روب غريبيه" فإن الكاتب الروائي المسلم المنطلق في إبداعه من منظوره الإيماني ذي البعد العلمي الثابت والمتوازن والشامل والواقعي للوجود والحياة والإنسان والقيم لم يتغير موقفه من العالم ولم يتغير تبعاً لذلك اتجاهه الأدبي فيقينيته الكونية لا تنهدم بفرضيات ونظريات وظنون العصر (2).

هذه المحاور تداخلت فيما بينها محققة صورة محكمة متميزة بالشخصيات التي رسمت ضمن الخلفيات العقدية، تجمعها علاقات مكنت تلك الخلفيات الرواية من إبراز الثنائية الضدية التي لازمت الرواية من البداية إلى النهاية وكانت انطلاقتها من العنوان، بل إن العنوان يعمل على كشفها بعد أن اخترلها اختزالاً دقيقاً في لفظين دالين على طرفين متناقضين يمثلان جدلية الصراع الفكري داخل النسيج الروائي، فأعطاه البعد الحضاري في جانبه الفني.

(1) سورة آل عمران، الآية 169.

(2) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد السادس، ع 21، المملكة العربية السعودية، السنة 1419، ص 37.

فكلمة "الإعصار" ميزت الطرف الأول للمد الشيوعي والذي مثلته شخصيات روائية كانت بمثابة صورة مجسدة لهذا التيار، أما "المئذنة" فتميزت بشموخها وثباتها. شخصياتها دلالتها الثقافية وتوجهاتها الحضارية.

ومن ثمة فقط أعطت الرواية الإسلامية شكلا جديدا يتسم بالترابط والتسلسل الحدتي والموضوعي، وابتعدت عن تقنيات الرواية الغربية الأكثر حداثة، والتي انطبعت بطابع الغموض وحملت القارئ جهدا استثنائيا من أجل فك رموزها وملء فراغاتها وتأويل مشاهقاتها وتجميع قطعها التركيبية المشتتة وتوحيدها.

وهذا لا يعني ألا يستثمر الروائي المسلم التقنيات الحديثة في مجال التشكل بما لا يعارض المقدسات الإسلامية ويبعدها عن الحقيقة، كما أن الفن لا ينافي الذوق الأصيل الإسلامي المتشكل بثوابت العقيدة والنظم الإسلامية.

وأعتقد أن الروائي الإسلامي في هذه الحالات عليه بمعايشة روح العصر الآلي ونبضه المتسارع وإيقاعه الجاد الذي قد يختزل لغة إبداعه ويرشقها دون هدم للقواعد التعبيرية فيحقق بذلك وعيا حضاريا.

وقد كشفت دراستنا لرواية "الإعصار والمئذنة" عن مفاهيم جديدة ذلك لأن عماد الدين خليل استطاع أن ينقل القارئ إلى "قلب النص المنتج فيشعر حينذاك أنه داخل الأدب بكل أنواعه الحوار والحركة والسرد والشخصيات والصور الشعرية والظلال، إنه يحملنا إلى قلب النص فنشعر بروح الأدب تسري في شرايين الحروف والكلمات ... وتصبح بعد حين في غنى عن تحديد النوع وما شابه ذلك"⁽¹⁾. وقد أدرك محمد إقبال عروفي في دراسته لرواية "الإعصار والمئذنة" أن النصية السردية بنيت وفق ثلاثة محاور أساسية هي⁽²⁾:

الفن - القيم - الارتباط بالأرض.

(1) محمد إقبال عروفي، جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط1، السنة 1986، ص 189.

(2) المرجع نفسه، ص 189.

أ- الفن:

مثل في الرواية المعاصرة أداة فعالة في التعبير عن المواقف والآراء والأفكار وحتى الإيديولوجيات والفلسفات المختلفة التي تروج بها أحداث الواقع وتفسر سلوكيات المجتمع والأمة عامة، فلم تعد الرواية ذلك الفن الذي يقدم المتعة والتسلية فحسب بل صار الفن الذي يتطلع إلى وعي حضاري بتصوراته وأحلامه التي يقذفها الراوي في نفوس القراء ويسعى في توصيلها إلى أكبر عدد من الجمهور.

ولأن الرواية بأحداثها السردية تثير اهتمام الدارسين والباحثين بما تتضمنه سيرورة فنية وشخصيات ومواقف تشويقية تتفاعل لتصل إلى نقطة التحضير للقراءة وإلى نتيجة أو نهاية وصلت إليها الشخصيات والأحداث والمواقف.

فالرواية الجادة صارت هي الأعمق تأثيراً والأكثر قيمة، وذلك حسب الاتجاهات والإيديولوجيات، ويمكن القول إن الكتاب الروائيين ذوي الاتجاه الإسلامي تمثل استلهامهم لقيمة الرواية في نشر الأفكار الإسلامية والتعبير عن آلام الأمة وأملها، لأن "للأديب المسلم دور عظيم في مرآة الحياة الإنسانية، فأدبه الأصيل يتدفق بهاءً وبحراً زاخراً باللائئ والذرز، وهو المرآة التي ينعكس عليها وجه الحياة وما يجري في جنباتها وأعطافها فيعطي صورة هادفة صادقة رائعة تأخذ بالقلوب والألباب تقرأها الأجيال في تمتع وإعجاب"⁽¹⁾.

ومن هذا المنظور اكتسبت الرواية قيمة في أوساط الجمهور المتعطش لملامسة هموم الأمة ومستقبلها وواقعها ... "ولعل هذا الوعي بقيمة الرواية لدى الرواة المعاصرين كان من وراء المقولة الشائعة الآن في الأوساط الأدبية: "صارت ديوان العرب بدلاً من الشعر"، ومع ما في هذا القول من مبالغة كبيرة، فإنه يؤكد بصورة ما على أهمية الرواية في التعبير عن الواقع الراهن بما يدور في داخله من أفكار وأحداث وتطورات"⁽²⁾.

(1) مجلة الأمة، ع 50 السنة: 1405هـ / 1985م، الأدب مرآة الحياة، صالح آدم بيلو، ص 85.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة: (حللي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 17.

وبهذا تكون الرواية عملاً فنياً صعباً يقتضي موهبة حقيقية بارزة، بالإضافة إلى خبرة تقنية عميقة، فضلاً عن احتياجها إلى ثقافة شاملة، وتنفيذها يتطلب جهداً ووقتاً كبيرين، "مما يدعو إلى العناية بهذا الجانب عبر التمحيص والدراسة، فقد لاحظ نجيب الكيلاني شيئاً من ذلك فقال: "إن الفن الإسلامي عامة والأدب الإسلامي خاصة، وتعريفهما في ظل العقيدة الدينية ودراستها على ضوءها لم يحظ بما هو أهل له من تمحيص ودراسة"⁽¹⁾.

وإذا أعدنا النظر في الرواية الإسلامية "الإعصار والمئذنة"، في جملتها وتفصيل شكلها ومحتواها من خلال المنظور الإنساني والتصوير الكامل للحياة، وجدناها تتفق وخصائص هذا اللون من الروايات وتعد واحدة من نماذج الواضحة حيث نبين ذلك كالآتي⁽²⁾:

فجوهر الرواية نلمسه في هذه الثلاثة:

- أ- إرادة تصوير أناس وبيئتهم الاجتماعية: يمثل هؤلاء الناس جموع المواطنين العراقيين ومن يعيش معهم في بيئتهم أو من يتعاملون معهم من شعوب وأناس آخرين.
- ب- حركة تطور: وهو ما يسمى بالمنطق التاريخي في حياة الأمم، وقد عرفت البيئة الموصلية هذه الحركة وهذا التطوير في الزمن الذي حدده المؤلف وقد بلغ نشاط الجماعات السياسية حداً كبيراً.
- ج- تحتوي على واحات هادئة كما تحتوي على لحظات اضطراب وتآزم بداية الرواية تميز بالهدوء ثم ما لبث أن بدأ التآزم بتصاعد.
- د- ليس المهم فيها هو ذلك الشخص، أو تلك المأساة، بل المهم هو مصير جماعة بشرية في فترة من التاريخ.

وقد نجد من هذا كله أن التربة الإنسانية العامة تظل من وراء السطور، فإذا كان ظاهر الرواية يدل على أنها تعالج مشكلة وطن بعينه في ظروف خاصة.

(1) نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، السنة 1976، ص 5.

(2) أحمد سيد محمد، الرواية الإنسانية وتأثيرها على الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، السنة 1989، ص 84.

لكن دلالتها البعيدة أوسع وأشمل من ذلك لأن قضية الاستعباد قضية بشرية قد تختلف مظاهرها ومواقفها وأساليبها، وتبقى هي ما بقيت على الأرض حياة. فما وظيفة الفن من كل هذا؟

تجد الباحثة نفسها مدفوعة إلى سؤال كهذا، وقد نجد أن سائر الناس يريدون بطريقة مباشرة البحث عن حركات التغيير التي تقع حولهم، وتحيطهم، ولكن المبدع يلجأ إلى اختراع عالم وسيط هو الذي يتحرك بدلا عنه لا يخص الموصل أو العراق بل تمتد عبر كل بقاع العالم، لأن ظاهرة الاستغلال والاستعباد تأخذ أبعادا شتى، فهناك الاستغلال في النفوذ وفي الجهد وفي الأجور وفي الفكر وفي الدين وغيرها ...

ومن هنا تتحدد القضية الجمالية والتي تعني بها النظرة الجمالية المتميزة للأدب الإسلامي والتي تنبع من طبيعة التصور الإسلامي ومبادئه وجمالياته وتمتاز بالثقة والتناسق والحركة والشمل والتجدد والتطهر لأن "الأدب الإسلامي تعبير جميل عن حقائق التصور الإسلامي من كون وحياة وإنسان وقيم ومثل وغاية وجود ... إنه يلتقي في إبداع نتاجه الحسي الإسلامي بالحس الأدبي الفني"⁽¹⁾.

فالحديث عن الفن في الرواية الإسلامية يستلزم دقة وعمقا وأصالة في البحث "قد تكون تجارب المسلم الحياتية أغنى وذلك بفضل رؤيته الكونية الواضحة التي تدفع صاحبها إلى الانغماس في الحياة بكل أشكالها، ولكن ذلك لم يحقق النتيجة المنشودة، بل لا بد من المستوى الفني والجمالي الرائق ..."⁽²⁾.

وبهذا تكون الاستجابة للرسالة الحضارية للأدب عن طريق إبداع فني ملتزم بمعطيات التصور الإسلامي الذي يدعو إلى رسم ملامح الرواية في جميع نشاطاته الفنية اللائقة بها كتصور واضح للحياة والكون والإنسان حتى لا يسقط هذا الأدب في الحضيض فيبنى على أساس من القيم الراسخة:

(1) محمد عادل الهاشمي، في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، دار المنار بيروت، ط1، السنة 1987، ص 37.

(2) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 57.

ب- القيم:

لقد أدرك الأدب الإسلامي أن القيم لا تتأني إلا بتصور صحيح للحقيقة الإلهية، فالرواية الإسلامية بتصورها الراقى وآفاقها الشاملة يمكن أن تكون ملاذ الإنسان الحائر في شتى أنحاء العالم، تقدم له الدور الإنساني الذي أضاعه والتصور الصائب للغاية التي يعيش من أجلها، فالتصور الإسلامي للوجود له قيم إنسانية راقية تعتمد مصدر الاستمداد في الحياة فهو يساير ناموس الكون بمعاييره وتقديره.

ولعل هذه القيم هي التي ترعى الروح الإيجابية في علاقة الإنسان بخالقه والوجود من حوله، فتكون قيما نزيهة في مختلف المجالات لأن قضية القيم "قضية حضارية أعم من النقد وأعم من الأدب نفسه، ومعظم القيم أي الأشياء التي نقدرها ونسعى لبلوغها، قابلة لأن تختزل إلى أشياء أبسط منها، ولكن القيم الأصلية في الحضارة هي التي لا تقبل الاختزال، وبما أن الأدب نشاط يمارس بغير هدف عملي أساسا (وإن جاز أن يطرأ عليه مثل هذا الهدف، فالأقرب أن يكون مبرر وجوده تعبير عن قيم اجتماعية"⁽¹⁾.

ولعل ضرورة وأهمية اتباع القيم الأصلية قد يكون هدفا لبلوغ التفسير الشامل للوجود وطريقة تعامله مع هذا الوجود، وله يعرف مركزه وغاية وجوده، ومنهج حياته والطرق التي خطه الخالق، منسجما مع فطرته ودوره في الوجود وإرساء قواعد الحياة ونظمها على أساسه وذلك يحرص الأديب على إشراقة أدبه وسموه وجودته لتكون مرآته ناصعة صافية بقوة في عقيدته واعتزازه بدينه وثباته في مواقفه.

"لأن العلم واجهة من واجهات الجهاد، بل إن دوره لا يقال عن أغنى الأسلحة وأحدث الوسائل في إلهاب الجماهير وتحريكها، وإشعال الحماس في قلوبها والذود عن الدعوة إلى الله وإبلاغها إلى الناس، ولهذا أقسم الله سبحانه وتعالى به لخطورة دوره وفعالية تأثيره وسرعة نفاذه إلى القلوب والعقول، وجاء ذكره في أولى آيات الوحي

(1) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 116.

الإلهي" (1). قال تعالى: ﴿ أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (2).

وقال تعالى أيضا: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ (3).

فالقيم هي الأصالة التي توضح حياة الإنسان لأن الأديب المسلم يؤمن بالقيم النابعة من الإسلام إيماناً راسخاً يترجمه حقيقة ماثلة بقلبه وقلمه ولسانه وسلوكه لأن هذه القيم هي المقومات الأساسية لبناء حياة جديدة بأن تعاش، وعندما تتلبد السحب وتحارب وتسجن هذه القيم فسيكون ذلك بمثابة إعلام عن بداية الشقاء البشري" (4).

وهي أيضا انعكاس لتطلعاته وآماله، وتاريخ صدق حافل بمراحل نهضته وانبعائه، كمنا أنه يعكس فكر الأمة وما يخلج من مشاعر أبنائها، وهو مرآة لفكر الإنسان وحياته الوجدانية: "وتستطيع إن نشاء نزود أدبنا من ينابيع أصالتنا ووجودنا، بوصفنا أمة ذات قيم عريقة، وذات أهداف رفيعة، وأنه ليس ما يلزمنا برأي دون آخر مما يطرح في العالم من آراء في الفن والأدب إلا ما يرقى بأممتنا ويوسع من عوالمنا ويصوغ وجداننا الإنساني، مما يحقق شخصيتنا الحضارية.

ففي انبعائها لأزمة التعبير في أدبنا بإحلال الأصالة والتميز مكان التغريب" (5). أما من حيث موقف الإنسان بقيم الخير والشر، فهو موضوع شاسع وعريض بتصوراته فالخير في الفطرة البشرية أصيل تنميه القيم الإنسانية، والشر وأصله الشيطان مناط اختبار وابتلاء للإنسان، إذا نجح في الاختيار نال الجنة والرجات العلا، وإلا فإنه لن يخرج من إطار الذين "هم في كل واد يهيمون".

(1) مجلة الأمة، ع 22، السنة 1402 هـ / 1982م، الأديب المسلم ودوره في بناء المجتمع، عباس محمود، ص 6.

(2) سورة العلق، الآيات من 1 إلى 5.

(3) سورة القلم، الآية 1.

(4) نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، ط2، السنة 1992م، ص 106.

(5) في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، محمد عادل الهاشمي، (مرجع سابق)، ص 59.

ويبدو أن العالم يعيش صراع القيم وإعادة تشكيل عقل الإنسان وفق أنماط محددة "والخيار في أزمة العالم الغربي والإسلامي يسير في اتجاهين، إما خيار تعزيز منظومة القيم الإسلامية وذلك عن طريق إعادة النظر في كيفية بناء تلك القيم وآليات إبراز هذه القيم في صورة واضحة مشرقة، في بعد يراعي الأصالة والانفتاح معا، ويتعاطى معها بطريقة تتسم بالجددة والإبداع في أطر عالمية، تستهدف الرحمة بالناس وفي أطر توظيفية في حل الأزمات والإشكالات التي يتخبط فيها المجتمع المعاصر. وإما خيار الانخراط في منظومة القيم المادية التي تسوقها العولمة بواسطة الإعلام والاقتصاد والقوة العسكرية، ومن ثمة الذوبان في مسلك حضاري تتشكل معالمه بعيدا عن أساليب الإقناع والحجاج والحوار والثقاف واحترام الاختلاف والخصوصيات الحضارية للشعوب وعليه فإن الاختيار الأول يبرز إلى الواجهة من خلال كيفية جعل القيم الإسلامية مادة لتغيير الواقع من السلب إلى الإيجاب ورفض اتجاهات تغير القيم الإسلامية في ذاتها"⁽¹⁾.

وقد نجد "عماد الدين خليل" واحد من بين هؤلاء الذين يدافعون ويدعون إلى التمسك بالقيم الإسلامية: "إن الأديب هو واحد من المدعويين لممارسة المهمة الخطيرة، بفنه القادر على التأثير والتحصين، بل إنه مدعو إلى أكثر من هذا، إلى دعوة المجتمعات الإسلامية لاستعادة ممارستها الأصيلة، وقيمها المفقودة، وتكاملها الضائع، وتقاليد الطيبة وإحساسها المتوحد وصبغتها الإيمانية التي أجهتها رياح التشريق والتغريب"⁽²⁾.

ومراعاة الأديب المسلم لقيم العقيدة والأخلاق لا يقلب أدبه إلى نوع من الخطابة العالية النبيرة في الوعظ والإرشاد أو إلى حصر أدبه في الحديث عما يراه خيرا وفضيلة دون سواهما، وإنما يدعو ذلك إلى تناول هذه القيم بأسلوب الأديب الفنان وهو أسلوب إيجابي غير مباشر مهتما بالجوانب المشرقة والمعتمة في الحياة.

(1) سعاد جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، "جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، السنة 2008م، ص 47.

(2) مجلة الأمة، ع 28 السنة 1983، وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي، عماد الدين خليل، ص 3.

ومن أهم القيم التي يتناولها الأديب المسلم⁽¹⁾:

أ- الإيمان الصادق: وهو أعظم القيم الإسلامية في حياة المسلم، وتميز هويته التي تستند إلى عقيدة التوحيد التي تشكل أساس التجربة الأدبية وخلاصة الإيماءات والإرشادات الإيجابية التي يدعو إليها الأديب في كل ما يثبت ويدع.

ب- التفكير والتأمل: ويحرص المسلم على تجلية هذه القيمة في إبداعه من خلال دعوته إلى تحرير العقل من الخرافات والعقائد المنحرفة والأوهام، كما تتجلى هذه القيمة في "عرض الأدلة الكونية العديدة التي تثبت وجود الله وقدرته وأن كل شيء خلقه الله الحكيم بقدر موزون"⁽²⁾.

وقد نجد التأمل في مناظر الطبيعة والاستمتاع بجمالها واستكشاف عظمة الخالق جل جلاله من خلالها "لأن الأديب المسلم يستلهم الصورة القرآنية عن هذه الطبيعة فهي ليست شيئاً جامداً في مادتها، وإن بدت كذلك، فكل ما في الكون متحرك يسبح بحمد الله وفضله"⁽³⁾. لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَوَّغَتْ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾⁽⁴⁾.

ج- الارتباط بالأرض:

كان هذا العامل من أهم محركات العمل الإبداعي في الرواية الإسلامية المعاصرة، لأن الأدب الأصيل في أمة مرآة لجغرافيتها، وتقويم لحياقتها، يعكس ميزة خاصة لمجتمع معين، فقد كان الأدب الإسلام بمثابة رسالة تحت على الإخلاص للوطن، والغيرة على مقوماته والحفاظ على أصالته والدفاع عنه.

وعلى هذا الأساس فإن الروائي أو الفنان عليه أن يغترف مادته الفنية من المنهل العام للمجتمع وأن يغمس قلمه في مشكلاته عن طريق المشاركة الفنية في القضايا التي

(1) أحمد عطية السعودي، شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، دار المأمون، الأردن، ط1، السنة 2010، ص 110.

(2) مجلة الاقتصاد الإسلامي، ص 13 ع 106 السنة 1994، "نحو أدب إسلامي أصيل، عبد المنعم حسنين، ص 73.

(3) شلناغ عبود، الملامح العاملة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة، دمشق، ط1، السنة 1412هـ.

(4) سورة النور، الآية 41.

تم أرضه وعصره وقومه، "وفي الحقيقة فإن تأثير المجتمع على الفنان تبدو ممثلة في فنه مهما تكن نوعية هذا الفن، فالقول باعتزالية الفن بمعناها المطلق من الممكن استبعادها تماما، فالفنان ملتصق بأتمته وأرضه في كل القيم الفنية من حيث الشكل أو الصياغة أو المضمون أو المعايير الاجتماعية أو الخلقية وسواها"⁽¹⁾.

فالعلاقة بين الفرد والأرض علاقة دينامية، والتأثير بينهما متمازج وهنا تدخل القضية الجماعية، لأن الأرض رمز للمجتمع، وكون الروائي صورة لهذا المجتمع وأنه "يوجد دائما في أعماق الأزمة الفردية قضية اجتماعية، كما أن في أعماق الأزمة الاجتماعية ملتقى الأزمات الفردية، والتجربة الأدبية تنشأ من الأرض، فتتكون فردية آنية جزئية، ولكنها لا يمكن أن تبلغ مداها وتحقق ذاتها وترقى إلى ذروتها، إلا إذا خرجت عن حدود الفرد إلى المجتمع، ومن الواقع الخاص إلى الواقع العام، وغدت المشكلة في نفس الأديب رمزا للمشكلة في ضمير الإنسانية، لأن الأرض مجال تكامل التجربة الأدبية كما أنه مجال تكامل الفرد"⁽²⁾.

كما ارتبطت قوة الأدب العربي لتضامنه مع الحياة والأرض وأنه قد أصابه الفتور والتهالك حين اضطر إلى الاعتزام، ويترهن القصائد العربية لم يكن يحلو لها الاسترسال في النظم والإبداع ما لم تقف على أطلالها وتسلم على أرضها. وبهذا يبدو أن الارتباط بالأرض عامل فعال في تحريك طاقات المبدع وفي تكوينها الروحي والنفسي لأنه بذلك يعكس أهدافا وأمالا سامية، تدفع بالجماهير لإدراك دورهم في الدفاع عن أرضهم، كما يجي فهم بعث الرسالة التحررية الكبرى المنوطة بهم باعثة في القلوب حياة جديدة، وإخلاصا للوطن وتضحيات من أجل إحياء ربيعته على طول السنة.

فهذا الارتباط يجد الأديب نفسه مدعوا إلى تحقيق وجوده وتفكيره من خلال رسالة الأدب، فيكون بذلك الوجود الحي الذي به يجزر وبين ويشيد أرضه، وبذلك

(1) رجاء عيد، فلسفة الالتزام بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، الإسكندرية (د.ط) السنة 2000، ص 86.

(2) إيليا الحاوي، نماذج في النقد الأدبي، دار الكتاب لبنان، (د.ط)، ص 102.

"فإن الإسلام لم يلغ ارتباط الفرد المسلم بقبيلته، ولا حجر عليه الإشادة بما مادام واعيا لحدود هذا الارتباط"⁽¹⁾.

فالراوي أثناء إبداعه يصور مجتمعه وأرضه في لوحة يحاول بواسطتها جذب القارئ فقد نجد "عملية تفسير الرواية عبارة عن عملية تفسير لحياتنا الخاصة ذلك لأن التماثل بين الحياة الفعلية والحياة المصورة في الرواية يبدو شديدا بحيث لا يمكننا معه أن نتجنب الوقوع في نقل المعنى من واحدة إلى أخرى، ومن ثمة يجب علينا أن نبحث عن تفسيرات الطبيعة الخاصة للمجتمع ... كيف يعمل؟ ما هي العناصر الفعالة في تكوينه الموجهة لحركته؟، ما قيمته السائدة؟ ومن المحتم أننا سوف نجد أمام أنفسنا ملامح واضحة للمجتمعات للإنسانة عامة"⁽²⁾.

فقد تعالج الرواية أحداثا وقعت أم لم تقع، فتحاول بذلك تحديد المكان الذي سيكون المحرك الأساسي لأدوار الأشخاص، والأمثلة على ذلك كثيرة، خاصة في الرواية الإسلامية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "الإحصار والمثذنة" والتي يأخذها صاحبها إلى الارتباط بالموصل، وهو الطريق الذي اتخذته الرواية للاستمرار في أحداثها من البداية إلى النهاية، وكذلك نجد الرواية الإسلامية: "مملكة الملعوطي" لمؤلفه نجيب الكيلاني (1931-1995) وتعد آخر رواية له.

فهذه الرواية مثل جل روايات الكيلاني، تتكئ على الواقع حيث تنطلق من أحداثه وتفصيلاته التي تجري في أرض الوطن، بمختلف الأزمنة، فقد جسد ارتباطه بأرضه في شخصية "البلعوطي": "يمكن القول إن "البلعوطي" في الرواية من خلال بيئته الريفية قد وضعته الأقدار ليحقق أحلام الناس في إقامة القيم الفاضلة أو المجتمع الفاضل بطريقة واقعية إسلامية تختلف بالضرورة عن المدينة الفاضلة المثالية الأفلاطونية"⁽³⁾.

(1) مصطفى عليان، مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، دار المنار، السعودية، جدة، ط1، السنة 1985، ص 99.

(2) ينظر، روجر هنكل، قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير ترجمة صلاح رزق دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (د.ط)، السنة 2005، ص 23.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 41.

واعتقد أن الرواية الإسلامية مهما كان موضوعها، فإنها تمدنا بإيقاع حركي يذكرنا بأننا جزء من أرضها ويقحمنا في هذه الطبيعة، وكما ورد في "رواية الإحصار والمنزلة" فقد وجدنا أنفسنا مرتبطين بالموصل وأن لطبيعتها نبضها الخاص الذي يستمد من تلك الفصول التي تحدد قيمة الأرض بالنسبة للشخصيات الموصلية.

فقد يمثل الارتباط بالأرض شريكا بصورة ما في أحداث الرواية، وقد يكون أيضا شريكا أو أكثر من ذلك في الصراع بين الشخصيات، وربما نجد في الرواية الصورة الكاملة والحية لأرض نسمع عنها أو نجهلها تماما، فيحرص الراوي على إبرازها بأضواء كاشفة من مختلف الجوانب سواء أكانت الطبيعة الجغرافية أو الجوانب الاجتماعية.

د- العتبة الكبرى: انفتاح المدخل

أعتقد أن السارد كان شديد الذكاء حين اختار للرواية هذا العنوان، باعتباره العامل الأساسي في انطلاقه وسيرورة الأحداث حتى النهاية. هذان القطبان (الإحصار/المنزلة) هما محركا الرواية وأرضيتها المهيأة لبروز شخصياتها وتفاعلهم.

والثنائية كانت من ورائها خلفية إسلامية لقوله تعالى: ﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1).

هذا مثل ذكره الله تعالى لمن يتبع إنفاقه بالمن والأذى، والمعنى أن يكون للإنسان جنة في غاية الحسن، كثيرة النفع، وكان الإنسان في غاية العجز عن الكسب وفي غاية شدة الحاجة، وله ذرية في غاية الحاجة وفي غاية العجز، وهذا ما يزيده محنة وعجزا.

(1) سورة البقرة، الآية 266.

فانظر كم يكون في قلبه من الغم والحسرة، والمحنة والبلية ثارة بسبب أنه أضع مثل ذلك المملوك الشريف النفسي، كذلك الشخص العاجز الذي يكون كل اعتماده في وجوه الانتفاع على تلك الجنة.

وكتيجة لخطورة الأثر الذي يخلفه الإحصار، قد وظف السارد في الرواد وكبديل لما خلفه الشيوعيون من أذى لأهالي الموصل.

وقد عبرت الثنائية القطبية (الإحصار / المئذنة) عن الثنائية القطبية (الشيوعيون / المسلمون)، لأن الروائي قد عبر بهذه الثنائية عن التصادم الواقع بين قطبين متباعدين أحدهما يمثل الحيز: (المئذنة) والآخر يمثل السر: (الإحصار) ويبدو أن مثل هذه الثنائية قد أشار إليها نجيب الكيلاني حيث يرى: "أن طبيعة الصراع بين النماذج البشرية (طبيب مشغل وطبيب فاضل) تقتضي التصادم بين الخير والسر، والحق والباطل، والظلم والعدل"⁽¹⁾.

"إنّ هناك رغبة هائلة لإعادة سرد تاريخ العراق الحديث، ليس من وجهة نظر عقائدية أو إيديولوجية، سياسية، تلقينية، وإثما انطلاقاً من سفل الحقيقة التي تفور بالتنوع والتعددية، والحق أنّ إعادة السرد هذه هي بالضبط "ريح" العراق المعاصر الذي يقوم من بين الأموات اليوم، فهذه المرحلة المهولة والشديدة المفصلية في تاريخ العراق ليست كلها هزائم، وليست كلها "أفول" ذلك أنّ رفع الغطاء مؤخرًا عن هذه الخلطة السردية المخبأة منذ آلاف السنين والتي اشتدّ الضغط عليها في الفترة الأخيرة خلال الحروب الإيرانية وحربي الخليج، وقد كشف المستور وأدخل العراق في نفق الفوضى المنتهية عاجلاً أم آجلاً إلى نظام ما مستقر"⁽²⁾.

ولعل أحداث الرواية مرآة عاكسة لأحداث جرت بالموصل سنة 1959م نتيجة للسياسة البشعة التي انتهجها الرئيس السابق "عبد الكريم قاسم" حين فسح المجال

(1) نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، السنة 1987، ص 110.

(2) زهير الجبوري، مئذنة الشعر، دراسة وقراءات وآراء في شعر باسم فرات، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، السنة 2007، ص 24.

للسيوعيين فأشعلوا نار الفتنة وراحوا يخرجون البلاد ويدمرون المباني ويرعبون الأهالي، هؤلاء الضعفاء الذين لم يجدوا أمام هذا الاستغلال سوى التضرع إلى الله والصبر حتى يحين الفرج.

لكن حينما أحس بعض الغيورين على شعبهم ووطنهم حاولوا الإصلاح وكان من بين هؤلاء اللواء الخامس الموصل "عبد الوهاب الشواف" حين اتصل بالرئيس عبد الكريم قاسم "لينبهه بما يجري من ظلم للشيوعيين للأهالي، لكن الرئيس تجاهل الأمر وأوهمه أن الأمور هادئة وأن هؤلاء المستضعفين لن يفلتوا من قبضة العدالة أما الشواف فبعدما اطمأنت نفسه، أدرك التواطؤ الحاصل بين الرئيس والشيوعيين.

ولعل الوفاء الذي يتمتع به أهل الموصل المتمسكين، بقيمهم الإسلامية ومشاعرهم الأخوية جعل أعدادهم يحرصون على أن يكيّدوا لهم كيّدا "فقرروا عقد مهرجان كبير أسموه ظلما وزخرفة "مهرجان أنصار السلام" وحشدوا له جل الشيوعيين في بغداد والمناطق الأخرى، وعند وصول الخير إلى العقيدة الشواف أحس بأن كيد الشيوعيين لن يتوقف أبدا وأدرك نتيجة رغبته في الإصلاح الوضع والحفاظ على قيم الموصل وأن الشعب الموصل أحق بالوعي لهذه المؤامرة، فالتفت إليهم وتم توزيع السلاح وبلورة وعي المواطنين بقضيتهم المصيرية، فكانت النتيجة الأخيرة هي الصدام بين الشيوعيين وأهل الموصل الذي فجر الثورة آنذاك"⁽¹⁾.

ولعله وعي بما عرفه العراق في عقود مضت من الصراعات الدموية وهي في كل الأحوال بحاجة إلى لمّ الشعث وتوحيد الصفوف وشد الأحزمة للبناء وإعادة تأسيس الدولة وتأمين الحرية للعراقيين.

وعلى هذا الأساس "نجد تاريخ العراق في سنة 1959 حافلا بالحركة وإرادة الشعب في التغيير.

(1) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 191.

وقد كانت حركة الشواف المسلحة التي وقعت في الموصل ويسمونها الناس "ثورة الموصل" أو "ثورة الشواف"⁽¹⁾.

لم تكن ثورة الضباط العسكريين بقيادة العقيد الركن "عبد الوهاب الشواف" قائد اللواء الخامس فحسب، بل كانت حركة القوى الوطنية والإسلامية في الموصل، وبالأحرى كانت ثورة الموصل كلها، والتي انضمت إليها الجماهير للدفاع عن دينها وعروببتها ومبادئها الأصيلة، وكان هذا الانضمام بعد أن شعر أهل الموصل بتفرد الزعيم "عبد الكريم قاسم". وكان "آنذاك يشغل منصب رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة العراقية، وتفريطه في زملائه من قادة وضباط قادة الثورة، وفسحه المجال لتنظيمات الحزب الشيوعي العراقي والمقاومة الشعبية والاتحادات والنقابات ووسائل الإعلام المؤيدة لهم آنذاك لإبعاد العراف عن محيطه العربي الإسلامي. الابتعاد عن الأحزاب والقوى القومية وترسيخ فكرة الجمهورية العراقية الخالدة، أي قطع الطريق أمام كل محاولة للوحدة أو الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) والتي كان قيامها سنة 1958م يمثل استحابة لحلم العرب في الوحدة العربية.

"لقد أطلق "عبد الكريم قاسم" العنان للشيوعيين للوقوف ضد القوى الوطنية، وحين قرر الحزب الشيوعي ومنظمة أنصار السلام التي سيطر عليها الشيوعيين عقد مؤتمرهم لم يجدوا غير الموصل مدينة يعقدون فيها هذا المؤتمر فبدأت وفودهم تصل إلى المدينة منذ مطلع مارس 1959، وصاروا يسرون في شوارع الموصل ويعبثون بأمنها ويتهددون ويتوعدون بالقضاء على ممثلي التيار القومي الإسلامي.

وقد حدثت خلال الأشهر الواقعة بين يناير ومارس 1959م مصادمات بين القوى القومية والإسلامية من جهة، والشيوعيين ومن والاهم من جهة أخرى"⁽²⁾.

(1) حركة الشواف في الموصل سنة 1959 مقال لإبراهيم خليل العلاف، أستاذ التاريخ الحديث جامعة الموصل، ص 1 (الأنترنت).

(2) المرجع نفسه، ص 2.

وبهذا بدت المدينة كأنها كتلتين: كتلة قومية تناد بشعار الوحدة العربية وبدعم الاتحاد القومي، وبكتلة تنادي بشعار الاتحاد الفيدرالي والصدّاقة السوفيتية والجمهورية العراقية الخالدة.

وبهذا الاختلاف وجد الصراع طريقة إلى النقابات التي انقسمت بدورها إلى كتلتين متناقضتين إحداهما سميت بـ: "القائمة الجمهورية" وقد خاضت التيار القومي الجمهوري، أما الأخرى فقد سميت بـ: "القائمة الديمقراطية" وهي تمثل الفئات والعناصر ذات التوجه الشيوعي وبعض عناصر الحزب الوطني الديمقراطي.

"وكان لكل كتلة وسائلها في الصراع من مقاهي ومكتبات ونوادي، فللقوميين مكتبة باسم "العروية" وللشيوعيين مكتبة باسم "المهداوي" (نسبة إلى العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العليا العسكرية الخاصة والمعروفة بمكتبة الشعب)⁽¹⁾.

وهكذا أخذت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ خاصة بعد أن تم الإصرار على إخضاع الموصل بقوة وعنف، وعلى هذا أقام العقيد الركن عبد الوهاب الشواف بالاتصال بالعناصر الوطنية والقومية والتي شكلت تجمعا قوميا ضم القوميين بمختلف أجنحتهم من ناصرين وحركيين وبعثيين وممثلين عن التيار الإسلامي وعلماء الدين وممثلي عدد من الأحزاب العلنية مثل حزب الاستقلال، وقد سمي ذلك التجمع بـ: (التجمع القومي الإسلامي) ومن أبرز ممثلي التجمع القومي الإسلامي، عبد الله الحسين، وهاشم عبد السلام ...

"وفي 22 فبراير 1959 أقام الطلبة القوميون احتفالا كبيرا لمناسبة الذكرى الثانية لقيام الجمهورية العربية المتحدة، وكان بحق مناسبة استفاد منها القوميون لتأييد أهدافهم ونشاطاتهم اتجاه سياسة قاسم الخارجية التي أبعدت العراق عن شقيقته الجمهورية العربية المتحدة.

(1) حركة الشواف إبراهيم خليل العلاف، (مرجع سابق)، ص 3.

وقد عبرت تلك الاحتفالات عن قوة التوجه الوطني والقومي في الموصل الأمر الذي جعل الشيوعيين يصرون على تفجير الموقف بالموصل بغية تحقيق أهدافهم عليهم يضعون حداً لنشاطات القوميين والإسلاميين.

وعلى هذا الأساس حاول العقيد الركن "الشواف" تفادي المواجهة، وذهب إلى بغداد وأطلع الزعيم عبد الكريم قاسم على حقيقة الموقف، لكن الزعيم تغافل عن نتائج هذه الأحداث وأصر على عقد المؤتمر⁽¹⁾.

وإزاء الفوضى التي حدثت إثر انتشار عناصر أنصار السلام الذين وصلوا الموصل وإثر تحديدهم لأهلها الذين بدورهم، أغلقوا بوجههم المطاعم والمقاهي والخوانيت. وبعد ذلك حدثت مصادمات في بعض الأماكن العمومية في الموصل، حتى أن أهلها خرجوا بمظاهرات سلمية تترجم استنكارهم لما يجري، لكن العناصر الشيوعية كانت تترصد هذه الحشود بإضرار النار في المكتبات والمقاهي، وعلى إثر ذلك اضطرت القيادة العسكرية في المدينة إلى وضع حد لهذه الفوضى فأصدرت أمراً بمنع التجوال محاولة منها إعادة الأمور إلى مجاريها، ولكنها فشلت، عندئذ أقبل الركن "عبد الوهاب الشواف" صباح الأحد الثامن من مارس 1959 بإعلان العصيان على بغداد مطالباً "قاسم" بالتنحي عن السلطة ودعوة مجلس السيادة القائم آنذاك لممارسة سلطته الدستورية.

ومما جاء في البيان الأول الذي أذيع في وقت متأخر من صباح الأحد الثامن من مارس 1959 وقعه الركن "عبد الوهاب الشواف" على أنه قائد الثورة من جهة لتكبير أو تصغير الصورة من جهة أخرى ولعرض الصورة في صفحة مستقلة بحجمها الطبيعي: ومما جاء فيها:

"إن الزعيم خان ثورة 14 تموز، وعاش بمبادئها، وأهدافها، ونكث بالعهد، وغدر بإخوانه الضباط الأحرار، وتكل بهم، وأبعد أعضاء مجلس الثورة الأشاوس، ليحال محلهم

(1) حركة الشواف إبراهيم خليل العلاف، (مرجع سابق)، ص 4.

زمرة انتهازية لا تملك من رصيد التأييد الشعبي غير التضليل والتهافتات والمظاهرات... وأطلق للإذاعة والتلفزة عنان الفوضى لتخاصم جميع الدول وتشنها حربا عدوانية على الجمهورية العربية المتحدة التي جازفت بكيانها من أجل إنجاز ثورتنا ودعم كيان جمهوريتنا، واستهتر بدستور جمهوريتنا المؤقتة، وسلب مجلدي السيادة كل مسؤولياته الدستورية"⁽¹⁾.

أما الزعيم فقد اندفع وأرسل الطائرتان لقصف مقر قيادة الشواف وقصف المدينة، فحدث التراجع واختل التوازن، وفشلت الثورة بعد استشهاد الشواف واستغل الشيوعيون الوضع وبدأوا صفحة دموية حيث قتلوا وأعدموا، و"كان عدد ضحايا هذه العملية أكثر من "مائة واثان ومواطن، وقدم قادة الثورة وضباطها وعدد من الضباط الأحرار إلى المحكمة العسكرية العليا الخاصة، وصدرت أحكام الإعدام ضدهم"⁽²⁾.

وتقوم فكرة الرواية التي ارتبطت بالعينة الكبرى على إبراز مقاومة الموصل للحكم الشيوعي في بغداد الذي "أخذ يجمع حوله أصحاب التوجه الشيوعي ويقيم علاقة وثيقة مع موسكو قطب الشيوعية العالمية حينذاك، وترددت أخبار عن تمزيق الزعيم الأوحدهم للقرآن الكريم بل صدرت بعض الصحف في القاهرة وجعلت عناوينها الرئيسية خير تمزيق القرآن في بغداد على يد الشيوعيين والزعيم الأوحدهم.

وتسعى الرواية في الوقت ذاته إلى إبراز دموية النظام الشيوعي، ورصد مظاهر قمعه وقهره للشعب العراقي خاصة أصل الموصل"⁽³⁾.

في الرواية نجد المشاركة في المقاومة متنوعة من علماء دين ومواطنين رجالا ونساء، شبانا وشيوخا بل تركز الرواية على مشاركة المرأة في الثورة من خلال بطلتها "سلمى" "لقد كان الرعب الشيوعي يحتل مساحة لا بأس بها في الرواية عثرت عنه هتافات الشيوعيين: "ماكو مؤامرة تصير والجبال موجودة"، وكلمة "ماكو" هي من

(1) حركة الشواف إبراهيم خليل العلاف، (مرجع سابق)، ص 4.

(2) المرجع نفسه، ص 5.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 58.

اللهجة العراقية الدارجة تفيد النص، والجبال وسيلة السحل والقتل وتصفية خصوم الشيوعية أو "أعداء الشعب" كما سماهم أنصار السلام⁽¹⁾.

وانتهت الرواية بتصوير عمليات الانتقام وتصفية الحسابات تصويراً بشعاً يتنافى مع الأخلاق ومع الإنسانية ومع جميع الشرائع السماوية.

إضافة إلى هذا فقد أشار صاحب الرواية إلى غايات الشيوعيين المشينة، وقد أعلنوا عنها في كثير من مناسبة عبر صفحاتها، وكانت هذه الغايات تتركز في القضاء على المنارة العالية التي كانت ترمز إلى الدين الإسلامي وإلى المصلين وأهلها المتزمين بنور هديها ولعل الهدف كله من وراء هذه الثورة هو الوعي بضرورة التخلص من الظلم والاستعباد. والحلم النبيل في إزالة قهر الشيوعيين، فقد تتالت الممرات النصية على لسان الشيخ: "هاشم عبد السلام" إمام المسجد وزعيم الجماهير، وهو ينتظر ساعة المواجهة.

كقوله "إنه في هذه اللحظات التي تبدأ فيها دراما الصراع بين النور والعممة، يستطيع الإنسان المؤمن أن يتعلم، وإن ثورتنا القائمة بعد ساعات ما هي إلا دقيقة نور تسعى لمطاردة الظلام وتطويقه، ولن يعني انتصارنا توقف الصراع، كما لن يعني انكسارها وتلاشيها نهاية للملاحقة الأبدية بين الشعاع والدخان.

وحدق في الأفق الشرقي بنشوة وهو يقول في نفسه: ها هي ذي دورة جديدة من التقابل الأبدي، كما كانت بالأمس وكما ستكون غدا.

كما استرسل قائلاً: إن الله جل وعلا يعلمنا، وقليل ما نتعلم، ولكن ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع اليوم ما نملك وما تقدر عليه في مواجهة القوى التي تيعى إلى حصار الإنسان، واختناق العالم، ووقف حركة الأرض الأبدية، وتناغمها مع الكون... وفي هذا وحده العزاء...⁽²⁾.

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 59.

(2) عماد الدين خليل، رواية الإحصار والمفدنة، دار ابن كثير، ط1، السنة 2010، ص 103.

ولعل الفارق بين القوتين كان واضحاً، فالنظام والشيوعيون كانوا واثقين من قدرتهم ومن معرفتهم بقوة الخصم وهو "الشواف" ومن معه، فالزعيم لديه الجيش والقوة الجوية والإمكانات القتالية التي سخر جزء منها لسحق العدو.

إلا أن القضية التي لا بد من الإشارة إليها هي أن "الخطأ الذي مارسه الشواف بسرعة في إعلان الثورة قبل الموعد المتفق عليه مع سائر أصحابه في بغداد وبقية مناطق العراق، الأمر الذي أحدث ازدواجاً في التحرك وإرباكاً في موقف كبار القادة العراقيين وبخاصة الشهيدين "ناظم الطبقجلي" و"رفعت الحاج" هذا الخطأ هو العامل الأساسي الذي أودى بمصير الثورة والثوار ... وزار زمرة من المؤمنين والمؤمنات ومئات من المواطنين الأبرار إلى حتفهم وسط عاصفة من الإرهاب الأحمر والدكتاتورية الطاغية، لكن الذي ألقى العزاء في أفئدة المهزومين يومها إيمانهم بأن الدم الذي نرفته أجساد الثائرين سيظل يلهب كالنار ليسير وجهه الأبدي المحمص كل الذي آلوا على أنفسهم أن يحملوا عقيدتهم وعروبتهم وتاريخهم وقيمهم إزاء عوامل التحلل والإفناء"⁽¹⁾.

وقد يتجلى إبداع الروائي في رسمه للشخصيات في مدى قدرته على تعمق دواخلها وخفائها، ولمس اهتماماتها والنفوذ إلى عوالمها، وإمداد القاري برصيد وافر من كل ذلك، كأن يكون المبدع في دراسته للشخصيات تارة عالم نفس، وتارة أخرى عالم اجتماع، وفي كلتا الحالتين تبرز إسلاميته، ويبدو أن "عماد الدين خليل" قد نجح في تصور تلك الفترة القلقة من تاريخ الموصل وذلك بنجاحه في استرداد الشخصيات.

وقد اتبع الشارد في ذلك أسلوب وصف الشخصية برسم سماتها الشكلية وإخبار القارئ بمظاهرها الدالة على صفاتها وبنيتها الداخلية متبعاً في ذلك ثلاث مراحل في فهم الشخصيات⁽²⁾.

(1) عماد الدين خليل، كنبات إسلامية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، السنة 1982، ص 54.

(2) نجم عبد الله كاظم، الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د.ط) السنة 2007، ص

أولاً: هنا دوماً (الآخرون) الذين يمثلون أحيانا العالم الذي يريد البطل الانتساب إليه وأحيانا الذي يريد أن يهرب منه، وأحيانا وتعلقاً بذلك يمثلون السلطة أو رموزها ورجالها، وهم الذين يقومون بملاحقة البطل أو بإلقاء القبض عليه والذي عادة لا يكون متوقفاً أو مصنعا.

ثانياً: نرى أن حقيقة الملاحظة وإلقاء القبض + تجسيد لأزمة واحدة الداخلية نفسية فردية يعيشها البطل وثانية خارجية اجتماعية وثالثة سياسية تنشأ عن عدم ارتباطه بالآخرين أو برفض الآخرين له أو بعدم التلاحم بينهما.

ثالثاً: تنتهي غالبية الروايات أو لنقل الملاحظات ومجريات الاعتقال التي يتعرض لها الأبطال بالإدانة وربما بالموت.

ولعل هذه الأحداث وغيرها قد صنعتها شخصيات كان لها الأثر الكبير في بناء الرواية، لأن "التصور الناجح للشخصيات من أهم علامات نجاح العمل الإبداعي، وقد ظهرت مدارس عدة في تحليل الشخصية وأسلوب تصويرها الأمثل"⁽¹⁾.

II. الشخصيات: الوصف والأبعاد:

1- الشخصية الرئيسية: عاصم الدباغ:

أ- البعد الجسمي: أميل إلى الطول، ذو بشرة بيضاء مشرقة بقليل من السمرة، شعره الكستنائي الفاقع بنسب على حينه بعض الشيء، كث، لكنه مصفوف بعناية، والأنف يعاني بشيء من عدم التناسق مع عينين عسلتين مترعتين بالسكينة، وثمة شارب رقيق يعرف صاحبه كيف يجعله دائماً مشدداً مرسوماً⁽²⁾. ولم يقف السارد عند هذا الحد من الوصف بل دعمه بوصف المظهر الخارجي للشخصية باعتبار اللباس جزءاً من شخصية صاحبه "وكن الرجب (أي عاصم) يعني بهندامه فيحاول حد المعقول ومن أجل مزيد من التأنف الذي يستهويه. كان يؤثر بعض الأحيان أن يطوي منديلاً ملونا فيضعه في جيب

(1) مجلة الأدب الإسلامي، ع 21، الإحصار والمنزلة، عماد الدين خليل، ص 58.

(2) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 9.

سترته العلوي، لكي يتناظر مع رباطه الأنيق، أما ياقة القميص المنشأة البيضاء فما انخرقت زواياها يوما عن أماكنها، ولا عرفت بقعة من عرق أو ذرة من غبار، وفضلا عن هذا كان يلبس أحيانا، نظارات شمسية، داكنة تمنحه بهاء أكثر⁽¹⁾.

ونستطيع أن ندرج "عاصم" ضمن الحقل اللساني في رواق "الشخصية المجانية (Personnage Alegorique): إذ تتميز كل شخصية في أي نسق روائي بصفات وملامح حدية ومعنوية يستطيع القارئ اكتشاف الصفات الأولى بسهولة لأن الشارد يعتمد فيها على التصوير الخارجي القائم على الملاحظة، أما الصفات المعنوية فإنه لا يتسنى للقارئ اكتشافها إلا في أفعالها وأقوالها، وهذه الحالة تقوم الشخصية بإنجاز أفعال أو التعبير عن رغبة أو التظاهر بأمر ما وهي تبطن أمرا آخر، ويترتب عن كل ذلك انبثاق الشخصية وعلاميتها".

وقد تتضح الشخصية أكثر عند دراسة بعض الأبعاد الأخرى التي ستفصح عنها أكثر.

ب- البعد النفسي:

تفيض عواطف عاصم حبا لخطيبته، كان يرى في وجهها كل مظاهر الجمال ويحاول الاقتراب منها ما استطاع ويتمنى لو سافر معها بعيدا حيث لا إنس ولا جن، وقد قدم لنا الروائي منذ السطور الأولى من الرواية الصورة التي تعبر بصدق عن عشق عاصم لسلمي: "كان يرى في عينيها السوداويتين جنته الأرضية، هنا يموت الإنسان من العشق الجميل، هنا يمكن أن يفجر الإنسان ويغدو شيطانا، ويمكن أن يطير إلى السماء السابعة فيتعلم كيف يخاطب الملائكة"⁽²⁾.

ولعل عاصم كانت تنقصه المعرفة النفسية حين كان يفشل في التعامل مع خطيبته وكان كلما حاول الاقتراب منها وجد أمامه جدارا يصده "وكان كلما جلس إليها يستمع إلى همسها الخجول ما كان هو يحكي لها شيئا، ما كان يقول أية كلمة، لأن

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 9.

(2) المصدر نفسه، ص 7.

لسانه، وقد ارتاح إلى الصمت ترك في الأغوار ألف كلمة لا تحتاج إلى شفاه ... ما الذي كان يقوله وهو ينظر إلى عينيها محققا حيناً، مطرقاً حيناً آخر؟

لا أحد يعرف أبداً ... فالناس يتعاملون مع الآخرين من الخارج، ويفهمونهم من الخارج، وينشئون معهم العلاقات والصلات من الخارج أيضاً ... أما ما يحدث في الداخل، حيث يتشكل الإنسان فلا تمتد إليه عين، من منا حاول أن يجتاز الجدار المتطور إلى هناك لكي يعايد عملية التشكل تلك" (1).

ولعل السارد يحاول من خلال هذا السؤال تعليق شخصية عاصم وجعلها ثابتة من بداية الرواية وقد أثبت ذلك حين قال: "وإن شعر ربما لأول مرة أن الجسور قد تقطعت بينه وبين خطيبته، وأنه يحكي فلا تسمع ولا تجيب، وأثر أن يعتذر ويقادر الدار ولكنه تريت قليلاً..." (2).

وإضافة إلى الثبات الذي ميز "عاصم" قد تكونت في شخصيته صفة سلبية أخرى وهي التراجع إلى الوراء وعدم المبادرة في المواجهة والمجابهة، ويظهر ذلك في عدة مواقف منها: "كان ينظر إليها وهو يتراجع ثانية" (3)، "نهض عاصم من مكانه واقترب من المدفأة لكي يتزود بشيء من الدفء ثم ما لیت أن أشعل لفافة تبغ وتراجع ثانية لكي يستقر حيث كان لحظات" (4).

هذا التراجع في المجابهة وحسم الأمور رافقه التراجع لشدة الخوف والهلع من الأحداث التي شهدتها الموصل "وهي تقترب (التظاهرات) كان يرتجف لها قلبه، ويحس بخوف مجهول يدفعه إلى عد الخطي متراجعا صوب أقرب زقاق لكنه ما يلبث أن يغيب مبتعداً..." (5).

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 7.

(2) المصدر نفسه، ص 9.

(3) المصدر نفسه، ص 9.

(4) المصدر نفسه، ص 10.

(5) المصدر نفسه، ص 59.

ويبدو أن هذا الثبات وهذا التراجع اللذان اختصت بهما شخصيته "عاصم" كان لهما الأثر في إضافة صفة أخرى وهي القلق والخوف وعدم إبداء رأي اتجاه جبهة معينة، "نفض عاصم ثانية كان القلق هذه المرة يهيمن على ملامح وجهه ممتزج بحزن غير قليل..."⁽¹⁾، ولعل تقنية عاصم استقرارها المرض كما استقر جسمه، "إنك تعلم يا عماء أنني أعاني من متاعب في الكلية وإن الأطباء نصحوني بالامتناع عن الصيام"⁽²⁾.

وقد ورث هذه الشخصية في الرواية مثالا للتردد والأناية المادية، بفكر فقط في الهرب بعيدا مع خطيئته لتتراجع نفسيته المتعبة.

وقد كان نصيب عاصم ف-ي التفسير النفسي لأبعاد الشخصيات أنه يتمحور في مقياس القلق حيث "يتسم الشخص مرتفع القلق بالخصائص التالية:
- كثرة العموم - سرعة الإثارة - التوتر - الإحباط العاطفي - سرعة الغضب - انخفاض الثقة - أداء المهارات التي لم يسبق تجربتها - الاضطراب في المواقف الطارئة أو الضاغطة"⁽³⁾.

فهذا القلق هو الذي يدفع عاصم لانتزاع "سلمى" من مشاكل السياسة وهموم الوطن وما ستلقاه من مجازر حيث يقول: "خير للمرء أن يغادر الموصل إلى بغداد" ثم يقول "لا تندفعي وراء المثاليات يا سلمى، فإن الناس إذا ما داهمهم الخطر يجدون أنفسهم مدفوعون للبحث عن الأمان"⁽⁴⁾.

فعاصم بهذه الصورة الممتزجة بألوان القلق والأرق، مما تشهده المدينة، ومما ستشهده يحاول السيطرة على الوضع بالهرب بعيدا.

والابتعاد عن المواجهة، فلعل الأمنية الوحيدة التي يود تحقيقها هي السفر مع سلمى بعيدا حيث ترتاح نفسه من وبال السياسة، ويرجو لو أن سلمى كانت تفكر كما يفكر هو تترع من رأسها الأفكار التي تبعدها عنه وكأن "عاصم" تسيطر عليه الغيرة من

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 14.

(2) المصدر نفسه، ص 19.

(3) أحمد عبادة مقياس الشخصية، "للشباب والراشدين"، ج 2، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط 1، السنة 2001م، ص 23.

(4) الإحصار والمنزلة، الرواية (مرجع سابق)، ص 29.

الحب والعشق الذي تكنه لمدينتها، فيريد انتزاعها من التعلق بالموصل والانفراد بها: "أب لو أنها تترع من رأسها هوس الاندماج فيما تشهده المدينة .. أن لو أن حمى التحدي التي تعصف بجوارها تنعكس محبة وحنانا ... ما لها وما يجري في البلد؟ ولكن لا بأس فسيحاول المرة تلو الأخرى أن ينتزعها من التيار ... أن ينقذها من الهدير المخيف الذي اختارت أن تذهب إليه بإرادتها، لكي يأخذها بعيدا صوب الضفاف النائية، حيث لا قاتل ولا مقتول حيث تحتفي لغة الرصاص، لكي تحل محلها كلمات العشق والمحبة"⁽¹⁾.

ففي الوقت الذي تسيطر فيه على "سلمى" أحداث وأفكار سياسية تزيدها انجذابا نحو مدينتها وإسلامها، يبقى "عاصم" في مكانة متفرجا بل ويسمي تلك الأحداث بالهوس، والحمى، وهذا ما زاد في توسيع الهوة بينه وبين خطيبته.

"كان عاصم الدباغ يعاني في حياته التعليمية من تعثر واضح، حتى حصل على البكالوريا، وتوقف عندها ليسير مصنع الدباغة الذي تركه له أبوه، جرت بينه وبين "سلمى" حوارات عديدة، تريد أن تشده إليها، وتخرجه من حالة التردد والانكفاء على الذات، وهو لا يستجيب لإرادتها، ويريدها هي فقط، إنه يشعر في داخله أن هناك حاجزا عليا يفصله عن الوطن، كما يفصله عن سلمى، ويتمنى أن يسقط هذا الحاجز، ويمتلك حماسة سلمى وتوهجها، ولكنه لا يستطيع"⁽²⁾.

ولعل هذا الشعور بالنقص قد لازمه منذ أن كان تلميذا حيث كان الفضل في

الدراسة يحالفه مرات عديدة.

البعد الثقافي:

كان عاصم ينفر من الدراسة كما ينفر في المشاركة في السياسة أو الثورة، "كان "عاصم" قد أنجز دراسته الثانوية قبل سنتين بصعوبة بالغة فقد ذاق طعم الفشل أكثر من

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مرجع سابق)، ص 43.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، دراسة تطبيقية، حلمي محمد القاعود، ص 65.

مرة واضطر أن يقضي في بعض الصفوف ثلاث سنوات أتيح له خلالها أن يستقبل ثلاث وجبات من الطلبة، يمضون إلى أهدافهم وهو قاعد مكانه ... لا يبرح ... " (1).

فهذا الفشل المستمر كان سببا في نقص أو انعدام الطموح والتقدم إلى الأمام ومحاولة إبداء الرأي والمشاركة بأفكار جديدة لوضع حل لما تعانيه المدينة من غزو ... لأنه في هذه الأحوال لا يريد إبداء رأيه مخافة الفشل أو التروح عن قمة الصواب منه خاصة أمام خطيبه أو أبيها، ولعل "عاصما" أيضا ومن شدة حبه "لسلمى"، قد أغمض عينيه على كل اتجاه يبعده أو يشغله عنها، ولهذا فهو لا يحاول التفكير ولا التطلع إلى رأي صائب يجعل منه مواطنا فعالا.

البعد الاجتماعي:

إلى جانب هذا فإن حياة "عاصم" الاجتماعية قد ساهمت في حجر أفكاره. "لعله لم يجد التحدي المناسب الذي يعينه على الاستجابة ومواصلة الطريق بسرعة كما يفعل زملاؤه تحدي الفقر والمصائب والحرمان ... لقد نشأ في بيئة غنة مترفة، كانت تمنحه بسهولة كل ما يشتهي ويريد ... " (2).

فالحاجة وليدة الاختراع ولأن "عاصما" كان يجد كل ما يحتاج إليه ويريده فإنه لم يحاول الاعتماد على نفسه أو البحث عن متطلباته، "وإذا كان بعض زملائه لا يحضون عبر الأسبوع كله، بأكثر من درهم أو درهمين كمصاريف شخصية، كان هو يلعب بالدنانير، وارده دلالة على أنه الابن الوحيد بعد ثلاث من الأخوات سبقنه إلى الوجود" (3).

"كان أبوه ذو النون الدباغ يملك معملا كبيرا للدباغة على الطريق الذهاب جنوبا صوب بغداد، فضلا على أنه كان يملك أسهما كثيرة في كثير من المصانع والأنشطة التجارية.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، ص 53.

(2) المصدر نفسه، ص 53.

(3) المصدر نفسه، ص 53.

وإذا أحس بأن حي "رأس الكور القديم لم يعد مناسباً لسكانهم قرر أن يبني قصراً كبيراً عند الجهة الشمالية المطلّة على نهر دجلة قريباً من أبنية المستشفى العام. وأنفق عليه بسخاء، وبعد ثلاثة سنوات من العناء والجهود المتواصلة انتصب القصر قائماً بغرفة الفارحة، بصالاته المتداخلة، بمرفقه الأنيقة بمطبخه الذي غلفت جدرانه بالصيني الأبيض، بأرضيته التي فرشت بالموزاييك الملون، وبجديقه الواسعة ... يحيط بها سور أنيق، قليل الارتفاع لكي لا يحجب جمال المعمار الحديث الذي يميل إلى التكشف والتأنق والوضوح... " (1).

هذه الصورة الرائعة الجميلة والتي تضعنا أمام مسعى من بين مساعي الإنسان الذي يعمل ويجد للحصول عليها أو أقل منها، قد وجدها "عاصم" على طبق من ذهب، حتى أنه لم يتعب بالتفكير في تحقيقها، حيث وجد نفسه أمام قصر كبيرة غاية في الجمال استطاع عاصم أن يفتخر على أصدقائه ويتباهى به: "ولشد ما كان عاصم يتباهى بالدار التي أقامها أبوه، ويدعو بعض زملائه إلى زيارته هناك، متعمداً أن يعيدهم إلى دورهم بسيارة البونتياك الأنيقة التي سلمه أبوه نسخة من مفاتيحها" (2).

ولعل السيارة أيضاً في ذلك الوقت، كانت بمثابة التفاخر والتباهي، فكان "عاصم" لا يجهد نفسه حتى في انتظار المواصلات أو المشي على الأقدام، لأن سيارة البونتياك كانت هديته التي أهداها لها أبوه بعد نجاحه بصعوبة في شهادة البكالوريا، هذا النجاح الذي نشر البهجة والفرح في القصر الجديد، فالمال والجاه والسلطان ... كل هذا لا يجلب السعادة في بعض الأحيان، خاصة إذا كانت العلاقات الاجتماعية وسط الأسرة متناثرة لا تعرف لذة للأشياء الجديدة ... "وما لبث الفرحة أن غمر الدار الجديدة بعد سنة واحدة من الانتقال إليها ... لقد اجتاز "عاصم" السنة الأخيرة من الثانوية، ونجح في الوزاري بدرجات غاية في التواضع، لكنه حصل البكالوريا على أية حال، بعد سنوات من الانتظار وإعادة المحاولة.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، ص 54.

(2) المصدر نفسه، ص 54.

اعتبر والده ذلك حدثا كبيرا، وعانق ابنه وهو يقول:

ستكون البونتيك هديتي إليك، فألف مبروك"⁽¹⁾.

لقد فرح عاصم فرحا كبيرا بنجاحه، هذا ليس لأنه سينتقل إلى الجامعة ولكن لأنه اعتبر ذلك بمثابة نهاية حمل الأثقال المتعلقة بالدراسة، وهنا تبرز أيضا شخصية "عاصم الدباغ" الذي يريد التحرر من كل القيود الحياة وقوانينها وواجباتها، يريد فقط أن يعيش في رفاهية دون أن يتعب نفسه في الدراسة أو العمل.

ولعل الروائي بين حقيقة هذه الشخصية وما يكتنفها من مخاوف وقلق واكتئاب حين تسلم إليها المسؤولية.

"لكن عاصم لم يهنأ طويلا، بفرحته تلك، إذ كان عليه، بعد أسابيع قلائل أن يختار الكلية التي سيلتحق بها.

كانت فكرة مواصلة الدراسة ترهقه، بل إنها كانت تملأ نفسه خوفا واكتئابا وقلقا إن كانت الدراسة المتوسطة والثانوية قد استترفت منه الكثير، ولم يتيح له اجتيازها إلا بصعوبة، وإذا كان نجاحه في السنة الأخيرة من قبيل الخوارق والمعجزات، فكيف سيتمكن من اجتياز الدراسة الجامعية التي حدثه عنها بعض زملائه الذين سبقوه فصوروها كما لو كانت جدارا هائلا يصعب تسلقه؟"⁽²⁾.

رغم أن الأب قد وعد "عاصم" بأشياء كثيرة إذا هو واصل دراسته، ومع ذلك "عاصم" كان يرفض المواصلة لأنه يعلم أن الفشل سيحالفه في كل مرة، بل إنه لا يجرؤ على البوح بما تكنه نفسه، كان فقط يتمنى لو كان متميزا، لو أنه اختار موقفا ما في حياته، لو أنه يملك القناعة، بل إنه يتمنى لو كان معتقلا حتى يكون له رأي ومشاركة في الأحداث: "ويتمنى عاصم أن يستقر على شيء أن تكون لفكره ملامح فيها شيء من التميز والوضوح والصلابة والديمومة، ولكن عبثا ... يتمنى أن تتجاوز قناعاته صيغها الحسابية الهشة، أو تمخضها الرؤيوي ... إنه لا يدري حتى الساعة، هل أن ثورة كهذه

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، ص 55.

(2) المصدر نفسه، ص 55.

تتمه بشكل من الأشكال، أم أنها لا تتمه على الإطلاق؟⁽¹⁾. بل الذي كان يهيمه هو الهرب بعيداً "طلب من سلمى وأبيها أن يرحلوا جميعاً إلى بغداد حتى يكون في مأمن من مضاعفات الهزيمة أو الانتصار، وكرر طلبه أكثر من مرة ولكن الأحداث لم تمكنه من تحقيق رغبته، لعدم استجابة سلمى ووالدها ... ثم بدء الحركة والعنف، وكان عاصم قد غادر دارهما في طريقة إلى بيته ... ولم تقل لنا الرواية ماذا جرى بعدئذ، هل وصل إلى بيه ونجا من أنصار السلام، أم إنهم أطبقوا عليه في الطريق، ونفذوا حلم زميله القديم "يونس سعيد" فاستدلوا على المدبغة والقصر وبقية ممتلكاته، وسفحوا دمه مثلما فعلوا مع الآخرين"⁽²⁾، ولكن السارد جعل من هذه الشخصية ثابتة، يعيش لنفسه ولا يتطلع إلى أمر يخدم مصلحة الجميع: "يحرص أن يفر بخطيبته إلى عالم الحب والمتعة الفردية بعيداً عن الموصل، بعيداً عن مبادئ الصراع والعنف التي يصور لها فؤاد عاصم الصغير"⁽³⁾.

فقد وردت شخصية "عاصم" مهتزة تصر دائماً على الهرب والرحيل، متفرزة من مظاهر التضحية والصراع والعنف "فسيحاول المرة تلو الأخرى أن ينتزعها من التيار ... لكي يأخذها بعيداً صوب الضفاف النائية، حيث لا قاتل ولا مقتول حيث تحتفي لغة الرصاص لتحل محلها كلمات العشق والمحبة"⁽⁴⁾.

وبهذا فقد كانت شخصية عاصم خطيب "سلمى" أبلغ بكثير في الرواية من "عاصم" صاحب الثروة والمال، ذلك لأن ارتباطه بخطيبته وحبها لها هو الذي قدم للرواية الصفات الأساسية لشخصيته.

2- سلمى: جمال الروح وقوة التحدي:

رسمت أحداث الرواية ملامح فتاة جميلة، شجاعة لا تخشى الخن والأهوال، متحكمة في عواطفها متزنة في كلامها ذات أبعاد منسجمة.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، ص 119.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، دراسة تطبيقية، مكي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 65.

(3) جمالية الأدب الإسلامي، (مرجع سابق)، ص 192.

(4) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 53.

أ- البعد الجسمي: لعل هذا البعد هو الذي شد "عاصم" وجعله يتعلق بها تعلقا كبيرا إلى درجة العشق، "فعيناها سوداوان ذواتا بريق ... أنفها وفمها مرسومان بمهارة فائقة ... وجهها ممتلئ بعض الشيء، لكن ما يوازن هذا الامتلاء ما يحقق منه هي تلك الشفافية التي تندفق من عينيها فتغمر وجهها مما يجعله قصيدة تقطر حزنا.

مربوعة القامة في غير ما سمناه، وهاهنا أيضا يدخل معيار الخلق الجميل، فيمد في رقبتها بعض الشيء ويوازن القامة المربوعة بعمود من عاج بديع، والشعر يتناثر على الجبهة بغير ما نظام، ثم ما يلبث أن ينساب، لكي ينسدل كالشلال على الأكتاف"⁽¹⁾. وما زادها جمالت "عاصمًا" انجذابا لها هو ذلك الخجل وخطوط الحزن الذي يزيدا جاذبية "وكلما جلس إليها يستمع إلى همسها الخجول، ما كان هو يحكي لها شيئا"⁽²⁾.

ويبدو أن الشارد كأنه نظم شعرا في الغزل حين وصف "سلمى": "اقتربت شفتها على ابتسامة عابرة، حاولت رغما عنها أن تبعد خطوط الحزن الهادئ المرتسم على وجهها الجميل"⁽³⁾، "وكأنها أحست بما تقوله عيناه ... فغمرتها موجة من الخجل زادت وجهها تألقا"⁽⁴⁾.

بهذه الصورة وبهذه العبارات التي تفصح عن شخصية "سلمى" جعلت مسار الرواية ناجحا وجعلت من الدور الذي مثلته هذه الشخصية معبرا عن وظيفة وعن دور متحرك وقد تدخل هذه الشخصية من حيث المجال النفسي، بالانبساطية حيث: "يتسم الشخص الذي لديه شعور عال بالانبساطية بالخصائص التالية: اجتماعي، سهل المعاشرة، ودود وطموح، مغامر، لديه قدر عال من الحماس، انعدام الخضوع للسلطة، واثق من نفسه في أدائه للمهارات التي لم يجربها"⁽⁵⁾.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية ، ص 11.

(2) المصدر نفسه، ص 07.

(3) المصدر نفسه ، ص 11.

(4) المصدر نفسه، ص 17.

(5) مقياس الشخصية للشباب والراشدين، أحمد عبادة (مرجع سابق)، ص 26.

وعلى هذا الأساس تبدو "سلمى": "فتاة جسورا، قوية الإرادة، فقدت أمها وهي صغيرة، ولكن إيمانها يعوضها عن اليتيم، وقيمها العليا التي تتمثلها تدفعها إلى الأمام"⁽¹⁾. وإذا حاولنا إدراج هذه الشخصية عبر الحقل اللساني فلعلها تجد مكانها ضمن "الشخصية المرجعية": "وهي الشخصية التي تحيل على معنى جاهز وثابت تفرضه ثقافة ما، بحيث أن مقروئيتها تظل دائما مقترنة بدرجة مشاركة القارئ في تلك الثقافة ومن هنا يمكن القول: إن الشخصية المرجعية تحيل على نص خارجي يفرزه سياق اجتماعي معين"⁽²⁾.

ولعل القارئ وهو يتلقى الدور الذي تلعبه شخصية "سلمى" يجد نفسه أمام فتاة ذكية وجميلة تهب نفسها وحياتها لمدينتها.

ب- البعد النفسي:

رغم أن نفسية سلمى كانت متعبة، لما تعيشه مدينتها من محن من جهة وما تراه في خطيبها من عدم اهتمام بالأمر من جهة أخرى.

وقد أشارت الأحداث إلى ذلك في قوله: "استيقظت متأخرة بعض الشيء، لم تستطع أن تنام بسهولة، كان عليها أن تصارع الأرق لعدة ساعات، وكانت تجد نفسها محاصرة، بما هو ألعن من الأرق... إحساس بالتمزق بين محبتها لخطيبها والذهاب معه بعيدا إلى أحضان الأمن والسكينة، وبين إشفاقها على المدينة التي يضيق عليها الحصار..."⁽³⁾.

ج- البعد الديني: يظهر من الرواية أن "سلمى" تعيش في بيئة محافظة، حيث تجد في مدينتها الموصل مجالها الأمل في كونها مسلمة باعتباره موطننا يسوده الإسلام، لكن الأمن الذي يبحث عنه "عاصم" ويتوق إلى الولوج إليه بعيدا عن هذا الوطن، تعتبره "سلمى" الهرب من الواقع، والتخلي عن القيم والتجرد من الدين والواجبات الوطنية... وهذا ما

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 64.

(2) تحليل الخطاب الشردي والشعري، عبد العالي بشير، (مرجع سابق)، ص 55.

(3) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 19.

فسح المجال لاتساع الهوة بينها وبين خطيبتها فكان إخلاصها لمدينتها وتشبثها بدينها قد قوى عزيمتها وضاعف في تثبت شخصيتها.

ونجد "سلمى" تتمنى لو أن "عاصما" بادلها الشعور نفسه: "فلو أن عاصما يتجاوز قليلا إحساسه الذاتي، يفتح قليلا عن معاناة الأهل والناس لعرفت كيف تكون سعيدة حقاً، هناك حيث تتوحد المحبة بالقضية وحيث يصير الغرام دفاعاً عن حرمان الله ... أه لو أن عاصما كان واحداً من هؤلاء الذين يقفون اليوم على التخوم، يحملون خناجرهم ورشاشاتهم مستجيبين لنداء اللحظة التاريخية لتحدي القادمين من بغداد"⁽¹⁾.

واعتقد أن الصفاء الروحي والسعي في التحدي هو ما يزيد لـ "سلمى" قوة وغاية في تحقيق المسعى نحو المشاركة في تحرير الموصل من الأعداء، وكأن السارد يقحم القارئ للمشاركة مع "سلمى" ومحاولة تشجيعها على قراراتها، وهذا دليل على نجاح الشخصية لأن "فشل الشخصية الرئيسية في تجسيد قضية الرواية يحدث عندما لا نستطيع تقبل التشخيص أو النهج الضابط لمسلوكها في التعامل مع القضية المطروحة"⁽²⁾.

ويعد إصرار سلمى على مواكبة صلاة الجمعة في المسجد الذي يؤمه أحد الشيوخ الذي يكن له الشيوعيون كامل الحقد والعداوة، لتحذ كبير في المواجهة، ويظهر ذلك الحوار الذي دار بينها وبين أبيها:

قالت "سلمى" بتصميم:

- سأتي معك.

- ولكن.

- هذه المرة ليست المرة الأولى، التي أصلي فيها الجمعة في مسجد جامع ...

قال عبد الرحمن بإشفاق:

- هذا اليوم ... لا ...

أجابت سلمى بنبرة متوسلة:

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، ص 19.

(2) روجر هنكل، قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، (د.ط)، 2005، ص 189.

- لست طفلة يا أبي وسأعرف كيف أتصرف.

عادت إلى توسلها مرة أخرى.

- ما من يوم تتحتم فيه الصلاة في المسجد كهذا اليوم، فلا تحرمني الفرصة التي أبل فيها غليلي... " (1).

هذه صورة لفتاة مسلمة تتخذ دينها سلاحا تقاوم به الأعداء، وترفع الظلم عن الإنسان، وتدخل إلى عالم الأمن والطمأنينة: "لمحتهم" سلمى " ... كانوا يحسون بسعادة بالغة وهم يفترشون الأرض، بانتظار الخطبة ... وكأنهم بالإيمان والتوحد، تجاوزوا حدود المخاطر المنتظرة ودخلوا مملكة الأمن والرضا، هناك حيث يكون الإنسان على استعداد كامل لأن يموت وهو قرير العين" (2).

البعد النفسي:

وقد رافق هذا التحدي وهذه المواجهة شجاعة قلما نجدها في فتاة شابة جميلة مثلها، ربما استمدت هذه الشجاعة من أبيها خاصة بعدما فقدت أمها واتخذت من والدها نبراسا لحياتها، وقد برزت هذه الصفة أكثر عند اقتراب الشيوعيين من البيت: "وخرجت سلمى لكي تسأل:

- ما هذا يا أبتاه؟

- ادخلي فإنه لا يحسن أن يروك هنا ..

تشبثت بمكنها وهمت أن تسأله مرة أخرى، ولكنها ما لبثت أن تلقت الجواب بنفسها هذه المرة، فها هي طلائع التظاهرة تلوح على بعد عدة أمتار والصراخ يزداد سعارا، وطلقات الرصاص لا تكف على احتراق الطبقات القريبة من الفضاء... الشيوعيون.

قالت بصوت منخفض وهي تحس برجفة تتخلخل في شرايينها ...

- ادخلي ... فها هم على بعد خطوات ...

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، ص 24.

(2) المصدر نفسه، ص 32.

لم نستجب له مرة أخرى، تشبثت بمكانها وهي تطل قبالتها حشودا ... يلوحون بالبنادق ... والعصي والسكاكين ...

- أخشى أن تصدق تحذيرات عاصم، فقد رأنا بعضهم ونحن نصلي الجمعة خلف هاشم عبد السلام.

فكأنها استمدت من اسم الرجل قوة ما، كانت تملكها قبل لحظات، وها هي ذي تستعيد توازنها⁽¹⁾.

وهكذا امتدت شخصية سلمى بحماسها واهتمامها بقضية وطنها وإدراكها بأن الحياة ليست لها قيمة بعيدا عن إعلاء الحق ونصر المظلوم وإعلان كلمة الله وإلى جانب هذا كله فهي "تؤمن بدور المرأة المسلمة في المشاركة داخل الحياة العامة ضمن حدود الدين ومقتضياته، وتحرص على صلاة الجمعة في المسجد الجامع مع قريباتها ومعارفها، وقد تعلمت من الشيخ "هاشم عبد السلام" أن المرأة ليست بأقل من الرجل وتظهر إيجابياتها جليلة في حماسها للثورة ضد الشيوعيين ومتابعتها لأخبار الثوار، وتشوقها لانتصار الشواف والشعب، بيد أن إخفاق الثورة يهيئ للشيوعيين الانتقام منها انتقاما بشعا، وذلك بسجلها حتى الموت، وتهمتها الوحيدة أنها تصلي الجمعة في مسجد الشيخ عبد السلام"⁽²⁾.

وهكذا كانت نهاية "سلمى" الاستشهاد على يد الأعداء الحاقدين.

3- عبد الرحمن الشيخ داوود: تناقضات الظاهر والباطن:

أ- البعد الجسمي:

قامة طويلة، نحيلة، المتدثرة بروب سميك، ورغم اكتساح الشيب لشعره فإن ملامح وجهه مازالت تملك الكثير من الحيوية والصرامة، لعله اكتسبها من خدمته في الجيش، وها هو الآن محال على التقاعد.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 144.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 65.

بشرته سمراء مشرلة بالحمرة، وتقاطيع وجهه تمنح الآفة منذ اللحظة الأولى، عيناه ضيقتان، ذكيتان، وفم مزمووم، وذقن حليق، أما الشارب فلا يعدو أن يكون خطأ من الشعر الأبيض الناعم الذي لا يكاد يرى ...

كان الرجل معروفا بروحه المرحه، وقدرته المتفننة في طرح النكات، وكان يستطيع في أشد اللحظات قسوة واكتئابا أن يشيع الابتسام، وأن يرسم بالسخرية الذكية ما تعجز الكلمات الجادة أن تقوله ... " (1).

لعل هذه الصورة التي قدمها لنا الروائي من تفنن وذكاء وجدية تنبئ بخلفيات كثيرة سوف تلعب دورا مهما في تحريك أحداث الرواية.

وأظن أن الروائي اعتمد لفت الانتباه بإقرار موت زوجة الشيخ "داوود"، ذلك أن هذا الحدث الأليم قد أحدث في الشخصية ألما كبيرا وجرحا عميقا، ويظهر ذلك في "لكن ... منذ أن توفيت زوجته قبل أربع سنوات أحس كما لو أن شيئا سقط من قلبه، شرخا عميقا، أحدثه الحزن، وكان في الأيام الأولى يقول لأصحابه، إن بمقدوره أن يدخل قبضة يده في ذلك الشرخ، وأن ليس بمقدور أحد أن يعيد قلبه كما كان، إلا أنه بمرور الوقت، كف عن طرح هذه الملاحظة، وطوى صدره على إحساس معذب بأن الإنسان إذا ما فقد رفيقة عمره فإنه يغدو ذليلا مهبط الجناح في نظر نفسه على الأقل... " (2).

هذه الوحدة التي وجد "عبد الرحمن" نفسه فيها زادت من مرارتها أنباء الأحداث التي بدأت تشهدها الموصل، فرغم جديته وشخصيته القوية إلا أن الانزعاج والفرع والاكنتاب كان يدركه لحظة سماعه السيارة العسكرية، وقد ورد ذلك أثناء حديثه مع صهره "عاصم" "هذه الليلة بالذات، أشعر أكثر بالحاجة إليك، بالحاجة إلى كل معارفي

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 13.

(2) المصدر نفسه، ص 14.

وأصدقائي ... لقد أصبحت الوحدة تفرعني، وموجات الاكتئاب تكاد تطبق علي بين لحظة وأخرى، أتمنى أن أندمج بالناس لكي أحس بالأمن ..."⁽¹⁾.

وكما تظهر شخصية "الشيخ داوود" من خلال الرواية، مثقلة متزنة حاملة لصفات الأمانة، أمانة للمحبين وأمانة للوطن النفيس، عاش وترعرع في الموصل في بيت مشرق يغرب عليه الهدوء والطمأنينة، والجمال الطبيعي الخلاب.

"كان يتعلم من الطبيعة المنتشرة على مدى شرفة بيته، والتي تمتد من هناك إلى ضفاف دجلة، والسابحة في فضاءات لا متناهية، كان يتعلم من ذلك الوفاء للأرض ... ولقد شرب حتى الثمالة، وحيق الحب لبنها فاخطط لنفسه ولا بنكة طريقا يشعران فيه بالتشبث بمدينتهم جزء لا يتجزأ من عقيدتهم"⁽²⁾، فقد كان لشخصية "الشيخ داوود" دورا أساسيا في بناء الرواية، باعتبار أنه حامل كفة القيم الإسلامية التي تحاول الصمود والتغلب على كفة الشيوعيين.

البعد الديني:

لعب البعد الديني أثرا كبيرا في ثبات وصمود "الشيخ داوود" وكان هو الدافع الذي ساعده على مواكبة الأحداث السياسية والتحدي أمام الشيوعيين ونصر الثورة، فكان "الشيخ عبد الرحمن" يجد في كتابه الله راحة وأمانا لم يجده في آخر. فكانت تلاوة القرآن إحياء لعزيمته، ولهذا فقد تكثف اهتمامه بقضية مدينته ومحاولة المشاركة في الثورة ضد الأعداء بالصلاة والاجتماع مع مناضلي الثورة: "... كالعادة ... ها هو الآن يجلس في غرفة الاستقبال يتلو بصوت هادئ مؤثر ما يتيسر من كتاب الله"⁽³⁾. ثم يؤكد على أن كتاب الله هو الشفاء الوحيد: "إن القلق يتأكلني يا سلمى، وقد وجدت في كتاب الله عزائي، في لحظات كهذه، يعرف المرء كيف يكون القرآن شفاء لما في الصدور"⁽⁴⁾. إلى

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، ص 21.

(2) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، (مرجع سابق)، ص 192.

(3) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 15.

(4) المصدر نفسه، ص 23.

جانب كتاب الله فإن "الشيخ داوود" كان يتمسك دائما بمسبحته الحمراء التي كان يجد فيها الاطمئنان الروحي لقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (1).

"وراح يقضي الوقت في تنضيد حرز مسبحته الحمراء" (2)، فرك مسبحته بعصبية وهو يقول: لن أرحل إلى بغداد... (3).

"عاد عبد الرحمان كي يدعك مسبحته" (4).

وربما تميزت شخصية عبد الرحمن بنوع من العصبية الأمر الذي كثف غيظه ونبذه للعدو فقد كانت شخصيته تسهم في حمل كفة القيم الإسلامية التي بدورها تحاول الصمود والتغلب على كفة الشيوعيين.

البعد السياسي:

فقد تمز بالحدة والغيرة على وطنه وتمسكه وخوفه على وطنه من الفتن/ ومن الاستبداد والمستبدين، وحقده على الشيوعيين الذين حاولوا طمس المبادئ الإسلامية وكانت لحظات دوي المدافع وصوت سيارات وشاحنات العساكر أكثر شيء يقلقه ويزعجه، وكأنه كان يريد من هؤلاء الرحيل فورا وإخلاء المكان لأصحابه.

ولعل الشيخ داوود باعتباره متقاعدا من الجيش كان يحس في صوت تلك المدافع ودوي الرصاص، وفي حركة سيارات العساكر الجرافة بأن ثمة جريمة مبتكرة في حق شعب مسالم، وأن الموصل ليست بخير، وأن الفتنة أشعلت.

فعمله في الجيش والذي أفنى فيه سنين طويلة من عمره قد أكسبه معرفة شاملة لمجال السياسة وحبا عميقا لوطنه، وقد مثلت هذه الشخصية دور الفارس الذي يحاول اقتلاع الخوف والقلق والفوضى التي تجوب العصر من جهة، والتصدي لأوجاع الشعب الحائر والقدرة على الأمل والتصميم ومعالجة الأوضاع السياسية التي تحاول تمزيق وحدة

(1) سورة الرعد، الآية 28.

(2) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 79.

(3) المصدر نفسه، ص 86.

(4) المصدر نفسه، ص 135.

الوطن إذ يطالب المسلم "بفهم السيرة الحضارية الإسلامية ووعي سر بقاء الرسالة الإسلامية وخلودها وهيمنتها، ومحاولة الغوص وراء أسرارها ورموزها متبينا عبر تلك الترهات التي أورثت الحياة المعاصرة العتمة والتخبط بالوعي والالتزام ورسوخ اليقين بقوة الإسلام الصامدة التي تدفع إلى الإبداع والابتكار"⁽¹⁾.

ولعله من الواضح ما يعكسه ذلك كله من الاهتمام الكبير بالثورة، فقد كان "الشيخ يحاول التقاط الأخبار من أي جهة يجد فيها الباعث لهذا، وكان صهره عاصم من بين أكبر المصادر للأخبار التي تصله ويظهر ذلك في قول السارد: "قال "عبد الرحمن وهو يضع حواسه ملها بين يدي عاصم ..."⁽²⁾، "كانت الأحداث في بداية توترها، وكان بمقدور عبد الرحمن، السفر بعيدا عن هذا التوتر، لكن هذا لم يحدث بل اعتبره هربا من الواقع وفشلا له ..."⁽³⁾. كانت الأحداث كلها تهمه فيأخذها بعين الاعتبار وهو بدوره يحاول المشاركة في الثورة: "ونحن أيضا سنقول ما عندنا ..."⁽⁴⁾. ثم يردف: "سنصلي الجمعة هناك، وسيعرف هاشم عبد السلام، كيف يرفع صوته مستجيبا للتحدي"⁽⁵⁾.

واعتقد أن صلاة الجمعة كانت بمثابة اكتساب الرهان بفضلها استعاد عبد الرحمن حيويته "وأحس "عبد الرحمن" بنشوق روحية عارمة تغمر عقله وحسه ووجدانه، وقال ف نفسه: ها قد أعادني الرجل إلى سبائي ... صارخا استعداد اللحظة لأن أنطلق مع إخواني متحديا ... صارخا ..."⁽⁶⁾.

كان عبد الرحمن يحب وطنه كثيرا ويعشق مدينته أكثر من أي شيء آخر، وكان الروائي التمس من هذه الشخصية مهمة التصوير الواقعي، ذلك لأن الشخصية الإسلامية "علي القادر على ري الظالمين، وسد جوعة الجائعين وجودته يبعث القوة والأمل

(1) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، (مرجع سابق)، ص 106.

(2) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 26.

(3) المصدر نفسه، ص 29.

(4) المصدر نفسه، ص 30.

(5) المصدر نفسه، ص 33.

(6) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 113.

والانتعاش في قلوب السائرين على الدرب الطويل حيث القipzig الحائر والعواطف الرعناء والأشواك المتناثرة هنا وهناك"⁽¹⁾.

فهو يبدع واقع عمله انطلاقاً من داخله حتى يكتسب الموضوع اللائق لهذا العمل "فلقد أصبحت مهمة الروائي مع أشخاص رواية تشبه مهمة الطبيب الجراح أو الباحث المعلمي مع مواده المختلفة، يجري عليها التجارب، ومن خلال التجارب يصل إلى المعرفة اليقينية، وبذلك يتسم العمل الروائي بصفة الموضوعية"⁽²⁾.

البعد النفسي:

وبهذا فقد تظهر شخصية "الشيخ عبد الرحمن" في جو سياسي مشحون بوازع ديني مفعم بطبيعة حية تجالسها الزمن وتقسم معه الأحداث.

"لقد كان عبد الرحمن يعيش هذه الملحمة الربيعية بجوارحه وأعصابه يندمج فيها ويدوب في منحنياتها المتدثرة بالعشب والصغير والنقل وشقائق النعمان، يحس بالبرد حين يرتجف العشب عند هبات الرياح، وبالرطوبة والبلل حين تتساقط الأمطار... وبالوحشة والفرع حين تسود الظلمة، ويهرب الناس تاركين الأرض لوحدها ثم هو يحس بدفء شديد ممتلئ حين تعود أشعة الشمس لكي تلاحق الرطوبة والبرد والوحشة والظلام فتعيد لمعادلة الربيع توازنها..."⁽³⁾.

هذه هي الشخصية الإسلامية المليئة بأنوار الهدى، المستجيبة لنداء الحق الأمانة على سلامة وطنها ومدينتها وعروبتهها.

ولعل الوظيفة التي تختص بها الشخصية الإسلامية هي الدعوى إلى الحق، ومن واجبات المسلم أن يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وسينهض الهمم ويبعث الحمية في النفوس للدفاع عن الكرامة والأعراض والمقدسات "فالأديب المسلم شاعراً وقاصاً وكاتباً مسرحياً وسينمائياً وغير ذلك، داعية، والدعوة الإسلامية فرض وليست

(1) مجلة الأمة، ع2، السنة 1982، الأدب الإسلامي ومصادر القوة الصامدة، نجيب الكيلاني، ص 16.

(2) أحمد سيد محمد، الرواية الإنسانية وتأثيرها على الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، السنة 1989، ص 81.

(3) الإحصار والمنزلة، الرواية، مصدر سابق، ص 114.

تجارة، وبذلك تتجه قلوب الأدباء وعقولهم إلى أداء الرسالة المقدسة دون نظر لأي مكسب مادي مهما كان مقداره"⁽¹⁾.

ولهذا يصور كثير من الأدباء الإسلاميين المعاصرين الأوضاع المزرية التي يتردى فيها العالم اليوم محاولين الإصلاح وإنقاذ السفينة وانتقاد التعلق بالأشكال والأبجاء الزائفة لأن الأدب إحياء وحياة، وهذا ما فعله "عماد الدين خليل" من خلال بث الروح في هذا الأدب حين وظف شخصية "عبد الرحمن شيخ داوود" كقدوة للدعوة والجهاد فمجرد التخيل في الرحيل عن الموصل يجعل منه وكأنه يحنق، ويدل على ذلك في المونولوج الداخلي الذي صورته السارد: "ومضى مع تصوره لكي يتصور أنه استجاب لنداء صهره، ورحلوا جميعاً إلى بغداد ثم حدث شيء ما، حدث قد يحدثه الإنسان لكنه لا يقدر البتة على تفحصه ... ولم يعد بمقدورهم أن يرجعوا إلى الموصل، وأحس كما لو أنه يحنق ..."⁽²⁾.

هي مجموعة من الأحاسيس امتزجت في نفس "عبد الرحمن" فتداخلت فيما بينها فمن قلق وحزن ثم ارتياح واطمئنان، فسخرية وتوجس وإشفاق ثم فرحة ونشوة ... ولعل أعمقها أثراً وأروعها تأثيراً في النفس وفي الرواية ككل هي تلك النشوة العارمة والفرحة الطاغية بالإعلان عن الثورة "قال وهو يحس بنشوة عارمة لقد فعلوها إذا؟"⁽³⁾. وانقض عبد الرحمن عن المدياع وألصق به أذنه اليمنى، وكأنه يستمع بأعصابه وجوارحه كلها ويدمدم مع نفسه:

- لماذا عزبتني إذا طول الليل؟"⁽⁴⁾.

لكن هذه الفرحة لم تدم نتيجة لفشل الثورة وما لبثت تلك الغبطة أن تلاشت وأحلت مكانها الكآبة "وأحس بموجة من الانقباض تكاد تعصر قلبه، كآبة ثقيلة لم يذق

(1) نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، السنة 1985، ص 71.

(2) الإحصار والمنزلة، الرواية، مصدر سابق، ص 115.

(3) المصدر نفسه، ص 117.

(4) المصدر نفسه، ص 118.

لها طعام من قبل ... وفي محاولة للهروب منها لكسر طوقها ... لاستعادة شيء من فرحه القديم ... " (1).

فكان له أن استشهد بعد مواجهة للعدو حاول فيها حماية نفسه وابنته، فكان كل ذلك صورة للمذهب الذي يتبناه "الشيخ عبد الرحمن" وهو مذهب العزة والجهاد. "إذ يستشعر منه المسلم العزة والإباء والكرامة بالانتساب إلى أمة الإسلام الضاربة في التاريخ خير أمة أخرجت للناس والتي حملت مصابيح الهدى ومشاعل الحق إلى كل بقاع العالم بالكلمة الطيبة والحكمة السديدة، والموعظة الحسنة والمجاهدة في الله حق جهاده" (2).

ولعل عامل الأبوة كان أسبق، فقد حاول "الشيخ" بكل جوارحه حماية لفلذة كبده الوحيدة لكنه فشل في ذلك، لأن العدو كان متعطشا لدمائهما، ويظهر ذلك في مقاومته الأخيرة ضد اقتحام العدو منزله:

... صرخ عبد الرحمن دون إرادة منه:

- كف عن ذلك فإن للنساء حرمة ...

صرخ عبد الرحمن مرة أخرى

- قلت لك كف عن هذا ...

أجاب عبد الرحمن وهو يحس بشيء كنذير السوء ...

تراجع عبد الرحمن خطوتن وأصبح الآن يقف في فتحة الباب تماما ونظر بطرف

عينه، لكي يتأكد من البندقية، وقال متحديا:

- لن أفتح فلسنا متآمرين ... " (3).

وقد قتل الشيوعيون الشيخ داوود "الذي حاول المقاومة بحكم كونه عسكريا سابقا ولكن كثرة الشيوعيين غلبته، وأردوه قتيلا، لقد كان الرجل مع كبر سنه وتقاعده يأمل في انتصار الثورة وهزيمة الشيوعيين، وكان متحمسا للمشاركة، ويتابع الأخبار في

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 132.

(2) شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، (مرجع سابق)، ص 103.

(3) الإحصار والمنزلة، الرواية، مصدر سابق، ص 149.

الإذاعات المحلية والأجنبية، ولكنه مع إخفاق الثورة كان ضحية من الضحايا الكثيرين في الموصل الذي سحقهم الشيوعيون أو أنصار السلم أو أبناء الزعيم، كما يسمون أنفسهم⁽¹⁾.

وهكذا كانت نهاية الشيخ داوود مؤلمة وسعيدة في آن واحد، اغتيل على يد الشيوعيين فسقط شهيدا في اليوم الثاني من بداية الثورة "وقبل أن يتاح لعبد الرحمن أن يلتفت لكي يدافع عن نفسه، استقرت عدة طلقات في ظهره سقط على أثرها مضطربا بدمائه..."⁽²⁾.

فإذا كان الإحصار قد قضى على أحد ممن يبحث عنهم فإن روحه الطاهرة وسيرته المفعمة بالصفاء جعلته شامخا شموخ المتذنة.

4- الشيخ هاشم عبد السلام إيجابية الفعل والقول:

تعد شخصية "هاشم عبد السلام، شخصية بارزة ساهمت بإيجابياتها في بناء أحداث الرواية، وقد وصفها السارد بأبعاد متميزة متداخلة:
* البعد الجسمي:

"قامت فارغة ووجه أسمر ممتلئ، تزينه لحية قصيرة، وعينان سوداوان تتقدان جراءة واشتعالا"⁽³⁾، كان يميزه لباسه الأصيل "نزع عمامته وجبته"⁽⁴⁾.

* البعد الاجتماعي:

أب خمسة أطفال وزوجة يلهم حوش اتسم بالفقر معماره من الصنف القديم، وكان الفقر قد لازمه قبل زواجه والدليل على ذلك في قول السارد: "كان هاشم ينتمي لبيئة فقيرة... بيئة مسحوقة بمعنى الكلمة... وقد بدأ وأقرباؤه من نقطة الصفر، كما يقولون... وها هم الآن يتدحرجون بطء على طريق الكسب، فقراء كادحين..."

(1) الإحصار والمتذنة، الرواية، مصدر سابق، ص 149.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، دراسة تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 65.

(3) الإحصار والمتذنة، الرواية، مصدر سابق، ص 150.

(4) المصدر نفسه، ص 32، 46 (على الترتيب).

وكان هو يكدح معهم ... ومذ كان صبيا كان قد تعلم بعض المهن، التجارة بخاصة، فغدت بالنسبة إليه ظهيرا يعينه على إسناد دخله المحدود ... " (1).

كان الشيخ هاشم، رغم مشاغله الكثيرة يحب أطفاله ويحاول تدليلهم وملاعبتهم "أحس فجأة، أنه أذى أصغر أطفاله، علي الذي كان يجلو له أن يدلله كثيرا، فطلب من زوجته أن ترسله إليه ... (2).

ولعل هذه المعاملة تدل على عدم تعصب "الشيخ هاشم" الذي يمثل من خلال الرواية رمزا للشخصية الإسلامية في الحنين إلى الأهل والتماسك الاجتماعي وفي الغيرة على الوطن والدين ...

* البعد الديني:

أعتقد أن البعد الديني هو الذي كان الركيزة الأولى والأساسية في ترسيخ القيم الدنية، إذ نجد شخصية "هاشم عبد السلام" قد حلت محل الداعية الإسلامي، وهذا ما جعل أهل الموصل يكتفون له احتراما كبيرا وتقديرا واسعا، مما يجعلهم يلتفتون له كجمهور متحمس في الخطب والملمات، فكانوا يقدرونه حق تقدير لأنهم كانوا يحبون فيه قائدهم في المجاهدة والمضي إلى الأمام، ذلك لأن كلماته كانت تضيء على جمهوره ومحبيه الأمان والثبات، ويظهر ذلك أثناء صلاة الجمعة التي سبقت الثورة: "لم يقل الرجل كلمات ولا صاغ أحرفا ... لكنه أطلق شواظا من نار ... فكان يعرف كيف يحرك أفئدة المصلين فيبيحهم ويضحكهم ويسخطهم، يطفئ هواجس التردد والخوف، ويشعل نار التحدي والاستشهاد ... " (3).

فكان صاحب حلول وطرق مؤدية إلى الخلاص لكونه يملك ثقافة شرعية وعلمية تؤهله لأن تكون له مهابة في نفوس المواطنين والأعداء على حد سواء: "ألف من المصلين جاءوا من كل مكان، لكي يلتقوا برجل المدينة وإمامها "هاشم عبد السلام" فهو

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، مصدر سابق، ص 48.

(2) المصدر نفسه، ص 46.

(3) المصدر نفسه، ص 32.

يعرف كيف يتحدث، وكيف يتحدى، وهو يعرف كذلك كيف يجعل الجذوة المشتعلة في الصدور تزداد توقدا واشتعالاً⁽¹⁾.

ولعل تلك الثقافة الواسعة والثقة الإيمانية جعلته يتابع أحداث مدينته دون انقطاع بل جعلت منه أحد الجنود الذي يسايرون القضية، وينفخون بروحها في نفوس الأهالي، كما أنه يزودهم بطاقة تمتلئ بالحماس والشعور بالتضحية.

ويبدو أن توظيف هذه الشخصية كان له بعد السكون والهدوء الروحي التي يملأ طاقة المؤمن حماساً وشعوراً بالتضحية لأنه "من لوازم الأمن والسكون الذي تحضى به المئذنة توحيد للاتجاه القلبي نحو الله تعالى، فالله لا يقبل الشريك. والقلب المشرك، فيجب أن يوحد القلب لله تعالى عندئذ يزول أثر الخوف من الجهات الأرضية، والتعلق بها فيزول مع هذا الشعور بالألم والشدة النفسية والقلق والاكتئاب، فرمما خوف من جهة أرضية يهوي بإنسان نحو أودية التهلكة.

والأصل أن لا يكون الخوف إلا من الله وأن لا يتوجه الذل إلا إلى الله، وأن لا يشعر المرء بالفقر اتجاه أية جهة إلا الله تعالى، فالخوف منه أمن، والذل بين يديه عزة، فمن استعز بالعباد ذل، والفقر بين يديه غنى وسكينه ورحمة"⁽²⁾.

وهذا ما شجع أهالي الموصل على المضي إلى التحدي دون أن يصيبهم خوف ولا فزع، والأكثر من ذلك أنهم يتوحدون قبل أن يدلي الشيخ "هاشم عبد السلام" بخطبته، التي ملأت النفوس قوة إيمانية وطاقة تفكك الأعداء "إنهم ينصهرون ... والتاريخ الملهم الذاتي المحدود، لكي يصغوا وجودهم على صعيد واحد أمام الله ... كانوا يحسون بسعادة بالغة وهم يفتershون الأرض بانتظار الخطبة ... وكأنهم بالإيمان والتوحد تجاوزوا حدود المخاطر المنتظرة ودخلوا مملكة الأمن والرضا، هناك حيث يكون الإنسان على استعداد كامل لأن يموت وهو قرير العين ..."⁽³⁾.

(1) الإحصار والمئذنة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 31.

(2) القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، سعاد خير سعيد (مرجع سابق)، ص 58.

(3) الإحصار والمئذنة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 32.

وقد حقق الروائي نصرا كبيرا للإسلام وشموخا عاليا للمثندة حين وظف شخصية "هاشم عبد السلام" حيث "تعد هذه الشخصية نموذجا لشخصية عالم دين الذي يدافع عن الإسلام ضد غارات الشيوعيين وأشباههم، ويوقد غضب الجماهير من أجل هذه الغاية، وهو كثير العيال لا يكفيه راتبه إلا بالكاد، يسكن في بيت متواضع، ولكن إيمانه العميق يجعله يطرح زخارف الدنيا من ورائه، يبذل جهده ويكرس وقته من أجل الدعوة والإرشاد، وتؤم المسجد في كل جمعة جماهير غفيرة، تفترض الأرض والشوارع حول المسجد الذي يضيق بالناس الذين جاءوا لسماع الخطبة وأداء الصلاة..." (1).

وقد كانت خطبته الأخيرة في مسجد الجامع ما هي إلا تشجيع على نصر المدينة والإسلام الذي يترقبه في القريب العاجل: "وكان وهو يستعرض الوقائع ويعلق عليها كمن يعلق مسبقا، أن الرد على التحدي سيكون عما قريب، وأن حدثا كبيرا ستشهده المدينة بعد يوم أو يومين، وربما بعد ساعات، وأن خطبته هذه ما هي إلا حشد للطاقات، وتهيئتها لليوم الموعد..." (2).

* البعد السياسي:

تميزت شخصية "هاشم" بأنه واع بحركة الفكر السياسية العامة، والتيارات السائدة إذ "نلمح في مواقفه، وخاصة مع الشيوعيين، وعيه الحاد بمنحهم، وإدراكه لوسائلهم وغاياتهم، بل إنه يفهم اللعبة التي يشارك فيها الشيوعيون لتعميق الشرخ الطائفي في الوطن الواحد، ولزيادة قبضة الاستبداد والطغيان" (3).

لقد كان لهاشم عبد السلام تأثيرا كبيرا على أهل مدينته، فكانوا يتخذون منه إمامهم ليس في الخطب المنبرية التي تحت فقط على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحسب بل حتى في القضايا السياسية التي يعتبرونه فيها قائدهم فينتظرون منه الإشارة والانطلاق: "فكان بمقدور "هاشم عبد السلام"، وقد أشعل نفوسهم وصعد بها صوب

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 66.

(2) الإحصار والمثندة، الرواية (مصدر سابق)، ص 33.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 66.

نقطة التوتر القصوى، فقادهم في تظاهرة صادرة، وبفضله استطاع أهل الموصل تحقيق التحدي ليس أنصار السلام فحسب بل السلطة نفسها⁽¹⁾.

ولعل حبه لمدينته ولدينه والتزامه القوي والمتين هو ما جعله يجرس المصلين على أنصار السلام وعلى الشيعيين، وهو في داخله يحس بخيانة هؤلاء الأعداء لمدينتهم ودينهم.

وقد رمزت هذه الشخصية لثقافة المسلم المترن الذي ينطلق من الكلمة الإلهية "اقرأ تلك الكلمة التي ترددت أصداؤها في جنبات مكة، وهب لها السلف الصالح يحملونها نورا وخيرا وفتحا مبينا، ومفتاحا للعلم والإبداع، حتى كانت حصيلتهم من الكتب أعلى حصيلة عرفتها البشرية في التاريخ، وكانت فهارس مخطوطاتهم تضم عشرات الآلاف من العناوين التي عصفت بكثير منها غزوات الهمج الذين لا يقرأون"⁽²⁾.

ويبدو أن توظيف الشخصية الإسلامية تكون مركزة على ثقافة دينية واسعة لأنه: "لا يتبت فجأة من تلقاء نفسه بل هو كالشجرة الطيبة تضرب جذورها في أعماق بعيدة منت تربة صالحة، قم تأخذ في النمو والتكون، وتمضي عليها سنوات متطاولة حتى تشق أجواز الفضاء، فيفيء إليها الناس يستظلون بها من وهج الحياة"⁽³⁾.

ويظهر أن صراحة "هاشم عبد السلام" وإصراره على الحق وثباته على الرأي هو الذي نمي الانتقام لدى أعدائه:

"أجاب هاشم بصراحته المعهودة:

- لن أكون بخير ومدينتي تتلوى تحت وطأة غزو يسخر له الزعيم حشودا من أعداء السلام"⁽⁴⁾.

ظل "هاشم عبد السلام" يقاتل ضد مسعى الشيعيين، فكان لقاءه مع "حنا جرجس" بمثابة اللكمة الأولى "لأنصار السلام"، ولعل الحوار الذي دار بينهما والذي

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 33.

(2) محمد عدنان سالم، القراءة أولا، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، السنة 1414هـ، ص 18-19.

(3) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط5 (د.ت)، ص 89.

(4) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 33.

يملاًه التحدي ويسوده الرد المؤلم من طرف "الشيخ هاشم" الذي كان يعرف كيف يواجه أعداءه.

"أجاب هاشم وهو يفترش ابتسامة ساحرة على مدى وجهه ...
سيذهبان يوم غد إلى بغداد مع وفد الحركة للتنسيق بصدد غزو المدينة ...
قاطعها حنا بشيء من العصبية:

- ولم تسميه غزوا؟

قال هاشم بهدوء:

لأن صحفكم أطلقت عليه هذه التسمية ...

... وال هاشم:

- إن هذا لا يعني شيئاً السنة: وكما يقول المثل المعروف: إن الاستثناء يغزو القاعدة ولا ينفىها"⁽¹⁾.

- أراد أن يتكلم ولكن (هاشم) أسكته بإشارة من يده وهو يتساءل:

"أما كان يجدر أن نضع أيدينا بأيدي بعض، وأن نتحد لمواجهة موجة الانحلال والإلحاد التي تهدد البلاد؟ إن إلهنا وإلهكم واحد يا حنا ..."⁽²⁾.

هذه المجاهدة تمثل لنا شخصية قوية بإيمانها ويتصورها الصحيح للحياة وعدم خشيتها من الأعداء أو حتى من الموت في سبيل الوطن ويظهر ذلك جلياً في نهاية الحوار بينهما:

"نهض "هاشم" بدوره وتقدم خطوات، لكي يقف قبالة حنا: وقال بصوته ذي النبرة القوية الواضحة:

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 38.

(2) المصدر نفسه، ص 39.

أنا أجيئك معذرا؟ لو تحقق هذا يا حنا لو تحقق بما يريد ويخطط له الاستعمار وليس حتميات التاريخ وتجلياته، كما توهمون به جماهير الناس، فإنني سأجيئك يومها ليس معذرا ولكن مقاتلا أو شهيدا... " (1).

إن شخصية "هاشم" تضاء لنا بشكل متزايد كما أنها تطور للأحداث إلى آخر نفس يرسله.

"والرجل بعدئذ، لا يدعو للعنف ولا يسعى للصدام، ولكنه مؤمن بالحوار، وكشف الأوضاع للناس، وشرح موقف الإسلام، هو أخيرا مستعد للقتال دفاعا عن قيم الإسلام إذا تطلبت الضرورة والترحيب بالشهادة في كل آن ...

يبدأ مصيره بعد هزيمة الشواف، كان الشهادة مثلما جرى لكثيرين، وللأسف فقد مثل به الشيوعيون بعد مصرعه تمثيلا بشعا، لقد وضع الشيوعي "حنا جرجس" قدمه على وجه "هاشم" وراح يدعكه بجذائه الأسود الملطخ بالوحل، اللحية التي تقطر دما أمام أنصار السلام جاءوا من كل صوب ليتشفوا في العالم الشهيد وهم يهتفون:
- سحقا للخونة والمجد للزعيم... " (2).

وبهذا فقد شقيت المئذنة مرة أخرى بدم شهيد، وأحس أهل الإعصار، رغم سيطرتهم على الثورة، بالهزيم آخر، فقد كانت مشقة الشيوعيين في القبض على "هاشم عبد السلام" تتويجا له: "فهيت له بعد سحقهم لثورة الموصل مشقة أمام الملاء، ليتوجوه بثلاث رصاصات في الجبهة الصامدة... والقلب العتيد، ليتوجوه بالشهادة" (3). وليدو أن "عماد الدين خليل" قد نجح في تصوير تلك الفترة القلقة في تاريخ الموصل وتمثل نجاحه هذا في استرداف بعض الشخصيات كهاشم عبد السلام الذي يتمثل كشخصية تراثية ومعروف أن "أول المبررات الفنية لاستخدام أية شخصية تراثية هو استغلال ما تملكه هذه الشخصية من قدرات إيجابية قوية، ناجمة عما ارتبط بها من دلالات في

(1) الإعصار والمئذنة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 41.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 66.

(3) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 193.

وجدان المتلقي ووعيه، بحيث يكون استدعاء الشخصية التراثية مثيرا لتلك الدلالات وبعثا لها⁽¹⁾.

ويبدو أنه نجح في تقديم "هاشم عبد السلام"، نموذجاً للداعية الذي يعرف دوره في إصلاح المجتمع وجلب اهتمام المواطنين لقضية وطنهم، فيستنهض الهمم قبل أن يتلعبها بحر الشيوعية، ويدعو إلى الجهاد ومقاومة الأعداء حتى لا تسقط الأمة وتفقد تاريخها أمام إعصار الغازي الغريب.

ولكن الثورة التي أثارها "هاشم" خمدت بخمود جسمه، فأصبح في سكونه الأبدي، بروحه الطاهرة رمزا للمئذنة التي تبقى معلنة عن الحق، وكان حضور "حنا جرجس" للخطوة وفاة "هاشم" بمثابة حركة انهزام للإعصار، ويظهر ذلك لما رأى "حنا جرجس" "هاشما" بابتسامته العريضة وهو يحتضن الموت، فقال في نفسه: "كيف يقدر رجل ميت على أن يتسم ... وقال في نفسه مرة أخرى: إنه هاشم بكل تأكيد ... ثم قال: لماذا تغمر الطمأنينة والرضا وجهه الذي يسيل دما ...؟ وشعر "حنا" بأن "هاشما" يتحداه مرة أخرى ..."⁽²⁾.

وقد وجدت في شخصية "هاشم" نموذجاً للوعي بأهمية التمسك بالدين والتسلح بالقيم النبيلة: "فالشخصية النموذجية تعود إلى مطلع العصر الحديث على يد كتاب القصة الأوربيون فقد اتجهوا إلى دراسة الإنسان في القصة بوصفه نموذجاً لطبقة من الطبقات الاجتماعية أو لجيل من الأجيال، ففيه تتجلى اتجاهاتها الفكرية ومثلها"⁽³⁾.

أي أن هذا النوع من الشخصيات لا يعبر عن تجربة أو أفكار فردية ذاتية فقط، إنما ينطلق بلسان جماعة أو فئة من المجتمع.

فإلى جانب تمثيلها للملامح عامة في المجتمع فإنها تحافظ على خصوصياتها ومميزاتها الفردية "فقد تتركز في وجودها على الملامح التي تحدد اتجاهها تاريخياً واقعياً دون أن تكون

(1) علي عشري زايد: استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر، طرابلس (ليبيا)، ط1، السنة 1978، ص 303.

(2) الإعصار والمئذنة، الرواية (مصدر سابق)، ص 173.

(3) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر، (د.ط)، السنة 1977، ص 506.

بمجرد خطوط تجريدية، فعندما نجد نماذج حقيقية من هذا النوع نستشعر على الفور العملية الجدلية بين ما هو خاص ذو إطار فردي محدد، وما هو في الوقت نفسه نموذج عام".

إن توظيف الشارد لهذه الشخصيات يشير إلى مقدرته وفهمه العميق لحركة المجتمع الموصلية ولجميع طبقاته ومختلف اتجاهاته الفكرية ... وقد نجد هذه الشخصية وغيرها تعبر بصورة غير مباشرة على فكر الكاتب ونفسيته وتوجيهاته بحيث تغدو هذه الشخصية معبرة عن موقف الكاتب بالدرجة الأولى، من هذه الفئة، وقد أشار الروائي "نجيب محفوظ"، إلى فهمه لطبيعة الشخصية وطريقة تشكيلها: "العلاقة بين الشخصية الروائية والشخصية الطبيعية تظهر في المعادلة الآتية⁽¹⁾: الشخصية الروائية = شخصية طبيعية + المؤلف.

فإظهار شخصية طبيعية في عمل فني كما هي محال⁽²⁾.

ويبدو أن الشخصيات الإسلامية هذه أبدت حضورها في الرواية من خلال حضور الشخصيات الشيوعية، والتي تميز الطرف الآخر وهو الإحصار، وقد صورها الروائي في مشاهد تليق بكل شخصية.

5- يونس سعيد: النموذج المشوّه:

مثل "يونس سعيد" النموذج البشري الحي المناهض للشعب والحركة الثورية التي أخذت بشائرها تدب في قلوب المواطنين، فشكل أحد النماذج المخادعين والأعداء الذين باعوا أنفسهم للسياسة الغاشمة.

حيث كانت هذه الشخصية مطابقة لأفعالها العدوانية، والتشوه الخلفي ما هو إلا صورة للتشوه الإيديولوجي الذي عرفته الشيوعية، وقد حدد ذلك كل من:

(1) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، السنة 1978، ص 158.

(2) نجيب محفوظ، أتحدث إليكم، دار العودة، بيروت، (د.ط) 1977، ص 47.

* البعد الجسمي:

يغوص السارد في الأعماق النفسية والسلوكية حيث صور "يونس سعيد" تصويراً حسياً دقيقاً، فتشوهات الخلقية أثرت بصورة سلبية على جانبه النفسي مما جعله يفقد إيمانه ويتمرد على الآخرين وعلى نفسه: "يونس يعان من قطعة بيضاء أصابت بالتشويه عينه اليسرى، وكان هذا وحده سبباً لإحباط مساعي أهله الواحدة تلو الأخرى" (1)، "ليس هذا فحسب بل إن حواجز أخرى اعترضت هدفه، فلقد اشتهر في الحي بشيء من التخلف الذهني، كما أن شهية السكر استعبده إلى حد الإدمان رغم أنه لم يكن يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر، وكان يعاني من انكماش في تكوينه الجسدي بسبب من الهزلة الشديدة، أما رأسه الصغير المستدير كالكرة فلم يسعفه أن يغطي عليه قدراً كافياً من الشعر، يمنحه شيئاً من التوازن والإمتلاء" (2).

* البعد النفسي:

قد ساهم البعد الجسمي بقدر كبير في طمس نفسية "يونس سعيد" وتنامي الحقد البشع وقد ساهم في ذلك أيضاً عجزه في الحصول على زوجة، فلم يستطع إقامة عائلة رغم محاولاته العديدة في خطبة النساء، لكن الفشل كان يحالفه في كل مرة "تذكر كيف أنه حاول عدة مرات ولم يفلح، وبذلك أمه وأخته جهوداً متواصلة للعثور على ابنة الحلال فلم تصلا إلى نتيجة، كانت الأمهات يسألن عنه قبل أن يعطين الجواب" (3).

كان يونس يمتلئ حقداً وكرهاً خاصة وأن نصيبه في الحياة سلبى، فلقد كانت بداياتها فاشلة وهذه الشخصية تصنف من حيث علم النفس إلى مقياس: القصور الذاتي "فالذين يحصلون على درجات منخفضة من هذا المقياس حيث ينقصهم الاعتماد على أنفسهم، يعتقدون أنهم لا حول لهم ولا قوة، مدفوعون دائماً بالآخرين وبالأحداث من

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 107.

(2) المصدر نفسه، ص 108.

(3) المصدر نفسه، ص 109.

حولهم ويظهرون درجة عالية مما يمكن أن نطلق عليه: (الخضوع للسلطة) أي الطاعة العمياء للسلطة الحاكمة أو مصدر السلطة في محيطه"⁽¹⁾.

ويظهر أن الفشل في الحياة قد لازمه منذ صباه، خاصة أثناء الصف الدراسي، حيث كان تكرر السنة بالنسبة إليه عادة، قضى سنن عديدة في الثانوية إضافة إلى ذلك أنه كان فقيراً، يرى في زميله "عاصم" صورة عكسية له، لم تكن تهمه قضية وطنية حتى أنه لم يكن يحاول إبداء رأي، ولعل "يونس" قد وجد الفرصة السامحة لأن يفجر ما تخفي نفسه من شر وعصية اتجاه الآخرين، وقد يتسم الفرد مرتفع العصية في التفسير النفسي بما يلي:

"الشعور بمزيد من الضغط، عدم القدرة على توفير وقت للراحة والاسترخاء، الشعور بالحمية الزائدة والقلق، والمعاناة من الإجهاد الشديد، التعاسة، المعاناة من كثرة المتطلبات، انخفاض حدة الإدراك الحسي، يسهل عليه تذكر الأشياء التافهة يرى في كثير من الأمور أنها مهددة له"⁽²⁾.

وهذا ما لمسناه في "يونس سعيد" فكانت شخصية ليس في قلبها رحمة، وقد وجد طريق الشيوعية هو السبيل الوحيد الذي سيجد فيه صورة له، وقد ورد ذلك في الحوار الذي دار بينه وبين "عاصم":

قال عاصم:

إني أعرفك جيداً لا تهمك هذه المسائل

قال يونس وهو يشدد على مخارج الأحرف:

ولكنها اليوم تهمني

قال عاصم:

ولكنني أعرفك جيداً، ألم نقض أربع سنوات في صف واحد؟

(1) مجدي أحمد محمد عبد الله، الأبعاد الأساسية للشخصية بين النظرية والتطبيق، "دراسات واستخبارات" دار المعرفة الجامعية، مصر (د.ط)، السنة 2004، ص 486.

(2) أحمد عبادة، مقاييس الشخصية للشباب والراشدين، ج2 مركز الكتاب للنشر، مصر، ط1، السنة 2001، ص 24.

لم يكن يتاح لنا في العصر الملكي البائد أن نعلن عن مواقفنا.

أجاب يونس بنخث:

وسلمى...؟" (1).

هكذا كان "يونس سعيد" كالإحصار يجوب المنطقة ويحوم حول المئذنة محاولاً إسقاطها فقد وجد في الخبث والشر مجالاً للنيل من الأعداء الذي يعتبرهم متآمرين ضد الوطن "وأحس" يونس "وهو يسمع العبارة الأخيرة، لسنا أناساً عاديين، بشيء من الثقة بالنفس، سرعان ما تخطت حدودها المعقولة إلى نوع من الغرور، وتصور نفسه يقود حشداً من جماهير الناس في تظاهرة كبيرة تصرخ في وجه المتآمرين وتنقض عليهم كي تمزقهم" (2).

هذا التعويض عن الحرمان جعل منه شيوعياً وتبنى "أنصار السلام"، ناقماً على المؤمنين "يهتف باسم الزعيم "عبد الكريم قاسم" في مظاهراته وتجمعاته. ويحقد على الرجعيين في نظره... ويتكلف بعد انتصار الشيوعيين بالانتقام من "عبد الرحمن الشيخ داوود" وابنته "سلمى"، ويكون له شرف تقييد "سلمى" والطواف بها عبر شوارع الموصل ليشفي غليله بقطرات الحقد والانتقام... ويعلقها على أعمدة الكهرباء، وما كان يدري بأن الشوارع كانت تشفي غليلها بقطرات دمها الزكي كما تنبت يوماً زهراً وشوكاً... وما كان يدري أثناء تعليقها إنما كانت ترتفع إلى الجنان العليا" (3).

فلماذا "سلمى" بالذات؟ هل لأنها خطيبة صديقه عاصم؟

فسريان أحداث الرواية تحيلنا إلى أن "يونس" يكن لعاصم غيرة كبيرة تحولت إلى حسد ثم إلى كره شديد، يمزق قلبه منذ أن كان في صف الدراسة، وحين كان الفشل يجمعهما، وقد كشف عن ذلك قول "عاصم" موجهاً إليه الخطاب:

(1) الإحصار والمئذنة، الرواية (مصدر سابق)، ص 63-64.

(2) المصدر نفسه، ص 110.

(3) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 193.

"ولكنني أعرفك جيدا ... ألم نقض أربع سنوات في صف واحد"⁽¹⁾.
 لكن ثروة عاصم وأناقته ساعدها على تخطي ذلك الفشل، أما "يونس" فيعوزه
 وفقره زاده في بشاعة صورته، ونمى كل هذا فيه الفشل، مما دمر نفسيا واجتماعيا فراح
 يحاول التجسس على "عاصم" وعلى خطيبته "سلمى"، وقد ورد ذلك الغل عندما كان
 في السجن حينما حدث نفسه:

"وتذكر صديقه القديم "عاصم الدباغ" وكيف أنه يتمتع الآن بثروة أبيه ... بم
 كان يتميز عني؟ لقد قضينا سوية سني الدراسة الثانوية وكان تزحف معا ببطء، ونتهم
 معا بالغباء، فلماذا تقدم وتأخرت؟ وتذكر خطيبته "سلمى" وكيف أنه خطبها بسهولة
 ..."⁽²⁾. وقد تبدو شخصية "يونس سعيد" كنموذج للشخصيات التي تكون "أنصار
 السلام" فهي تبدو من الناحية الفنية "أكثر شخصيات الرواية عمقا وإقناعا حيث استبطن
 الكاتب أعماقه وكشف عن نزعة الشر التي تسكنها بسبب نشأته الفقيرة، وضعف
 جسده وهزلة والعيب الخلقي الذي يعاني منه، ورفض المجتمع له حين أراد الاقتران
 بإحدى الفتيات لظروفه الاجتماعية.

إن الأحداث ترسم لنا شخصية حاقدة دموية لا تبالي بأية قيم أو مبادئ في سبيل
 الوصول إلى غايتها، ولذا دخل الحركة الشيوعية وصار عميلا للنظام المستبد بعد أن كان
 قبل الوعيم سلبيا، وبدأ انتقامه من زميله "عاصم" بعد انتصار الزعيم عذب خطيبته
 "سلمى" حتى الموت، وقتل والدها قتلا بشعا ورهيبا وواصل مسيرته الشريرة دون رادع
 من خلق أو ضمير"⁽³⁾.

ومن ثم استطاع الروائي أن يبرز بشاعة الشيوعيين في تفكيرهم ومعاملتهم
 للمسلمين فكانوا بحق كالإعصار الذي يحاول اقتلاع المبادئ من جذورها إلا أن ذلك
 يصطدم برسوخ المبادئ أو صمودها فهي مازالت شامخة شموخ المئذنة.

(1) الإعصار والمئذنة، الرواية (مصدر سابق)، ص 64.

(2) المصدر نفسه، ص 110.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 67.

6- حنا جرجس:

كشف لنا هذه الشخصية عن صورة أخرى لأنصار السلام بأبعاد منسجمة فيما بينها:

* البعد الجسمي:

عبر عنه الروائي في ثلاث عبارات صور لنا فيها "حنا جرجس" في قوله (أي السارد): "نفض حنا واقفا بقامته النحيلة ووجهه المائل للصفرة، وبذلته الأنيقة"⁽¹⁾.

* البعد النفسي:

تميزت هذه الشخصية بالكبرياء والخوف من المجهول وإظهار العداوة إلى رموز الإسلام وقد يندرج ضمن مقياس العداوة من خلال الدراسات النفسية للشخصيات العدوانية "ف نجد أن الأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة من هذا المقياس يظهرون تعبيراً مباشراً أو غير مباشر للعدوان. وذلك من خلال أشكال مختلفة من السلوك مثل نوبات الغضب أو القتال والمناقشة الضيفة والاستهزاء بالآخرين، كما أنهم لا يتقبلون أي سلوك أعمى من أي شخص ويشعرون أنهم مضطرون للرد العنيف على أي شخص يرتكب مخالفات ضدهم"⁽²⁾.

وهذا ما شهدناه في شخصية "حنا" بكبريائها وعنوانها ومقتها للإسلام والمسلمين.

* البعد الثقافي: "كان حنا جرجس داوود" واحد من مثقفي المدينة الجيدين، وكان متمكناً من الإنجليزية والفرنسية إلى حد كبير، ومع أن عمله في مديرية معارف المدينة كان يستنزف منه الكثير من الوقت، فإن هذا لم يصرفه من توجهه الأساسي للقراءة والترجمة، وكتابة بعض المقالات والبحوث القصيرة في مختلف شؤون الفكر، وبخاصة التاريخ والحضارة ونشرها في عدد الصحف والمجلات.

* البعد السياسي: لقد كان للبعد الثقافي دوراً كبيراً في بلورة الأحداث السياسية وجعلها شغلاً شاغلاً لـ "حنا جرجس" فقد كان من الأعضاء البارزين في حركة أنصار

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 41.

(2) الأبعاد الأساسية للشخصية بين النظرية والتطبيق مجدي أحمد محمد عبد الله (مرجع سابق)، ص 518.

السلام ومن بين الحاشطي في هذا الحزب إذ تمثل شخصيته: "نمطاً آخر من الشيوعيين الذين لا يعلنون عن هويتهم بوضوح كاف، إنه صحفي ومثقف ويجيد الفرنسية والإنجليزية والترجمة وكتابة المقالات والبحوث القصيرة في مختلف شؤون الفكر، وبخاصة التاريخ والحضارة بعد انتهاء عمله الرسحي، وقد انتمى إلى حركة أنصار السلام (الشيوعيين) في الموصل، ثم إنه سيخدم أماكن العبادة النصرانية في عقد اجتماعات حركة أنصار السلام ويستخدم الكنيسة في الموصل لخدمة الحركة تحت وهم مواجهة الخطر التاريخي المشترك؟"⁽¹⁾.

يعتبر هاشم عبد السلام أحد أصدقائه، فكانت تجمعهما صداقة تحمل في طياتها العداوة والاستنكار، ولعل اللقاء الأخير الذي جمع "حنا" و "هاشم" والحوار الذي دار بينهما قد أبرز شخصية "حنا جرجس" ووضعها في الصورة إذ توضح الفرق الإيديولوجي المتناقض بينهما حين حاول "حنا" الدفاع عن حزب "أنصار السلام". لكنه قد وجد أمامه البرهان الذي يكذب صدق نوايا هذا الحزب لكان أشد ما يخشاه هو مجابهة "هاشم" ذي الشخصية الإسلامية الملتزمة في حديثها وصدقها. ويتضح ذلك في:

"أجاب هاشم بصراحته المعهودة:

لن أكون بخير ومدينتي تتلوى تحت وطأة غزو يسخر له الزعيم حشوداً من أذعياء السلام.

انكمش "حنا" بعض الشيء، وبذل جهداً مزدوجاً لاستعادة بشاشة وتغيير الموضوع للابتعاد عن نقطة المجابهة"⁽²⁾.

لقد برهن هذا الحوار الذي رسمه الراوي ببراعة على أنه النقطة الحاسمة في مجابهة المئذنة للإحصار ليظهر "حنا جرجس" أمام "هاشم عبد السلام" صغيراً ضعيفاً، في تذبذبه

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 67.

(2) الإحصار والمئذنة، الرواية (مصدر سابق)، ص 35.

في الآراء ومنحرفا في انتمائه الإيديولوجي: "وكمن يتلقى ضربة غير متوقعة في حلبة الملاكمة، أحس "حنا" بأن حججه تتهاوى الواحد تلو الأخرى ... إن عددا من علمائكم انتموا للحركة فلو أنهم رأوا في ذلك بأسا لما فعلوا ... إنك تعرف جيدا الإمام: حامد السلطان، وتعرف كذلك الإمام يونس العبد لله ...

أجاب هاشم وهو يفتersh ابتسامة ساخرة على مدى وجهه: سيذهبان يوم غد إلى بغداد مع وفد الحركة للتنسيق بصدد غزو المدينة فاطمة "حنا" بشيء من العصبية. - ولم تسميه غزوا؟ قال "هاشم" بهدوء: - لأن صحفكم أطلقت عليه هذه التسمية"⁽¹⁾.

وهكذا بدأ الحوار وكأنه صراه بين شخصية هادئة ثابتة بأصالتها وتصورها الصحيح بين شخصية تفقد توازنها وعصبيتها بسبب تصورها المنحرف. "قاطع حنا بشيء من العصبية، قال هاشم بهدوء ... أجاب حنا وهو يحس بتضييق الخناق عليه، قاطعه هاشم بهدوء ... تساءل حنا بشيء من العنف: سأل حنا وقد أحس أن أوراقه أصبحت مكشوفة أكثر ... نهض هاشم بدوره وقال بصوته ذي النبرة القوية الواضحة..."⁽²⁾.

هذا التحدي الذي أبرزه "هاشم" ضد "حنا" وضد الشيوعيين ككل ضاعف في "حنا" العداوة والحقد والتي وصلت إلى ذروتها كلما تذكر المكانة الرفيعة التي يخص بها أهل الموصل إمامهم ...

"بيد أن "حنا جرجس" بعد أن كشفه "الشيخ هاشم عبد السلام" من خلال حوار معه، وبعد أن قبض عليه مع بقية الشيوعيين عند بدء حركة الشواف، ملأ الحقد

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 38.

(2) المصدر نفسه، ص 39-40.

قلبه، وأخذ يتشوق للانتقام من أعداء الحركة وأولهم الشيخ "هاشم عبد السلام" وقد تحقق له ذلك عندما وضع قدمه على وجه الشيخ الشهيد ودعك لحيته بجذائه الموصل كما سبقت الإشارة⁽¹⁾.

فلقد كان "حنا" كالإعصار يلاحق "هاشم" إلى أن استشهد، ومع ذلك فإن "حنا" لم يستطع تحقيق أمله والمتمثل في قتل "حنا" لكنه تمنع إلى حد كبير من اللؤم والفجور، "وصاح حنا مرة أخرى وهو يعاني من عذاب يصعب وصفه: آه... لقد فاتتني الفرصة... ولنحلى قليلاً، والمسدس العتيق يرتجف بيده اليمنى... وشعر "حنا" بأن "هاشما" يتحداه مرة أخرى..."⁽²⁾.

ولعل توظيف الروائي لهذه الشخصية في آخر الرواية كان مقصوداً، ذلك لأنه بدأ الرواية بالوصف الجميل والهدوء المؤقت وسرعان ما بدأت الأحداث تتفاعلاً مع شخصياتها.

"والمفارقة أن الرواية تحاول أن تضيف على "حنا جرجس" نزعة إنسانية من خلال إحساسه بالخواء والهم والحزن، وتساؤله عن الناس الذي افتقدهم في شارعهم، وتردد في تنفيذ الانتقام وتصفية الحساب مع خصوم الزعيم، إن الكاتب خير من يعرف الطبيعة الشيوعية للشيوعيين والتكوين الفكري لهم، إنهم يتدربون في بداية حياتهم الشيوعية على قتل العواطف المشاعر والأحاسيس ويتدربون على العنف والدم وعدم الرحمة، والتاريخ الحي خير شاهد على ذلك"⁽³⁾.

وبهذا كانت لشخصية "حنا جرجس" أثر كبير في سير الأحداث واتساع الهوة بين أنصار السلام والمسلمين.

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 68.

(2) الإعصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 173.

(3) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 68.

III. تحليل أبعاد الشخصيات:

تقف أحداث الرواية على تشكيل صور مختلفة لأبعاد الشخصيات وخلفياتها المختلفة إذ يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات وكل فئة تحمل بعدها الفكري والسياسي والديني من خلال الرواية:

- الفئة الأولى: تمثلت في أسرة "عبد الرحمن الشيخ داوود" وابنته "سلمى"، ترمز إلى الأسرة الملتزمة بقيمها وأصولها الإسلامية المؤمنة بعقيدها والمرتبطة بمدى ارتباطها ارتباطاً واعياً... إنهما يعكسان داخل النص الروائي صورة المواطن الموصل المتشبه بالقيم التي يمتاز بها مهما كانت الظروف ومهما طغت كل أنواع الفساد...

ويغذي هذه الفئة في صورة الشيخ "هاشم عبد السلام" الذي يمثل رمز الدعوة إلى الإسلام والسلم والاتحاد والتقوى، وقد استطاع الروائي أن يدخل هذه الشخصيات حاملة الشعلة إلى المستقبل.

- الفئة الثانية: هي الطرف المقابل والمعاكس للأول، إنها صورة للفكر الحاقد على الإسلام والمتمثلة في الشيوعيين، وقد مثل الروائي هذه الفئة في شخصين: "حنا جرجس" و"يونس سعيد"، وقد كانت صورتهم في الرواية في أكمل وجههما: "نهم الشيوعيون يقدمون بتصرفهم الدليل العلمي والعملية على فشل مبادئهم وبدائلهم الحمراء..."⁽¹⁾.

وأعتقد أن الأحداث السردية تحاول تقديم الصورة على حقيقتها حيث تفسح المجال لفئة ثالثة لتعبر عن حالتها المضطربة، وكأن "عاصم الدباغ" رمز لهذه الفئة والمترجم لها، فكان تفكيره لا يتعدى عالمه الشخصي، عالم التجارة والمال، دون أن يقدم موقفاً إزاء قضية وطنه.

أمال فردية ورغبة دائمة في الهرب من الصراعات والمشاكل والابتعاد عن القضايا السياسية حتى وإن مست المنطقة التي يعيش فيها...

(1) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 199.

هذا التوفيق الروائي قد جعل من الرواية إطارا حيا تتفاعل فيه الشخصيات من جوانبها المتعددة، وقد زادها تفاعلا حرص الروائي اكتناه العوامل الداخلية "فهو لا يهتم بالحدث فقط كما الشأن في الرواية التقليدية التي اشتهرت منذ عصر النهضة، بل قد تغيب الأحداث.

هذا إلى جانب بعض الشخصيات الثانوية التي شاركت بصورة سريعة، لكنها قد ساهمت في سير الأحداث، وبناء الحدث "لعل أبرز دور أو وظيفة تؤديها الشخصيات الثانوية تتمثل في أنها هي التي تعمر عالم الرواة ... فما دامت الرواية تقدم البيئات الإنسانية فإن الشخصيات الثانوية هي التي تقيم هذه البيئات، إنها تكشف ملامح العصر والمجتمع عندما تراقب الشخصيات الثانوية وهي تنطلق خلال أعمالها العادية المألوفة"⁽¹⁾.

وأعتقد أن هذه الشخصيات توظف بأساليب، قد تكون عناصر من المجتمع تشكل السياق الإنساني، باعتبارها معيارا أو مؤشرا دالا على ما هو عادي مألوف، وقد تكون عوننا للشخصيات الرئيسية، وقد تكون نظيرا أو مثيلا أو زوجا متمما لها ... "إن الشخصيات الثانوية كثيرا ما تسقط من الاعتبار وكثيرا ما تنفى إلى الداخل فتكون أشبه بالبطالة الخفية أو الشطحات المتخيلة ... ولكننا نفقد الكثير عندما تغفل عن الدور المعقد الخصب لتلك الشخصيات في الكشف عن معنى الرواية ورؤيتها الخاصة"⁽²⁾.

وقد يحدث أحيانا أن تؤدي مثل هذه الشخصيات أدوارا أكبر من ذلك في الرواية، لكنها لا تبلغ من الأهمية دور الشخصية الرئيسية، وغالبا ما نلتقي بالشخصية التي تبدو تجسيدا لمواقف الحياة وأسلوبها وتفعيلها مع الأحداث والذي لا نستطيع أن نصفه طيلة قراءتنا للرواية بأنه ثانوي أو هامشي، وهناك من الشخصيات الثانوية التي لا نسمع عنها في الرواية سوى تلميحا من طرف السارد ومع ذلك فإن دورها أكبر من ذلك، مثل شخصية "الشواف" فلقد كان هذا الأخير سببا في إحداث الثورة ورغم ذلك فالراوي أشار إليه فقط.

(1) قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات السرد، (مرجع سابق)، ص 190.

(2) المرجع نفسه، ص 193.

"أما الشواف أو العقيد "عبد الوهاب الشواف" قائد حركة الموصل: فلم تحاول الرواية أن تقدمه، ولو في سطور، ولم تقل لنا لماذا اختار هذا الطريق؟ ولم تحدثنا عن فكره أو تصوره أو علاقته مع زملاء السلاح أو رفاق الثورة في الموصل أو بغداد وغيرهما.

لقد اكتفت الرواية بالإشارة إليه زعيما وقائدا وشهيدا... " (1).

وثمة شخصيات أخرى تعمل بصورة أكثر إثارة، حيث يأخذون دور المنافسين للشخصيات الرئيسية فيتفاعلون معها، كي يكشفوا عن جوهر العناصر الفعالة في طبيعة تلك الشخصيات الرئيسية أو المقومات الحاسمة في أزمتها، فشخصية عبد الكريم قاسم" فلقد كان من الجهة المعاكسة قائدا للشيوعيين ومدبرا للمؤامرات، وقد ذكر الروائي بعض الشخصيات الثانوية الأخرى مثل: "ابتسام" أخت "عاصم الدباغ" المرتبطة بأخيها حول عالمه الضيق "وقد تدخلت أخته الكبرى، وكانت قد تزوجت منذ أمد بعيد موظفا يعمل مديرا للتحرير في بلدية الموصل ...

وقالت "ابتسام":

- سوف أسعى وسوف أتيك بالجواب إن شاء الله.

طفقت الفرحة على وجه "عاصم" وقال:

- هكذا تكون الأخت المخلصة وإلا فلا ... (2).

وهناك الأم التي أشار إليها الروائي في صورة سريعة، وهذا ليمسك زمام الأحداث: "وإذا وجدت الأم نفسها محاصرة فيما يشبه الأمر الواقع... " (3).

إنها تبدو شخصيات محدودة من جهات عديدة في حين لا تكون الشخصيات الرئيسية كذلك ربما كانت بساطتها أو قلة تعقدها سببا في إسهامها في التجربة حيث تكون أثل تركيبيا وأقل جاذبية، وغالبا ما تكون معاناتها أيضا أقل "ولعل عماد الدن

(1) الرواية الإسلامية، دراسة تطبيقية، ص 66.

(2) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 58-59.

(3) المصدر نفسه، ص 59.

حلل" وظف دور هؤلاء ليكشف عن طبيعة الموقف الأساسي الذي يحفل مكانة بين الشخصيات الرئيسية البارزة.

ولكن سوف نطلع لدافعين:

أولهما، دافع التطلع إلى معرفة مصير العلاقة بين "عاصم" و"سلمى".

أما الثاني ... وزهو لب الرواية، ويتمثل في دافع التطلع إلى مجريات الثورة وما ستؤول إليه.

ويبدو أن الأحداث تود القفز بنا إلى معرفة الجديد، وقد يتبادر في ذهن مجموعة من الأسئلة: "فمن المفيد أن نتوقف قليلاً أثناء قراءة الرواية بين حين وآخر لنسأل أنفسنا إلى أين تتجه الرواية عن هذه النقطة أو تلك؟

كيف تتراءى لي الحبكة بصفة عامة؟ ما الذي أود أن أراه يحدث للشخصيات إننا نتساءل مثل هذه الأسئلة أثناء القراءة لا شعورياً، لأن جزراً من طبيعة الإنسان يريد أن يحاول استكشاف ما يدور العمل من حوله حتى لا تضطرب علينا الأمور. أو يفلت منا الخيط أثناء رحلة القراءة"⁽¹⁾.

وأعتقد أن الراوي ينتظر من قرائه تلك المحاولة الذؤوب لاستكشاف الأحداث متبعين في ذلك دور الشخصيات مع ميلهم إلى الأدوار التي يعجبون بها ويأملون في أن تكون نهايتهم سعيدة في مقابل توقعهم في أن تنال الشخصيات الوضيعة ما تستحق من سوء عاقبة، وقد تكون هذه التوقعات هي الموجه الأساسي في التأثير والتأثر، باعتماد الحدث الذي بزغ الكاتب في بنائه، "لأن الحدث هو الذي يخلق الشخصية، والشخصية هي التي تطور الحدث"⁽²⁾.

وكلما صب القارئ وعيه حول توقعاته لمستقبل الأحداث في الرواية، نجد أن المؤلف يجتهد في إقناعنا بتوظيفها الجيد، وعلى سبيل المثال نكتشف أن الطريقة الوحيدة

(1) مدخل إلى تقنيات التفسير، (مرجع سابق)، ص 123.

(2) تحليل الخطاب السوداني والشعري، عبد العالي بشير (مرجع سابق)، ص 31.

لمشاركة "سلمى" وأبيها في الرد على "أنصار السلام" هو الاتجاه إلى المسجد "الجامع" وقضاء صلاة الجمعة هناك وراء الإمام "هاشم عبد السلام".

ويبدو أن القارئ لرواية الإحصار والمثذنة لا يستطيع الصبر على ما سيقع من أحداث الرواية حتى إننا نعلم إلى استشرق الفصل الأخير قبل بلوغه، ولعل السبب في بلوغ هذا التشويق المفرط يرجع إلى معرفتنا بطبيعة الشخص، فنحن حين نشارك "سلمى" أحاسيس التمزق والفرز أو تخيل أنفسنا في موقف شخصية روائية تعيش في لحظة خوف أو قلق، وهذا أمر ضروري للحبكة القصصية "فكلما توثقت الروابط النفسية فيما سوف يحدث لهم، ومع اطراد اهتمامنا بالشخصية القصصية، نحاول التنبؤ بما سوف تتطور إليه الأحداث حتى يصل بنا الأمر إلى تمثل النهاية التي تنتهي إليها القصة، ونتيجة لهذا تبدأ مشاركتنا الفعالة للمؤلف حتى إننا لنضع رغباتنا وتوقعاتنا للحبكة في مواجهة ما نتابعه من أحداث الرواية الماثلة بين أيدينا"⁽¹⁾.

ولهذا فحينما نكون واعين بطبيعة توقعاتنا حول مستقبل الأحداث في الرواية، يمكننا أن نرى إلى أي مدى يوظفها المؤلف، ويجتهد في مناورتنا حتى يقودنا إلى مواقف بعينها يريد أن ننفقها أو نفتن عبها.

(1) صلاح رزق، قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، روجر، هنكل دار غريب، القاهرة، (د.ط)، السنة 2005، ص 119.

IV. تحديد الزمن السردي للرواية:

1- زمن كتابة الرواية:

بما الأحداث في رواية "الإحصار والمنزلة" وقعت حقيقة، نجد أنفسنا مندفعين إلى إثارة سؤال هام حول إمكانية تحول الروائي إلى مؤرخ، مادام يعتمد أحداثا واقعية، جرت في مكان ما وسجلها التاريخ؟ وهل يمكن أن يكون الجانب الفني القلب النابض للجانب التاريخي والإيديولوجي؟

وهل يمكن أن يلتهم الجانبان التاريخي والإيديولوجي الجانب الفني عبر الدفاع عن قضايا الأمة ومصيرها؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال الوقوف على زمن كتابة الرواية، فقد صدرت طبعتها الأولى عن مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1984م وهو التاريخ الذي بنيت به أحداث الرواية مع مكان كتابتها، وهو مدينة الموصل. مدينة الكاتب، وهو المكان الذي لفت انتباهنا به الكاتب أثناء الإهداء الذي صدرت به. "بعد مرور ربع قرن على ثورة الموصل، وفاء لمدينتي التي أحببتها إلى درجة العشق"⁽¹⁾.

بمعنى أن الأحداث وقعت في التاريخ المذكور آنفا وهو 1959م "لعل دوافع كتابتها تكمن في وقوع أحداثها على أرض بلده التي ولد فيها ونشأ على أرضها وهي "مدينة الموصل"، ولأنه معني بالتاريخ بالدرجة الأولى، فقد أراد تسجيل مرحلة من أخطر المراحل التي مر بها العراق عامة والموصل خاصة، وهي المرحلة التي أراد فيها الشيوعيون العراقيون السيطرة على العراق وتحويله إلى دولة شيوعية وقد ترتب عن ذلك عنف كبير ودماء كثيرة أريقت على أرض بغداد والموصل. وانتهت المأساة بقتل "عبد الكريم قاسم" أو الزعيم الأوحده، كما كان يسمى، ولم يستطع أن يقيم الدولة الشيوعية، كما كان

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 5.

يأمل ويسعى، وتعاقبت على بغداد حكومات وعهود أدخلتها في دوامات من المعاناة لم تنته حتى اليوم... " (1).

ومن هنا يوهننا المؤلف بواقعية أحداثه وشخصه من خلال تقنيات السرد، وما تتيح له ما قدرت على تخيل ما جرى، وهنا موقع الزمن الرابع الذي يقترحه الدكتور عبد المالك مرتاض "زمن ما قبل الكتابة" (2). وهو زمن المخاض الإبداعي فمن خلاله يرسم الروائي الخطة والإستراتيجية التي ستبنى عليها روايته والطريقة التي سيعامل بها شخصه، والمهمة التي تتلقاها كل شخصية وقد عمدت الرواية إلى استخدام الحادثة التاريخية خلفية لها بحيث يكون القارئ فيها مرتبطاً بواقعها وقريباً من أبطالها.

لأن الراوي قد يجد في الكتابة "أداة للتعبير عن معتقداته وأفكاره. وتصوير صراعاته الفكرية وأزمته الدينية، محاولاً من خلالها دائماً أن يتعامل مع هذه القضايا تعاملًا واقعيًا، فلم تعد مجرد نظريات جافة إنما يث فيها الروح عن طريق تصويرها بالمظهر الواقعي" (3).

ولعل هذه الخلفية التي اختارها "عماد الدين خليل" هي ثمرة نجاح عمله الإبداعي، فنجد حين ذكر لنا أحداث الموصل وثورتها عام 1959 كان يريد من ذلك إلقاء الضوء على الواقع.

"إلا أن القضية التي لا بد من الإشارة إليها، أن الخطأ الذي مارسه الشواف بتسارعه في إعلان الثورة قبل الموعد المتفق عليه مع سائر رفاقه في بغداد وباقي مناطق العراق، الأمر الذي أحدث ازدواجاً في التحرك وإراباكاً في موقف كبار القادة العراقيين، وبخاصة الشهيد "ناظم الطبقجلي" ورفعت الحاج" هذا الخطأ هو الذي أودى بمصير الثورة والثوار... وشاق زمرة من المؤمنين ومئات المواطنين الأبرار إلى حتوفهم وسط عاصفة من الإرهاب الأحمر والديكتاتورية الطاغية... لكن الذي ألقى العزاء في أفئدة

(1) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 57.

(2) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، الكويت، سلسلة عالم المقارنة (د.ط)، 1998، ص 210.

(3) عبد الرحمن محمد الرشيد، الشخصية الدينية في خطاب نجيب محفوظ، وزارة الثقافة، ط1، 2009م، ص 167.

المهزومين يومها إيمانهم بأن الدم الذي ترفته أجساد الثائرين سيظل يلهب كالنار لكي يسير على وجهه الأبدى المحص، كل الذين ألوا على أنفسهم أن يحملوا عقيدتهم وعروبته وتاريخهم وقيمهم إزاء عوامل التحلل والإفتاء"⁽¹⁾.

وبهذا تكون أحداث الرواية مستوحاة من تاريخ العراق الحديثة، ولعلها الأحداث التي ما تزال تتكرر متشابهة ومتناسخة في كثير من المواقع، وعلى طول الزمن، لأن الحدث من حيث هو، "يجب أن يتسم بالزمنية وأن يتصف بالتاريخية في أن شكل من أشكالها"⁽²⁾.

والذي يبرز هذا الكلام كون الواقعية سجلها التاريخ قبل النص الأدبي، فهل يمكن أن يتحول المبدع مؤرخاً، أو بصير المؤرخ أدبياً مبدعاً لمجرد عمل كهذا؟
قد نجد تعامل الكاتب مع شبكته الزمنية في الرواية يرافق أحوال كل بطل من أبطاله ويغطي الفضاءات التي يريد أن يوضع فيها كل واحد منهم وينسب لهم المجالات التي تليق بكل لطل أو شخصية وغير ذلك من الأمور التي تيسر له أن يعطي للأدب نكهة تاريخية. ولذلك "تعتبر الأحداث التاريخية "بيضاء" يستحضرها الكاتب لتعاصره وتزامنه، وهنا يقع التزامن بين زماني الكتابة والمغامرة اللذين يتفق كثير من الناس على الأخير سابق على الكتابة حقاً"⁽³⁾.

ويناقش عبد المالك مرتاض هذه المسألة ويرى: "أن مجرد إيراد اسم لشخصية تاريخية لا يستطيع يقنعنا بتقدم زمن الأحداث على زمن الكتابة لأن ذلك يؤدي في الأخير إلى فساد العمل الروائي أو اضطرابه"⁽⁴⁾.

ويرى أيضاً أن التاريخ للمجتمع بواسطة الكتابة الروائية والذي ينعت كتاب الرواية التقليديون أنفسهم بما لا يرضيه، بل يراه أوج في سداجة الكتابة منه في الإبداع الخلاق "فكأننا ببعض هؤلاء وهم يجعلون من أنفسهم مؤرخين للمجتمعات لا كتابا

(1) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 54.

(2) في نظرية الرواية، عبد المالك مرتاض (مرجع سابق)، ص 209.

(3) المرجع نفسه، ص 213.

(4) المرجع نفسه، ص 226.

يعالجون مشاكل المجتمعات، أو قل كتابا يتمتعون القراء بجمال كتابتهم في تلك المجتمعات" (1).

وبهذا يكون خيرا للمبدع وإنصافا منه في مدى جمالية توظيف التاريخ في النص الإبداعي الروائي وفي رواية "الإحصار والمئذنة" لم تكن الوقائع التاريخية مجرد بدع اخترقها ليوهم المتلقي بصلاحياتها، فتوظيف وقائع التاريخ في الكتابة الرواية كثير ومنتشر وإن ظهر درجات مختلفة ومستويات متفاوتة.

ولقد كانت غريزة المبدع في إنكار الحرب والتمرد على الاستبداد دافعا إلى الإبداع "فقد تبدو الحرب في الكتابة وخارجها سيدا مرعبا يقترح المواضيع ويملي التصور ... والحرب السيد حاضرة في وعي روائي تحرر من اليقين، فالبدايات غائمة في زمن تشظي والنهايات ملتبسة في زمن متطاير، والعدو الواضح كثير الألقعة" (2).

ومن هنا نجد أن استلهام التاريخ من قبل الكاتب ليس لمجرد الرغبة في الكتابة عن أحداث تاريخية أو لمجرد الإنطلاق منها للتأريخ كما اعتقد أنه ليس من الضروري أن يجعل المبدع من نفسه مؤرخا للمجتمع لأنه كتب عن أحداث سابقة، بل الماضي بالنسبة لنا هو المنارة التي تهتدي بها في ظلمات حاضرنا الحالكة، ونستشرق بها أفق مستقبل أيامنا المجهول والرجوع إلى ماضينا المزهر رسالة تحمل أكثر من معنى، يقودها الوعي الكامل بخطورة ما حدث والتريث والتفكير فيما سيحدث لإثبات القضية وصحتها لكن "كيف يتم الانتقال من التاريخ المفترض إلى القضية؟ وكيف تنقسم الأنساق المحكية والمحاكية؟ يلاحظ أنه إذا ما كانت الشخصيات الوضعية خيالية تكون تأثيرات الواقع بصفة خاصة متعددة، إن الاندراج في الواقع يتم من خلال الملاحظات المسجلة حول الإطار الفضائي الزمني" (3).

(1) في نظرية الرواية، عبد المالك مرتاض (مرجع سابق)، ص 226.

(2) فيصل دراج الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2004، ص 291.

(3) مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، برنار فالية، ترجمة عبد الحميد بورايو الرواية، دار الحكمة (د.ط)، 2002،

إن أحداث ماضينا ما تزال حية في صدورنا تلغي في أرواحنا، فتاريخنا هو المصباح الذي ينير طريق الظلمة التي تحير حاضر أمتنا المتألم من ويلات الجراح والهموم، وهذا هو العزاء الذي تحدث عنه عماد الدين خليل في مؤلفه وحول هذا الموضوع يقول عبد الكريم غلاب مؤكداً "ليست في حاجة أن أؤكد أن كتابة التاريخ، وتاريخ الحركة الوطنية بالذات، لا يعني الحديث عن الماضي، فالتاريخ لا يقصد للتاريخ الذي نعتبره انتهى، ولكن كتابته تعني الاستمرار، فأحداث التاريخ التي انتهت لا تعني أنها ماتت بقدر ما تعني أنها حية في نفوسنا وفي نضالنا"⁽¹⁾.

وقد نجد بعض الدارسين الغربيين قد علقوا على هذا الأمر أمثال، روجي ألان حيث قال: "على الرغم من أن الكتاب العرب الحاليين مازالوا يحاولون استخدام التاريخ في أعمالهم القصصية، غير أن الهدف من ذلك لا ينحصر في تقديم الأحداث، بل في استخدام الماضي لتصوير الحاضر والمستقبل واستنباط القيم منه"⁽²⁾.

ويبدو أن "الشواف" حين تسرع في الإعلان عن الثورة إنما كان تفاؤله بشهر "رمضان" فاعتبره الحافز في الحصول على النصر، باعتبار رمضان شهر الانتصارات المتتالية على مدى أربعة عشر قرناً من عمر الأمة الإسلامية، منذ غزو بدر الكبرى سنة 2 للهجرة إلى حرب رمضان 1394 هـ على اليهود (حرب أكتوبر 1973) ولكن القضاء والقدر اختار شيئاً آخر، تم إن التغيير يحالف الكثير في مجالات الحياة، وربما أيضاً عدم الرضا عما يجري في العراق، والتفرق العرقي الذي يسودها، منذ أزمة طوال. هذا ما يدفع أهلها إلى التفكير في الثورة على الأوضاع المزرية والتي طالت ولم يجني منها الشعب إلا الوبال الوخيم.

ومن هنا كان الأدب رسالة الأمة وللأديب الحق في إبلاغ رسالته التي يريد إلى المتلقي عليه يجد الأذان الصاغية والأفئدة الواعية، كما أن له الحق في التعبير بالطريقة التي

(1) حميد الحمداني، من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية، منشورات الجامعة، الدار البيضاء (د.ط)، نقلاً عن عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، (د0ط)، 1984، ص 7.

(2) روجي ألان، الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة حصة ضيف، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1986، ص 62.

تحلو له وهذا ما وفرته الرواية "لعماد الدين خليل" فقد وجد في الرواية ما يستنتق به الماضي، حيث "يتوزع علم التاريخ والرواية على موضوعين، يستنتق الأول الماضي ويسائل الثاني الحاضر وينتهيان معا إلى عبرة أو حكاية"⁽¹⁾.

والتصفح للرواة يجد أن الزمن ينقسم إلى زمنين: الأول داخلي والثاني خارجي "ويقصد بالزمن الداخلي: الأزمنة الثلاث الموظفة في النص الروائي بنسب متفاوتة، حيث يمزج الكاتب بين ضميري المتكلم والغائب، وهما صيغتان تعكسان درجة "بعد زمن القص عن زمن وقوع الأحداث"⁽²⁾.

فنجد الزمن الداخلي يعود إلى ماضي لاحق لبداية الرواية، وقد تأخر تقديمه في النص، وكمثال على ذلك ما جاء في الجزء الحادي عشر كحوار بين عاصم ويونس: "استمر عاصم: - بكل تأكيد إن بمقدوري أن أمنعها من عشرات الأشياء ... إلا هذه. - ولكني أخشى أن تندم على فعلتك ...

تساءل "عاصم" وهو يحس بخطور ما يأتي من مكان بعيد ... زاوية مجهولة في صيرورة الأحداث وأن زميله القديم قد يكون شيئا آخر بالكلية، لا تربطه أية عاطفة أو ذكرى مشتركة:

- ماذا تقصد؟

أجاب يونس وهو يقفز إلى الشارع يعد الخطى لكي يلحق برفاقه المتظاهرين: - سوف ترى؟⁽³⁾.

بينما الزمن الخارجي قد نجده على شكل استنكار سابق عن بداية الرواية، وقد أشارت إليه الرواية بنوعين: نوع يمكن تحديد مداه وآخر لا يمكن ذلك. ومثال ذلك قول السارد "سلمى" تذكر جيدا أنها في السنوات التي سبقت وفاة والدتها كانت تخرج بين يوم وآخر إلى تل الذهب"⁽⁴⁾.

(1) الرواية وتأويل التاريخ، فيصل دراج (مرجع سابق)، ص 9.

(2) تحليل الخطاب السردي والشعري، عبد العالي بشير (مرجع سابق)، ص 32.

(3) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 68.

(4) المصدر نفسه، ص 26.

والتكرار هنا يلتبس بالإرجاع الذي يجهل مداه، فقد أخبرنا الراوي أن والدتها توفيت قبل أربع سنوات، بينما هذا الزمن غير محدد، ويقول أيضا: "ويظل شارع الغزلاي يصعد باسم الفاروق هذه المرة لكي ما يلبث أن يتجاوز دورة الساعة، حيث ينتصب البرج الذي كانت قد أقامته في منتصف القرن الماضي في باحة كنسبة الأباء الدومنيكان".

وقد نجد هذا الإرجاع ممزوجا بالوصف الجميل لأحياء المدينة العتيقة، والذي نلمس منه حنين الراوي إلى الماضي بصفحاته المشرقة لا المظلمة.

كقوله: "كان أهل الموصل في الماضي إذا نهالت عليهم الثورة أنفقوا على دور أكثر رفاهية، لكن أحد لم يفكر يومها أن يتجاوز مقولات المعمار ذي القرنين من الزمن"⁽¹⁾. وقوله: "إن الموصل أعلنت انتماءها منذ قرون إلى منارتها العالية، وأخذت منها اسمها، واكتست عظامها العارية بقوة الروح التي تبثها لحما ودما"⁽²⁾.

وتاريخ العراق حافل بالثورات ضد الظلم والاستبداد ... أما أهل الموصل فقد نجدهم مشدودون نحو الأعلى بينما غيرهم يكافحون ويكابدون من أجل الخروج من الوحل الأرضي الذي يشدهم إلى الأسفل ... فيخضعون مع مرور الأيام إلى الطواغيت والجبايرة وكأن الكاتب بمؤلفه هذا يريد أن يرسل رسالة للناس مفادها أن الدين وحده هو المخرج مما تعيشه البلاد من تعسف وتفرق ... وقراءة الرواية كفيلا بالكشف عن نوايا السارد وما يريد إيصاله للقارئ في ضوء ما يتقاذف أهله ويتجاد بهم من تيارات حاكمة، وإيديولوجيات طاغية بقي الشعب وسطها حائرا لا يعرف حراكا وإن تحرك فمصيره كمصير الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم: "كتاب فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه كان جبارا قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، هو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيح به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 16.

(2) المصدر نفسه، ص 53.

العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ﴾ (1). من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم (2).

وبهذا تكون العودة إلى كتاب الله عز وجل عودة شاملة فهي المدخل الصحيح لتجلية منهج الأدب الإسلامي ورسم فنونه، وتحقيق مساراته المختلفة والعودة هذه هي التي تحقق للأديب المسلم تلك الروح المبدعة المنطلقة في آفاق الكون بلا قيد. تمنع الإنسان من الخروج عن فطرته إلى متزلقات الشذوذ والحيوانية والمادية، والتناقضات الإيديولوجية... لأن "العودة إلى كتاب الله عودة شاملة، ليست عودة الفكر المتفلسف الذي يبالي الأمر لديه إلا النظر والتأمل والتفكير البارد... وإنما العودة التي تظلمه بظلال تمتد منذ رؤيته لنور الحياة... حتى يصبح الكون وكأنه صفحة مبسوطة أمامه..." (3).

ولعل القارئ يعتبر هذا النوع من الفن سجلا لثورة الموصل ومن خلال هذا السجل نطالع سجلا آخر فيه دراسة تاريخية واجتماعية للبيئة العراقية ككل.

فتمديد الزمان الروائي تتعرف عن الزمان الخارجي فنرى فصول العام وخاصة الشتاء والربيع وتأثيرهما العميق على المكان أو تفاعلها معه ومثال على ذلك ما جاء به المؤلف في التفاعل القائم بين "عبد الرحمن" مع فصول العام والطبيعة والألوان... "وعبد الرحمن" يعيش الأرض، وهو يراها بملء عينيه ووجدانه، ترتدي في أخريات الشتاء، رداء رقيقا من العشب الخفيف كالزغب، الذي يكسو الفراخ ساعة تلدها أمهاتها... بعدها يبدأ مسلسل التخلق الجميل، الذي لا يمكن لإنسان أن يعرف خطواته جيدا، ويشبع منها جيدا، كما يمكن لأولئك الذين يعيشون في الموصل ويتقلبون في ربيعها ذي القصائد...

(1) سورة الجن الآية 1-2.

(2) ذكر الكتاب رواه الترمذي في باب فضائل القرآن رقم (2908) ورواه الرامي رقم 435، ورواه أحمد في المسند رقم 704.

(3) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريش (مرجع سابق)، ص 179.

"عبد الرحمن" يتابع هذا المسلسل ساعة بساعة ويوما بيوم، إنه يجلي هنا الساعات الطوال لا يكل ولا يمل ...

ويوما بعد يوم، ومن خلال تغيير لوني هادئ ولكنه منظور، يتابع المهرجان عروضه المؤثرة، مصعبا بما نحو نهايات أذرا، حتى يبلغ الجمال أوجه ... وتتعاشق بعنف الألوان الحارة، والروائح الشذلية، وتهب على البراري والحقول ريح مغسولة تقل سحبا كالثلج، لكنها مترعة ماء، إذا ما يلبث الأبيض أن يتحول إلى الأزرق فالرمادي ... وما هي إلا لحظات حتى تتمخض السحب الثقال عن مطر غزير كأفواه القرب، يغسل الحقول ويسقيها ... وما هي إلا دقائق حتى يكف الغطاء وتمارس الريح تمزيقها للسحاب المطبق ...

لقد كان عبد الرحمن يعيش هذه الملحة الربيعية بجوارحه يندمج فيها ويدوب في منحنياتها المتدثرة بالعشب والصغير وشقائق النعمان ...⁽¹⁾.

وقد يقوم الزمن في الرواية بتحديد طبيعتها حيث لا تستطيع الاستغناء عنه لأنها: "أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن، وأن الزمن منه الخارجي (زمن الحوادث والقراءة والكتابة) ومنه الداخلي أي ترتيب الحوادث ترتيبا يخدم السرد، ويكشف عما بين تلك الحوادث من تواق وتزامن"⁽²⁾.

ولعل أي إشارة يذكرها الكاتب تكفي لتوضيح القارئ ما إذا كان الزمن في هذه الرواية زمنا تاريخيا أن زمنا غير تاريخي، كما أن ذكر أي علم من الأعلام المعروفة أو مكان من الأمكنة أو وقفة تاريخية كل هذا كاف لتحويل القارئ من حاضره إلى زمن تاريخي يرتبط بحوادث لها وجودها في الزمن الماضي وبهذا يكون "الزمن في الرواية لا يقتصر تصنيفه على زمن الحوادث المروية، أو ترتيب عناصر الوقت الذي تقع فيه هاتيك الحوادث، فقد يصنف الزمن تبعا لموقف الشخص منه وتأثرهم به"⁽³⁾.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 113-114.

(2) سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، السنة 1984، ص 2.

(3) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل (مرجع سابق)، ص 98.

ومن خلال تحديد الزمن يظهر لنا خيوطه متشابكة قد يفلت من الذهن بعضها وقد ندرك بعضها الآخر من خلال الحوادث.

2- المفارقات الزمنية:

إن الوقوف على البنية للزمنية التي تتحدد بها أحداث الرواية نجد أن الزمن الروائي يمكن أن يكون خطياً ويمكن أن تداخله مستويات أخرى من السرد، كالوصف والحوار لأنه: "يتميز بمجموعة من الخصائص داخل الروايات المختلفة فقد يلخص الروائي فترات زمنية طويلة في صفحات روائية قليلة"⁽¹⁾.

فنجد أحداث رواية "الإعصار والمنذنة" تميل إلى العناية بالماضي أكثر من أي شيء آخر، حيث تقوم بعملية استردادية، لاستحضار الماضي ثم توظيفه لنسج خيوط العملية السردية، وتشكيل ملامح صورها.

فرغم المؤشرات الزمنية القليلة التي أشار إليها الراوي بصورة قد لا تسعف القارئ في الإمساك بخيوط النص وتحديد البداية والنهاية على الأقل.

وقد نجد هذه التلميحات في: "صبيحة الأحد الثامن من أذار/مارس"⁽²⁾. والتي لا نعرث عليها إلا بعد انقضاء ستة عشر فصلاً من فصول الرواية الخمسة والعشرين، وهو ما يفوق نصف صفحات الرواية البالغة حوالي 216 صفحة إلى جانب إشارات طفيفة تتلجج الأحداث وهي كلها إشارات زمنية مهمة في تطور أحداث الرواية.

والرواية نشأت على فكرة التابع "الذي يمنح إحساسنا بالزمن شكلاً لا يختلف عن الشكل الذي يتميز به المشهد السردى أو المكان... فالرواية هي العمل الإبداعي الوحيد الذي يمكننا عن التسلسل الزمنية والتتابع من رؤية الحياة الإنسانية في وحدتها الكاملة من البداية حتى النهاية، والخيال، عادة يتوق لرؤية هذه الوحدة، على الأقل، رؤية صورة لها في الحدود التي تسمح به أداة التعبير وهي اللغة"⁽³⁾.

(1) تحليل الخطاب السردى، عبد العالي بشير (مرجع سابق)، ص 33.

(2) الإعصار والمنذنة، الرواية (مصدر سابق)، ص 140.

(3) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل (مرجع سابق)، ص 103.

وقد وردت المفارقات الزمنية في "الإعصار والمنزلة" والتي تمثلت في توقف الراوي عن التقدم نحو الأمام، عائداً إلى الوراء مدة من الزمن: "كان الإنجليز قد أقاموا يوماً معسكراً..."⁽¹⁾.

"سلمى من جهتها تذكر جيداً، كيف أنها في السنوات التي سبقت وفاة والدتها، كانت تخرج بين يوم وآخر إلى تل الذهب"⁽²⁾.

فهذا الاسترجاع الذي يبدو استرجاعاً منسقاً، بتعبير جنيت من حيث الزمن لم يلبث طويلاً حتى اتحد بالحكاية الرئيسية"⁽³⁾.

ويبدو هذا الاسترجاع لا يقتصر على الخروج من اتجاه زمني إلى آخر ولا باستعادة الماضي ولكن له أيضاً أثره في الربط بين الحدث الرئيسي: بداية الثورة فقد كشفت هذه الحوادث المستعادة عن جمال الموصل الطبيعي وهدوء أحوالها ...

3- الوقفة الزمنية:

يلجأ الكاتب إلى تقنية الوقفة الزمنية لأغراض عدة من أهمها: "كبح جماح الزمن في تدرجه الوصول باتجاه النهاية لإيجاد المزيد من التشويق"⁽⁴⁾. كقوله: "كان الإيوان يفضى إلى غرفتين معقودتين عن اليمين والشمال مفروشة أرضيتها بالمرمر ..."⁽⁵⁾، "انتصب القصر قائماً بغرفة الفارحة بصالاته المتداخلة، بمرافقة الأنيقة بمطبخه ..."⁽⁶⁾.

وقد استعمل "عماد الدين" هذه الوقفة في كثير من فصول الرواية، وتمثلت في اعتماده على الوصف ليعرف القارئ أكثر عبر عبوره للزمن على الأمكنة واعتقد أنه أجاد في توقف السرد مدة قصيرة ليستأنف بعدها بقية الحوادث.

(1) الإعصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 21.

(2) المصدر نفسه، ص 22.

(3) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل (مرجع سابق)، ص 113.

(4) المرجع نفسه، ص 114.

(5) الإعصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 46.

(6) المصدر نفسه، ص 54.

3- زمن الرواية وأثره على المكان:

"ما العلاقة بين الزمان والمكان؟ أهي علاقة انسجام وتضافر، أم هي علاقة تضافر وتنافر؟

يتساءل أحد المهتمين بنية الزمن في الرواية⁽¹⁾.

ويبدو أن المكان الروائي يختلف عن المكان في الفنون والآداب الأخرى ذلك لأن الرواة أداة التعبير فيها: اللغة المسترسلة، ففي رواية "الإعصار والمئذنة" نقع على وصفه المطول لعدد من الأمكنة، وهذا الوصف الشائق يتضمن التركيز على الأبنية وما تصف به من أحوال تدعوا إلى الإحساس بأنه حي قديم يوحى بالأصالة والعراقة.

"كانت غرفة الاستقبال المستطيلة التي اعتاد الجلوس فيها تطل على الشارع عبر نافذة تمتد على مدى جدار مقوس يمثل تقليدا معماريا أكثر حداثة..."⁽²⁾.

ويبدو أن السارد ربط المكان بالزمن وبالتاريخ، باعتباره متمسكا ومحبا للأمكنة القديمة والأحياء الشعبية والآثار المعمارية التي ما تزال تحتفظ ببعض ما كانت تتميز به من الفن الرفيع الناطق بالجمال البديع.

V فضاء الرواية:

يحتل المكان وهو مدينة الموصل باحتفاء كبير وصفا وغزلا وتاريخا، فقد تجدها مدينة محدودة بالنسبة لواقع الأحداث، حيث تطلعا الرواية على شوارع الموصل ومساجدها وآثارها التاريخية القديمة وأديرتها العريقة، وما زاد هذا الوصف جمالا هو الحس التشكيلي الذي يميز وصف الراوي لها، فقد ظهر هذا الوصف ساطعا يذوب حبا وعشقا بالموصل ومعالمها، فالقارئ يلامسه هذا الحس التشكيلي فيجد نفسه في جانب آخر من جوانب الإبداع الفني، وكأنه يخطو الخطوات ويتمتع بالمناظر الجميلة والعتيقة كقول السارد:

(1) أحمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، السنة 2004، ص 75.

(2) الإعصار والمئذنة، الرواية (مصدر سابق)، ص 10.

"بأفائها الظليلة، بنسائمها الرطبة، بطريقها المتلوية غير المرصوفة، بتكويناتها المعمارية المتقنة، بقماطرها المعقولة، بدورها التي تعد آية في قدرة البناء الموصل على اعتماد المرم الأزرق واللعب به والتفنن على واجهاته حيث الزخارف المتقنة، والنوافذ الصماء، والأعمدة الأسطوانية، والتشكيلات الجمالية التي تستهوي العيون وتستجيب لأشواقها... " (1).

وكان الكاتب يربط مدينة الموصل بمحلاتها وطرقها ومدنها مع مدن الإسلام العريقة التي لا تزال ترمز إلى تحدي الزمن كقرطبة، غرناطة، دمشق، حدائق بابل... وهو بهذا التمثيل يريد أن يرشد القارئ إلى عمق ارتباط المدينة بالإسلام وأن الثورة ضد الاستبداد أمر طبقي، وقد "تبدوا المساجد والبيوت التي يتحرك من خلالها الشعب المسام في الموصل عريضة ورحبة تتناسب مع رحابة الفكر الإسلامي وعطائه" (2). حتى أن أهالي مدينة الموصل كانوا يجوبون في نزهاتهم أماكن تشع بهاء وهدوءاً ويظهر ذلك في قول السارد.

"وكان أهالي المدينة، إذا ما خرجوا في أمسيات الربيع عبر نزهاتهم التقليدية يبحثون عن مكان مناسب... ما وجدوا مكاناً أبدع ولا أجمل من روبي ماركور كيس إنها في هذا الفصل تشع حضرة وجمالاً وتمنح بتنوع تركيبها وتعقيدها، متعة أكبر للمتزهين" (3).

على العكس من الأماكن التي يتجمع فيها الشيوعيون، حيث تتسم بالضيق والغموض والظلمة وهذا ما أشارت إليه الرواية: "هنا حيث يحلو للشيوعيين أن يطلقوا عليه شارع "موسكو"، كان يسكن عدد من أنصار الجمهورية أو أبناء الزعيم كما كانوا يسمون أنفسهم... وهنا أيضاً تمكن التنظيم من إحكام قبضته وسعى جاهداً لجعل

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 51.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلم محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 63.

(3) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 43.

الشارع بأزقته المتلوية كالأفاعي، ودوره الصغير المتراصة ككل حجرية لا تعرف النظام مقفلا للشيوخين وحدهم... " (1).

تأثيرات المكان في سير الأحداث:

يعتبر المكان ركنا مهما في السرد الروائي "فبغيره لا يستطيع الكاتب إقناعنا بأن ما قدمه من عوالم متخيلة ينوف على الأطواق والأكمام، والأردام... وللمكان فضلا عن وظيفته الهندسية، من حيث أنه يحدد الإطار ويرسم ملامح المشهد السردي وأبعاده، وظيفته الإيديولوجية، وظائف أخرى تتم عن تمسك الكاتب، والشخصيات بالهوية الذاتية أو الوطنية، لاسيما إذا كانت ملتبسة أو مهددة" (2).

وقد ورد المكان في "الإعصار والمنزلة" الشغل الشاغل للسرد الروائي، حيث تتفاقم عملية ارتباطه بالحدث والشخصيات متفاوتا ملحوظا بين التفاعل العضوي تارة والسرد الهادئ تارة أخرى، وقد أبدع الروائي في ذلك، حين مزج بين مجالات وخصائص الطبيعة، فتكونت صورة فنية بديعة كقول السارد: "لم تكن أشعة الشمس الأولى تطل بامكساراتها الذهبية على أطراف السماء الشرقية حتى كان "الشيخ عبد الرحمن" يجلس في الشرفة المطلة على الشارع العام، لا يكاد السياح الخارجي الواطي يفصله عن اللوحة، التي تمتد أمامه وتنتشر في المدى يشارك في تشكيلها وتلوينها الفجر والربيع وندى الصباح الذي يتلامع رؤوس الحشائش كالدردر واللؤلؤ... روح قادمة من مكان ما" (3).

ويبدو أن الكاتب عمد إلى اختيار دار "عبد الرحمن للشيخ داوود" كصورة ومكان تصوير في الوقت نفسه، باعتبار أن هذه الدار قد أخذت نصيبا كبيرا من الأحداث الروائية.

(1) الإعصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 114.

(2) إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، السنة 2010، ص 166.

(3) الإعصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 112-113.

وكان الراوي يضع نفسه في دور شخصية "عبد الرحمن" حيث نلمس ذلك في قوله: "وعبد الرحمن اختار هذا الموقع المكشوف لبناء داره منذ أكثر من عشر سنوات لأنه يعشق الأرض، يجبها إلى آخر خلية من دمه وهو يراها بملئ عينيه ووجدانه"⁽¹⁾.

فكان المكان وجماله حافظاً أساسياً في تشبث "عبد الرحمن" وابنته "سلمى" بالوطن ومجاهدة الشيوعيين بأقصى ما يمكنهما من أشكال المقاومة والتحدي حيث أن للمكان علاقته بالشخوص، وبما لها من طباع مركوزة في النفوس، وأبعاد قد تكون عميقة دفينة في اللاوعي، وله أيضاً علاقته بالفكرة التي يحاول الكاتب بثها، سواء من خلال الشخصيات، أو السارد الراوي ودوره"⁽²⁾.

وقد كانت إشارة الشارد إلى جانب توظيف الطبيعة "ويفضل ثقافة عماد الدين خليل" الراقية جعلته ثالث من ألمس عنده الثقافة مشاركة الطبيعية للمواطنين الأبرياء، في حربهم ورفضهم للدخيل الأجنبي وذلك بعد "الشيخ البشير الإبراهيمي" والشاعر الإسلامي "حسن المراني".

"الأول أثناء حديثه عن هجوم الاستعمار الفرنسي على ولاية قسنطينة الجزائرية في "8 ماي 1947" حيث يقول:

"خلعت الشمس طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج الشهر عن طاعة الربيع فلا تمر ولا نور"⁽³⁾.

والشيخ "البشير الإبراهيمي" هنا قد أشرك الطبيعة في الأحداث التي جرت بالشمال القسنطيني فيرى في تلك الأحداث التي انقهر بها شعب محروم، قد شاركها الشمس في أنها خلعت أشعتها حزناً على ما يجري للشعب الجزائري، وكذا الربيع المزهر قد تحول إلى فصل كأنه يلبس الحداد على أرواح الشهداء والأبرياء أما الشاعر "المراني" في بداية قصيدته "كتاب الخروج" يتحدث بلسان فلطين في بيروت:

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 113.

(2) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل (مرجع سابق)، ص 166.

(3) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 199.

خيمة تستقبل البارود
 ليل بارد كقلوبهم
 أنجم ترشد كاشفة إلى أبراجها
 أشجار توت
 تدوي

فمن كثرة حزن الطبيعة على الفلسطينيين، قدمت الأنجم استقلالها وعادت إلى أبراجها الأولى، وذبلت أشجار التوت، وتحولت خضرتها إلى سواد يعلن بكاءه عن المشردين⁽¹⁾.

ويبدو أن إشراك الطبيعة في الأحداث وصراعها كان له هدف تبليغ المعاناة التي ألمت بأهل الموصل وأن هذه الطبيعة لم تستسلم ورودها من بطش العساكر وبشاراتهم، وبالتالي فقد رفضت أي استبداد وأي حكم تعسفي واختارت لنفسها الحزن والحداد كي يعرف من يراها أنها في صف الإسلاميين وضد الشيوعيين.

VI- الحدث السردى:

1- حبكة الرواية:

يبدو أن الرواية بصفة عامة، منذ ظهورها قد لاقت الكثير من الإصلاحات والتعديلات من طرف عدد كبير من المفكرين والأدباء والروائيين، ويعد "هنري جيمس" James (1843-1916) أول المنظرين لفن الرواية، وذلك في كتابه "فن القصة"، وهو أول كتاب بهذا العنوان في الأدب الإنجليزي⁽²⁾. مركزا في هذا الكتاب على حقيقة تبنى عليها الرواية وهي أن "الحوادث في الرواية ينبغي أن تكون متخيلة، فإن لم تكن كذلك فهي ليست رواية، وهذا التخيل يقوم على مفارقة عجيبة، ففي الوقت الذي يؤكد فيه

(1) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي (مرجع سابق)، ص 200.

(2) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، (مرجع سابق)، ص 37.

الكاتب أن ما في رواية خيال محض، يحرص حرصا شديدا على إيهام قرائه بأن ما يقرؤونه ليس خيالا بل هو واقع حقيقي" (1).

وقد أكد "هنري جمس" في أن جمالية الرواية "إنما يكون في النسيج النفسي ولحياة الأشخاص، ونجاح أي رواية أو إخفاقها رهن في المقام الأول، وبالدرجة الأولى للرواية التي ينظر منها الكاتب للحوادث والشخوص والمن والمكان، فهو أي الكاتب كالفنان الذي يتحكم المنظور بالشكل النهائي للوحة" (2).

أما "فورستر" (1879-1970) ففي رأيه أنه يتوقف نجاح الرواية على جودة الحكاية، وإلى ذلك برزت شهرة الكاتب الإنجليزي "والتر سكوت" سنة (1771-1832) فقد كانت لديه قدرة غريزية على جعل القارئ في حالة تشوق دائم وتلهف، وهو يتلاعب بحب استطلاع" (3).

ويعرف "فورستر" الحكمة كتعريفه للحكاية التي هي: "مجموعة من الحوادث مرتبة ترتيبا زمنيا، في حين أن الحكمة مجموعة من الحوادث يقع التأكيد فيها على الأسباب والنتائج لا على الترتيب الزمني" (4).

ومن هنا "كان الوقوف على حبكة الرواية من لدن القارئ رهنا بما لديه من الذكاء والذاكرة" (5).

ولعل أول حادثة تبادرنا في رواية "الإعصار والمثمنة" هي: مرت سيارة جيب عسكرية باتجاه المعسكر، وتبعها أخرى... وقال عاصم، وهو لا يزال مستمرا محدثا نفسه، ماذا لو أوقع الزعيم بالعدول عن تفجير قبلته المشؤومة وإرسال "أنصار السلام" إلى الموصل لاستفزاز أهاليها" (6).

(1) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، (مرجع سابق)، ص 39.

(2) المرجع نفسه، ص 39.

(3) المرجع نفسه، ص 40.

(4) المرجع نفسه، ص 44.

(5) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة الكويت، ط1، السنة 1998، ص 100.

(6) الإعصار والمثمنة، الرواية (مصدر سابق)، ص 12.

في هذه الأسطر يتوقع عاصم حدوث أمر غير عادي، سوف يكون هذا الأمر سببا في تعكير حياته، واتساع الفراغ بينه وبين خطيبته إلى درجة الفراق ... وهو أيضا بداية في سير الأحداث التي سوف تؤثر على أغلب شخصيات الرواية واعتقد أنها بداية جيدة، لأن القارئ يحس توا بالاستجابة لشحنات التوتر والإثارة المقترنة بهذا الحدث، كما استشرنا فعلا خطورة الوضع ورحنا نترقب ما سيعقبه، ثم إن هذه البداية تقدم لنا كذلك فرصة جيدة لاكتشاف الكيفية التي تبقى عليها الأعمال الروائية، والكيفية الفنية لاستثمار اهتماماتنا وتوقعاتنا شأن مسار الأحداث الروائية المتتابعة والكيفية التي تمارس بها الحبكة فاعليتها، وأهم من ذلك أن ندرك الكيفية التي يتم بها اقتيادنا إلى إدراك المغزى الكامن من وراء التجارب المقدمة خلال الرواية.

وقد ذهب بيرس لوبوك (1965-1979) الذي "أوضح في كتابه "صناعة الرواية" والذي ألفه سنة 1921، قواعد في الرواية ومن ذلك إشارته إلى الحبكة المزدوجة في الرواية الواحدة"⁽¹⁾.

وهذا ما نلمسه في "رواية الإحصار والمؤنزة"، إذ نجد في الواقع حكايتين لا واحدة إحداهما تتعلق بحكاية حب بين خطبين والصراع النفسي الذي يعاينه كل منهما بين حلاوة اللقاء ومرارة الفراق، والأخرى تتعلق بالثورة والصراع بين طرفين متناقضين وقد بدت الحكايتان متوازيتان منذ البداية إلى غاية النهاية.

كما أشار "لوبوك" كذلك لضرورة أن "يجتفي كاتب الرواية، وأن يتوارى خلف الشخص" ⁽²⁾، ففي "الإحصار والمؤنزة" نجد أشخاص الرواية في كثير من الحالات هم الذين معنا وحوّلنا ونجد الراوي عادة لا يتحدث بصوته وإنما يتحدث بصوت شخصياته. وبهذا فقد جاءت الرواية بحبكة متفننة ومتقنة بدقة بالغة، فالبداية مرسومة بشكل شعري مناسب لكن الأحداث ما تلبث أن تتزاحم والأزمات تميل إلى التكاثر والتعقيد،

(1) بيرس لوبوك، صناعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، مجدلاوي للنشر، عمان، ط2، السنة 2000، ص 41.

(2) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، (مرجع سابق)، ص 46.

ويشتد شوق القارئ ليعرف النهاية وبلوغ الذروة التي تلوح في أفقها الختامي ولا يلتقيها إلا بعد أن يكون قد بلغ حداً أقصى من التوتر والانفعال والترقب.

2- الراوي:

عندما يستقبل القارئ رواية ما "يجد نفسه أمام ثلاثة أشخاص هم: المؤلف والشارد أو الراوي والقارئ"⁽¹⁾.

وقد يعرف الراوي على أنه "الشخص الذي يسرد الحكاية، وهو من اختراع المؤلف وتصويراته الخاصة، وهو أي المؤلف هو الذي يختار له موقفاً يقربه من الحوادث والشخص، والعناصر الأخرى المتداخلة في الحكاية كالزمان والمكان"⁽²⁾.

ويحاول الراوي بكل جهده الفكري اختراع الأشخاص المناسبين للزمان والمكان المقررين في الرواية إلى جانب معرفتهم بالبيئة والأنماط والعادات والتقاليد السائدة بين ذلك المجتمع الرواية، وهذا ما اعتمده "عماد الدين خليل" فقد كان يعيش تلك الأحداث ويحاول ببراعة أن يشرك القارئ فيها.

وقد قسم المفكرون والنقاد الراوي إلى أنواع هي⁽³⁾:

* الراوي المشارك.

* الراوي العليم.

* الراوي العليم المشارك.

* الراوي العليم المحايد.

* الراوي العليم المنقح.

(1) في نظرية الرواية، عبد المالك مرتاض، (مرجع سابق)، ص 238.

(2) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل (مرجع سابق)، ص 77.

(3) المرجع نفسه، ص 78.

أ- الراوي المشارك:

لعل ميزة هذا النوع من الرواة "قربه من الحوادث التي يرويها كونه أحد الأشخاص الذين جرت وقائعها لهم، واكتووا بناورها في الحكاية"⁽¹⁾.

وبذلك فهو سارد يسهم في مجريات الأحداث.

"وهذا النوع من الرواة ينشئ علاقة مباشرة بالقارئ في غياب المؤلف، فينتفي الوسط ويغدو القارئ على التماس بإحدى شخصيات القصة، أي أن المسافة بين القارئ والقصة تتراجع إلى أدنى درجة ممكنة"⁽²⁾.

ففي "الإحصار والمئذنة" نجد أن "عماد الدين خليل" لم يتقمص أي شخصية، وإنما اعتمد السرد عن طريق علمه بأحوال شخصياته.

ب- الراوي العليم:

"هو الراوي الذي يمتلك القدرة غير المحدودة على الوقوف على الأبعاد الداخلية والخارجية للأشخاص فيكشف لنا عن العوالم السردية للأبطال دون أن تقف في طريقه سقوف أو حواجز"⁽³⁾. وينقسم إلى نوعين⁽⁴⁾:

1- الراوي العليم المحايد:

مهمته تقتصر على رصد الحوادث والأشخاص والمكان، وتتبع ما يجري، مثله في ذلك مثل المصور الفوتوغرافي الذي يأخذ زاوية ما ويصور ما يجري أمامه.

2- الراوي العليم المنقح:

وهو الراوي الذي يحاول التحقق من صحة ما يرويها والتأكد من أهداف الشخص.

(1) صنعة الرواية، لوبوك بيرس (مرجع سابق)، ص 60.

(2) جرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد المعتصم والأخرون، دار الاختلاف الجزائر، ط3، (د.ت)، ص 183.

(3) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل (مرجع سابق)، ص 81.

(4) المرجع نفسه، ص 82-83.

3- الراوي العليم المشارك:

وقد يصدق أن يكون الراوي عليماً كل العلم من داخل الرواية ومن خارجها في الوقت نفسه مشاركاً وغير مشارك.

ولعلي وجدت أن هذا النوع ينطبق على "عماد الدين خليل" لأن القارئ كأنه يرى الراوي من خلال الشخصيات الإسلامية خاصة شخصية: "الشيخ عبد الرحمن" وشخصية "هاشم عبد السلام".

وقد نجد هذا واضحاً في الاقتباس الأتي: "مرت ثلاث سيارات عسكرية كبيرة محدثة صوتاً مرعباً، وثمة موجة خاطفة من الانقلاب سيطرت على وجه "عبد الرحمن" ففقد الأريحية والرضا، قال وهو يركز عينيه في الأرض:

- هذه الليلة بالذات أشعر أكثر بالحاجة إليك ... بالحاجة إلى كل معارفي وأصدقائي ... لقد أصبحت الوحدة تفرعني، وموجات الاكتئاب تكاد تطبق علي بين لحظة وأخرى أتمنى أن أندمج بالناس لكي أحس بالأمن ..."⁽¹⁾. فالراوي يسرد لنا ما يحدث في الوقت الذي يتحدث فيه البطل عن نفسه مفسراً بعض ما يجول في أعماق الشخصية السردية.

1- المستوى السردية:

في حوار أذيع منذ مدة طويلة مع عمدة الأدب العربي: طه حسين، قال فيه: "إن الكاتب القصصي، والروائي، هما أكثر أدباء هذا العصر تمثيلاً لحياة اللغة العربية وتطورها، فلفة العصر لا تتجلى في شيء منطوق، أو مكتوب مثلما تتجلى في الرواية والقصة"⁽²⁾.

ويبدو أن الرأي يتوافق مع مسيرة الرواية، حيث إننا إذا نظرنا إلى الروايات العربية ابتداءً من "زينب" لحسين "هيكل" التي صدرت الطبعة الأولى منها سنة 1913 وقبل 1914، حتى أحدث الروايات يكشف لنا أن الرواية ظلت تتعد شيئاً فشيئاً عن اللغة

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية (مصدر سابق)، ص 15.

(2) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، (مرجع سابق)، ص 239.

التقليدية، فالروائي الإسلامي المعاصر يحاول بسط اللغة كي تلائم روح العصر. ولعل استخدام اللغة الحديثة البعيدة عن التعقيد يساهم في تحليل الشخص و رسم ملامح الوجوه، وإبراز السجايا والطباع، كما يساعد على تقريب مادة السرد المحكي من الواقع "على أن الرواية في نهاية المطاف، ما هي إلا محاكاة، من حيث إن الشخصيات، والحوادث، وجل ما يجري الكلام عليه في الرواية إنما هو صورة لذلك العالم الذي تعيش فيه، ونتحرك، بما يميزه من حوادث وشخص و أشخاص وأمكنة وزمان"⁽¹⁾. وهذا ما اعتمد عليه "عماد الدين خليل" في روايته مستعملا في ذلك لغة في أسلوب واضح منسجم مع طبيعة الأحداث حيث نجد الكاتب في أغلب فصول الرواية منشغلا بالجوار والجدل حول قضايا سياسية وفكرية عديدة.

وغاية في هذا كله هو الدفاع عن الوطن والذين بصفة عامة مع إبراز المفاهيم الدينية المشيئة من خلال شخصياته ومعالم مدينته: "ومن يتأمل قائمة عماد الدين خليل" الأدبية يجدها تدور ف سياق الدفاع عن الدين بالتحليل، وهو ما يعمد للكاتب ويشكر عليه، وبخاصة أن توجهه ذلك سبب لصاحبه الكثير من المتاعب والصعاب في زمن مثل زماننا العجيب"⁽²⁾.

والمعروف عن الروائي أنه شاعر أكثر منه كاتب، ومعه ذلك نجد أسلوب الرواية "يجنح إلى الإسهاب والاستطراد والتحليل الذهني مما يخرج السياق الروائي عن طبيعته ويحول السرد إلى لغة تقريرية"⁽³⁾.

وبهذا يمكن الاستنتاج أن السرد في رواية "الإعصار والمئذنة" يقوم على معجم عقلاي أكثر منه معجما فنيا، وقد برز ذلك مع بعض الصيغ التي يؤثرها الكاتب والتي تأتي على وزن "التفعل" مثل: "التحسد، التشكل، التعسف، التوحد، التخلق، التحقق، التميز، التمحض ...

(1) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، (مرجع سابق)، ص 240.

(2) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود (مرجع سابق)، ص 68.

(3) المرجع نفسه، ص 69.

ويتعلق بأمر اللغة استخدام بعض المصطلحات السائدة في اللهجة العراقية دون تحدد معناها، وكأن العفوية الإبداعية هي التي تتحكم في السارد، وليس هو الذي يتحكم فيها ومثال على ذلك: "رشبول السيارة"⁽¹⁾. "الكونكريت المسلح"⁽²⁾، "البويمة السوداء"⁽³⁾.

2- المستوى الحوارى:

ويبقى من ميزات النسيج الروائى فى رواية "الإحصار والمثذنة" استخدام "المونولوج" أو الحوار الداخلى بكفاءة عالية، وهذا ما حقق للرواية أيضا أداءا جيدا. فمعظم شخصيات الرواية استخدمت الحوار الداخلى الذى يتداخل مع تيار الوعى، وتعاملت معه لتضئ أفكارها وتجلي أمالها وتعبر عن أشجانها"⁽⁴⁾.

وقد كشفت لنا شخصية "عاصم الدباغ" عن أفكاره بعد أن قابل زميله القديم "يونس سعيد: وتأثير الأحداث الجارية على حياته وعلى ممتلكاته وحتى مستقبله ... "لقد استيقظ صباح اليوم يهيمن عليه إحساس مرير فإن "سلمى" قد تفلت منه، وأنه ربما سيخسرهما ... ولكن هذا الإحساس بالفقدان تضاعف الآن ...

إن ثمة قوى جديدة تتدخل هذه اللحظات ... قدر غامض يتهدد بضياى كل شيء و"سلمى" تعنى له كل شيء ... فإذا ضاعت؟ وأحس أنه يضغط أكثر فأكثر ودون وعى منه البرين ... إنه إذا صح ما قيل على وجود حركة أو ثورة ستنفجر عما قريب بمواجهة الزعيم وأنصاره من الشيوعيين فإنه يتمنى من أعماق قلبه أن تنتصر هذه الثورة فبدون ذلك سيفقد سلمى إلى الأبد.

ولم يخطر على باله البتة المصير الذى ينتظر ثورته كلها، المعمل والبيت، الأسهم، والسيارة، لأن بعدما سمعه من صديقه حيث قطعت الأحداث كل الروابط القديمة لا

(1) الإحصار والمثذنة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 58-66-70 (على الترتيب).

(2) المصدر نفسه، ص 58-66-70.

(3) المصدر نفسه، ص 58-66-70.

(4) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمى محمد القاعود، (مرجع سابق)، ص 70.

يفكر سوى بشيء واحد أن يحتفظ بخطيبته، وأن يأوي إليها في عالم يبدو أنه لم يعد
يحتمل ثبات الأشياء والقيم والموجودات في أماكنها .." (1).

ويمثل الحوار ف بناء الأحداث عضوا مهما يساهم في إنجاح العمل الإبداعي ولعل
قيمه تكمن في إثراء السرد بالحيوية والكشف عن أعماق الشخصيات وسلوكها مستعينا
بلغة الحوار القادرة على النهوض بمهمة التوصيل والتواصل التلقائي " حيث تكون مهمة
الكلمات أن تنهض إلى حد كبير، بدور أداة نقل التجارب والأفكار إلى القارئ خلال
العالم القصصي، وإذا كانت مهمة الله في الرواية توصله إلى حد بعيد فإننا لا نحتاج إلى
البحث عن الإيقاعات وأنماط الكلمات وتفاعلاتها، وطرائق التعبير التي تنبئ من
خلالها، إننا نتعامل مع الكلمات والعبارات من منظور الدور أو الوظيفة التي تؤديها، إنها
تكشف عما في ذهن الشخصية من أقوال أو معلومات تتعلق بما يجري بالفعل في عالم
الرواية" (2).

وبهذا تعمل لغة الحوار على فعل المعلومات والمواقف التي يجهلها القارئ، بل إنها
تبرز القيم وحتى الانفعالات المتعلقة بالشخصيات الأساسية خاصة.
وقد وردت لغة الحوار في "الإحصار والمنزلة" لغة توصيلية، كما يساهم الحوار في
إضاءة الأحداث وتحديد أبعادها وهو في مجمله حوار موجز مركز، ومثال ذلك الحوار
الذي دار بين "هاشم عبد السلام" و "حنا جرجس"، والذي كشف للقارئ حقيقة
أنصار السلام.

"نفض "حنا" واقفا لدى مشاهدته "هاشم عبد السلام" وقال بجرارة مصطنعة:

- أملا بالصديق الغائب، لشد ما كنت أتوق للقاء كهذا.

أجاب هاشم باقتضاب:

- فرصة طيبة.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 69-70.

(2) روجرب هنكل، قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، ترجمة صلاح رزق، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)،

السنة 2005، ص 229.

- منذ متى ونحن لم نلتق؟
- تساءل حنا وهو يبتسم ...
- أجاب هاشم:
- ليس بأقل من سنتين على ما أظن ...".
- "أجاب هاشم بصراحتة المعهودة:
- لن أكون بخير ومدينتي تتلوى تحت وطأة غزو سيسخر له الزعيم حشودا من أذعياء السلام"⁽¹⁾.
- "انكمش حنا بعض الشيء، وبذل جهدا مزدوجا لاستعادة بشاشته، وتغيير الموضوع للابتعاد عن نقطة الجاهمة ..."⁽²⁾.
- أجاب هاشم وهو يفرش ابتسامة ساخرة على مدى وجهه:
- سيذهبان يوم غد إلى بغداد مع وفد الحركة، للتنسيق بصدد غزو المدينة قاطعة "حنا" بشيء من العصبية:
- ولم تسميه غزوا؟
- قال هاشم بهدوء:
- لأن صحفكم أطلقت عليه هذه التسمية ..."⁽³⁾.
- قال هاشم:
- إنك واحد من الذين يسعون إلى تسخير الكمائس في الموصل لخدمة الموجة الجديدة بحجة الوهم ..."⁽⁴⁾.
- وهكذا استطاع الراوي أن يعالج موضوعه هذا بين مركبة وبعبارات مؤلفة، ونسق من الكلمات، احتفظت بفاعليتها الخاصة، فضلا عن كون الراوي أبدع صورة

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 34-35.

(2) المصدر نفسه، ص 35.

(3) المصدر نفسه، ص 38.

(4) المصدر نفسه، ص 40.

تحمل دلالات وتداعيات أقحمت القارئ في أحداثها، فقدم لنا العمل شيئاً كبيراً عن طبيعة المجتمع الموصلية.

وقد توضحت لنا هذه الطبيعة أكثر من خلال الخطاب المسرود الذي بدأ واضحاً في ارتباط السارد مع الشخصيات ومع أحداث الرواية: "وهي تبدو لنا في هذه الأفعال ذات الصلة المباشرة بصورة الراوي / الشاهد النفسي.

وإلى جانب هذا نجد صيغة المعروض (المونولوج الذاتي المباشر) بما فيه من توتر وتوجس وتوقع إلى جانب التذكر (تذكر زميله عاصم في الثانوية).

ففي هذا الخطاب ينتقل الراوي / الشاهد إلى السرد الذي ينقل آراء الناس عن وضعية الاضطراب الذي يموج به الموصل⁽¹⁾.

وبهذا أعتقد أن "عماد الدين خليل" قد حقق في إبداعه الروائي وعياً حضارياً باعتبار هذه الرواية تقدم التاريخ القريب للأجيال الجديدة التي تعرضت لعمليات تضليل وتعتيم حجبت عنها جهاد الرجال وتضحية النساء من أجل الدين والحرية والأوطان... وقد انبثقت من الرواية قيمة ليست بالهينة، يكفي أنها فتحت مجالاً للبحث في الموضوع الروائي الإسلامي.

VII. الواقع الاجتماعي من خلال الرواية:

لقد أبدع الروائي في تصويره بحكم انتمائه إلى مدينة الموصل، فوصف حياة الأسرة الموصلية في المسكن بما فيه من فلسفة هندسة العمارة، كوصف دار "عبد الرحمن" والتي مثلت نموذجاً للبيوت الموصلية في قوله:

"كانت غرفة الاستقبال المستطيلة التي اعتاد الجلوس فيها تطل على الشارع عبر نافذة تمتد على مدى جدار مقوس يمثل تقليداً معمارياً أكثر حداثة للعدد من دور المدينة، يقابلها باتجاه الداخل باب ذو زجاج مشجر يفضي إلى الصالة لكنه يحجب العين مما

(1) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن السرد التنبؤي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، السنة 1997، ص 209.

يجري في المكانين، وعلى مدى الجدارين الطويلين يمتد ديوانان محشوان، تقطعهما على مسافات محددة مساحات مسطحة من خشب الصاج ...⁽¹⁾.

وقوله أيضا في وصف "هاشم عبد السلام" "كان الدار رغم فقره الواضح يتضمن الكثير من الوحدات المعمارية للبيت الموصل القديم، الذي غدا جزءا أصيلا من تراث مدينة يمتد عمرها مئات السنين، الإيوان العالي، والقوس المدب، اللوحة الجبسية التقليدية التي تتصدر بآية كريمة ... الوحدات الزخرفية ... غرفتين معقودتين ... مفروشة أرضيتهما بالمرمر ومصفوفة على جدرانها الدواليب الخشبية ..."⁽²⁾.

كما وصف بعض الأطباق التي تحلو لأهل الموصل كقول "عبد الرحمن" وهو يخاطب ابنته "سلمى": "قربي طبق الدولة من عاصم"⁽³⁾. وقوله: "أجاب عبد الرحمن وهو يقطع بالسكين كبة أخرى"⁽⁴⁾. وقوله: "حزمة من الصمون الأسمر" وكذا "إن الصمون لذيد إنه مليء بالنخالة"⁽⁵⁾. وفي قول زوجة حنا جرجس بعد خروج زوجها من السجن "لقد أعددت لك اليوم وجبتك المفضلة، حامض الكبة"⁽⁶⁾.

وبهذا يكون الروائي قد أجرى مفارقة ومقارنة بين بعض الأطباق فذكر أطباقا شهية فاخرة مثل "الدولة" والكبة، وحامض الكبة وأخرى خاصة بالمعوزين والسجناء مثل "الصمون".

ولم يقف الكاتب عند هذا الحد فحسب في إبراز الواقع الاجتماعي، بل راح يذكر العادات، والتقاليد التي تميز المدينة، فالرجل للشارع والمرأة للبيت، وحياء الفتاة وجودتها في الطهي وتمسكها بدينها أمر تحرص عليه العائلة: "هيا يا عاصم فإن الأكلات

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 10

(2) المصدر نفسه، ص 46.

(3) المصدر نفسه، ص 17.

(4) المصدر نفسه، ص 127.

(5) المصدر نفسه، ص 128.

(6) المصدر نفسه، ص 161.

التي تقدمها سلمى لا تفوت، لقد تعلمت من أمها كيف تطبخ أذ ما عرفت به الموصل...⁽¹⁾.

ويقول السارد في وصف "سلمى": "فغمرتها موجة من الخجل زادت وجهها تألقاً"⁽²⁾.

ويضيف مبرزا تسلح الفتاة الموصلية بسلاح الإيمان والتقوى: "تنتمي لسلالة عريقة من النسوة اللواتي قارعني بكلمات الله مكائد الشيطان، وجاهن بسلاح الإيمان أصالين الكفر، والتفكك والرذيلة، وها هي ذي الفرصة قد حانت لكي تحصل على هويتها، وتنطلق في الطريق الطويل إلى غايته..."⁽³⁾.

وكأن الرواة بهذه الأوصاف وهذه المزايا تحاول أن تحرك القارئ لتجعله يتوقف أحيانا يتأمل إبداع الكاتب أو تستغرقه أحلام اليقظة التي تستشيرها شخوص الرواية أو أحداثها: "وقد تتداخل لديه خيوط ما يقرأ مندجاً مع خيوط ما تحتزنه الذاكرة وتستدعيه، إن قراءة رواية عملية تستشير خيال القارئ حتى يخلق بعيداً... في حين أن مشاهدة مسرحية تمثل على المسرح أمر لا يحتاج في العادة من المفترج سوى تركيز الانتباه"⁽⁴⁾. وهكذا استطاع الروائي أن يقابل عالمه بالأعمال وأن يترك هذه الأعمال تتكلم كما استطاع أن يمنح الحياة لأشخاص فأسقط عليهم أحداثاً سياسية حددت ردود أفعال كانت نتائجها مختومة طبقاً لنماذج طباعهم.

(1) الإحصار والمنزلة، الرواية، (مصدر سابق)، ص 16.

(2) المصدر نفسه، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص 79.

(4) قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، صلاح رزق (مرجع سابق)، ص 81.

خاتمة

وفي خاتمة هذا العمل المتواضع أقول: إن بين النية في مجال البحث العلمي والنتيجة مسافة يصعب تقديرها ابتداء رغم ما يقتضيه الأمر من تخطيط وتنظيم وتنفيذ وتقويم. وليس يخفى أن جوانب من هذا الأمر لا تتحقق إلا عبر الممارسة الفعلية في إطار صيرورة نسقية تتقاطع فيها وتتداخل معطيات حاضرة لحظة النية وأخرى غائبة لا تحضر إلا عند مباشرة الدراسة.

كذلك كان أمر البحث الذي تختلف بعض منطلقاته عن بعض غاياته، ذلك أن النية كانت متجهة إلى دراسة الوعي الحضاري في الرواية الإسلامية المعاصرة بصفة عامة، غير أن شساعة الموضوع وتعدد الروايات، قد حال دون ذلك، فكان أن تم الاقتصار بعد استشارة الأستاذ المشرف - حفظه الله - على رواية: " الإحصار والمثمنة " لمؤلفها: عماد الدين خليل، علما أن هذه الرواية تعد سجلا تاريخيا لفترة من تاريخ العراق.

وقد تبين من خلال قراءة الرواية عدة مرات وقراءة بعض الروايات الإسلامية وعدد من الدراسات وكذا الاطلاع عن بعض الآراء والبحوث المتعلقة بالأدب الإسلامي عامة والرواية منه بخاصة:

أن الوعي الحضاري موجود في الرواية الإسلامية ووجوده يوسع من عملية الإبداع، ولعل أهم الاستنتاجات التي نراها تصب في هذا الموضوع هي:

أولاً: إن للرواية الإسلامية مكانة واسعة في النفوس والقلوب ذلك لأنها تعبر عن التصور الشامل للإسلام من حيث فهم الواقع واستناده إلى جوانب عقديّة وفكرية وسلوكية، والروائي الإسلامي يحاول أن يستمد إنتاجه من هذا الواقع من المعاناة التي يعيشها المسلم متسلحا بوعي وحس إسلاميين، ولعلنا بهذا ندرك أنه لا يرسم طريقه ولا يحدد صورته وشكله استجابة لتصورات غريبة، ولا يخضع لضغوط المدارس والمذاهب النقدية، بل إنه يهتدي بالإسلام وبصيرته فيؤسس رواية متميزة لا يبدعها إلا ذو حس موهوب ويتذوقها إلا ذو إحساس طاهر.

ثانياً: لن تتمكن الرواية من أن تصل إلى مكانة الإسلامية ما لم تتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإذا تحقق التصور الإسلامي في الرواية صار من القول أن هذه الرواية إسلامية.

ثالثاً: وقد اتضح من البحث أن الرواية الإسلامية نموذج المثقفين الواعين الذين يرتقون بفكرهم وفنهم والتزامهم الإنساني إلى أسمى معاني الأدب الملتزم، ويجارون بإيمانهم وعقيدتهم كل فساد أخلاقي أو اجتماعي أو اقتصادي أو حتى ثقافي.

وبقدر ما في الرواية الإسلامية من وعي، فإنها غنية بالتفاؤل ومعاني الحق والخير والجمال، يتجلى كل هذا في حرصها على بناء أمتها وفق أسس متينة تبنى على الدين الإسلامي وعلى الفكرة الراقية.

رابعاً: الرواية الإسلامية حاضرة وحضورها الدائم ينفي عنها زمن الصعاب، وهي تستمد القدرة على إنشاء بلاغة قائمة تشبعت بالإعجاز القرآني الذي يجعل مثل الكلمة الطيبة كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

فالثبات الإيماني والترعة الإنسانية الإسلامية يمنحان السكينة والحضور وتحقيق النجاح.

خامساً: بالرغم من الظروف الحضارية العائقة عن النهضة لم تستسلم الرواية الإسلامية للاهزام والتراجع، وذلك راجع إلى وجود روائيين جادين مثقفين والأكثر من ذلك أنهم متمسكون بالدين الإسلامي مؤمنين بأنه لا خوف عليه ولا هم يحزنون.

سادساً: إبراز أهم خصائص الرواية الإسلامية التي تميزها عن الرواية الغربية في كونها تبحث عن الحقيقة وتنشر الخير وتقضي على الشر.

سابعاً: غياب الرسالة الحضارية في الرواية الغربية، وكيف أن حضارة الغرب ما هي إلا حضارة شوهاء تعيش صراعات ما تفتأ أن تنهار يوماً، وتقف أمامها حضارة الإسلام ذات الأسس المتينة.

ثامنا: جاءت رواية الإحصار والمثمنة كسجل تاريخي بين الصراع الحقيقي والمنعطف الحاسم الذي عرفه المجتمع العربي ككل وذاق مرارة أحزانه المجتمع العراقي وخاصة أهالي الموصل في فترة تاريخية بينت حقيقة النظام الشيوعي المستبد وكفاح المسلمين وصمودهم ودفاعهم حتى الموت.

تاسعا: المرأة في الرواية الإسلامية مكرمة، كما كرمها الإسلام، تعيش وفق المبادئ والعقيدة الإسلامية، محافظة على عاداتها وتقاليدها واقفة جنبا إلى جنب مع الرجل في إعلاء كلمة الحق ورفع راية الإسلام.

عاشرا: لقد ضربت الرواية الإسلامية الأمثلة الكبيرة والكثيرة في ميدان الحرص والعمل المتواصل من خلال العمل الروائي، فما قدمه الروائيون الإسلاميون من إبداعات روائية تميزت في أكثرها بالصدق، والتمكن في الأسلوب لتحقيق ثمرات كدهم بعد تزودهم بالحجج والبراهين.

إحدى عشر: الرواية الإسلامية عاجلت موضوعات عديدة، وهامة تمس الأمة ومجتمعاتها، وأنها اقتحمت في ذلك طريقا فنيا فحققت تزاوجا بين الشكل والمضمون.

ختاما يمكن القول أن هذه الدراسة لا تطمح في أكثر من أن تضيف لبنة متواضعة - أخرى - ضمن الدراسات التي حاولت تفسير الرواية الإسلامية ونشر خصائصها وإبراز أهدافها.

وبإمكان من يريد مواصلة اقتحام هذا الميدان أن يضاعف الجهد في دراسة ما لم يدرس وأن يغير من زاوية النظر إلى المبحوث لعله يرى ما لم يتيسر لي رؤيته، وأن يسهم في إثراء البحث العلمي على أسس أقوم وأنسب.

وحسي أي نويت، وعزمت، وتوكلت، ثم بذلت من جهدي ما استطعت، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿٨٨﴾ هود الآية 88. والحمد لله التي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

I / قائمة المصادر:

1. جهاد الرجبي، رواية لن أموت سدى، دار النشر، عمان، ط1 ، سنة 1994.
2. حمزة محمود بوقري، رواية: سفينة الصفا، دار الرفاعي للنشر، الرياض، السعودية، ط1، سنة 1983.
3. سلام أحمد إدريس، رواية العائدة، دار النشر، عمان، ط1، سنة 1995.
4. عبد الرزاق حسين، رواية: الرجل الظل. دار ابن عمار للنشر، ط1 سنة 1988.
5. عماد الدين خليل، رواية: الإحصار والمثمنة، دار ابن كثير، ط1 سنة 2010.
6. نجيب الكيالاني، رواية: مملكة البلعوطي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، سنة 1994.

II / قائمة المراجع:

7. إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، سنة 2010.
8. إبراهيم عوضين، مدخل إسلامي في دراسة الأدب العربي المعاصر، مطبعة السعادة، مصر، سنة 1990.
9. أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن وذوره، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت (د ت).
10. أبو الفتوح ابن أحمد رجب الخليلي، نور الاقتباس في وصية النبي صل الله عليه وسلم لابن عباس.
11. أحمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، سنة 2004.
12. أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، سنة 1933.
13. أحمد بسام ساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنار السعودية، ط1، سنة 1985 .

14. أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية وتأثيرها على الروائيين العرب، جدار الكتاب العلمي، الأردن، ط1، سنة 2008م.
15. أحمد عبادة، مقاييس الشخصية للشباب والراشدين، ج2، مركز الكتاب للنشر، لقاهرة، ط1، سنة 2011.
16. أحمد عطية السعودي، شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، دراسة تأملية في الرؤى الفكرية والتقنيات الإبداعية، دار المأمون، الأردن، ط1، سنة 2010.
17. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (د.ت).
18. إليا الحاوي، نماذج في النقد الأدبي دار الكتاب، لبنات، (د.ت).
19. أمير عبد العزيز، النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط1، سنة 1981م.
20. توفيق الحكيم، فن الأدب، مكتبة الآداب.
21. حامد زهران، الصحة النفسية والعلاج التقني
22. حسن علي محمد، الأدب الإسلامي وقضاياها المفاهيمية، لعبة النيل العربية، مصر، ط2، سنة 2009.
23. حسن عيسى، فصول في الدعوى الإسلامية ، دار الثقافة، قطر، ط1، سنة 1985.
24. حلمي محمد القاعود، الرواية الإسلامية المعاصرة، دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان، لقاهرة، ط1، سنة 2008.
25. حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، دراسة تطبيقية، دار الاعتصام، لقاهرة، سنة 1990.
26. حلمي محمد القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، مكتبة البلاد العربية، لقاهرة، ط1، 1417.
27. حميد الحمداني، من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، منشورات الجامعة، الدار البيضاء، سنة 1984.

28. رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأ المعارف، مصر، سنة 2000.
29. سعاد جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، جدار للكتاب العلمي، الأردن، سنة 2008.
30. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، ط3، سنة 1997.
31. سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي (د.ت).
32. سيد قطب، الوظيفة التربوية للفن الإسلامي.
33. سيد قطب، خصائص الفن الإسلامي، مكتبة عيسى الحلي، القاهرة، سنة 1992.
34. سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المثريّة العامة للكتاب، مصر، ط1 سنة 1984.
35. شلتاغ عبود، الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة، دمشق، ط1، سنة 1412هـ.
36. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).
37. صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، دار المنار للنشر، السعودية، ط1، سنة 1985.
38. صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، سنة 1980.
39. صلاح الخالدي، هذا القرآن، دار المنار، عمان، ط1، سنة 1993.
40. الطاهر محمد علي، الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، سنة 1989.
41. عباس محجوب، الأدب الإسلامي، قضاياها النقدية والمفاهيمية، جدار للكتاب العلمي، الأردن، ط1 سنة 2000.
42. عباس محجوب، مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط2، سنة 1992.

43. عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المنار، السعودية، سنة 1985.
44. عبد الحميد بوزوينة، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، دار البشير، عمان، ط1، سنة 1990.
45. عبد الرحمن حنكة الميداني، مبادئ في الأدب والدعوة، دار العلم، دمشق، ط1، سنة 1402هـ.
46. عبد الرحمن محمد الرشيد، الشخصية الدينية في خطاب نجيب محفوظ، وزارة الثقافة، ط1، سنة 2009م.
47. عبد العالي بشير، تحليل الخطاب السردي والشعري.
48. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث.
49. العرابي لخضر، الدراسة الفنية للقصة القرآنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2001.
50. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة (د ت)، علي عشري زايد، استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر، طرابلس (ليبيا) ن ط1، سنة 1978.
51. علي علي صبح ورفاقه، الأدب الإسلامي، المفهوم والقضية، دار الجليل، بيروت، ط1 ن سنة 1412هـ.
52. عماد الدين خليل، حول تشكيل عقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيزيدن فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط4 ن سنة 1992.
53. عماد الدين خليل، كتابات إسلامية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1 ن سنة 1982.
54. فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسات في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 ن سنة 2010.
55. فتحي يكن، الإسلام والجنس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ن سنة 1983.
56. فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 2004م.

57. مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، سوريا سنة 1985.
58. مجدي أحمد محمد عبد الله، الأبعاد الأساسية للشخصية بين النظرية والتطبيق "دراسات واستخبارات"، دار المعرفة الجامعية، الأردن، سنة 2004.
59. محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط1، سنة 1986.
60. محمد المبارك، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الخير، بيروت (دت).
61. محمد أمهاوش، قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، نجيب الكيلاني نموذجيا، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، سنة 2010.
62. محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1996.
63. محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1983.
64. محمد عادل الهاشمي، في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، دار العلم، دمشق، ط1 سنة 1987.
65. محمد عدنان سالم، القراءة أولا، دار الفكر، المعاصر، بيروت، ط1، سنة 1414هـ.
66. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة (دت).
67. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر، القاهرة، (دت).
68. محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط8، سنة 1983.
69. محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6، سنة 1983.
70. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، سنة 1979.
71. مصطفى صادق الرفاعي، تاريخ آداب العرب، ج2، الكتاب العربي، بيروت، ط4، سنة 1974.
72. مصطفى عليان، مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، دار المنار، السعودية، سنة 1985.

73. نبيه صقر، تاريخ الأدب العربي في القرن العشرين، عويدان، لبنان، (دت).
74. نجم عبد الله كاظم، الرواية العربية والآخر دراسات أدبية مقارنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، سنة 2007.
75. نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1981.
76. نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، سنة 1985.
77. نجيب الكيلاني، رحلة مع الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، سنة 1985.
78. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط1، سنة 1987.
79. نجيب محفوظ، أتحدث إليكم ، دار العودة، بيروت، سنة 1977.
80. نعيم الرباعي، الصحة النفسية، الدار العربية، مصر، سنة 1412هـ.
81. هند حسين طه، النظرية، النقدية عند العرب، دار البشير، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، سنة 1981.
82. وهبة الزحيلي، الإسلام وأصول الحضارة الإنسانية، دار المكتبي، دمشق، ط1، سنة 2001.
83. يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية والطباعة والنشر، بيروت، (دت).
84. يوسف العظم، الشعر والشعراء في الكتاب والسنة، دار الفرقان، عمان، ط1، سنة 1983.
85. يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، سنة 1993.

III / المجالات والدوريات:

86. مجلة الأدب الإسلامي، العدد 1، سنة 1414هـ / 1993م، المملكة العربية السعودية، دور الأدب، عبد القدوس أبو صلاح.
87. مجلة الأدب الإسلامي، العدد 5 سنة 1995م، ظاهرة الأدب المكشوف في كتب التراث، محمد رجب الينومي.
88. مجلة الأدب الإسلامي، العدد 21، سنة 1419هـ، محمد رشيد عيد.
89. مجلة الأدب الإسلامي، العدد 22، ن 1420.
90. مجلة الآفاق الإسلامي، العدد 1، سنة 1995، الإسلام وحضارة الغرب، يوسف القرضاوي.
91. مجلة الاقتصاد الإسلامي، س 13، العدد 106، سنة 1994، نحو أدب إسلامي اصيل، عبد المنعم حسنين.
92. مجلة الأمة، العدد 22، سنة 1402هـ / 1982م، الأديب المسلم ودوره في بناء المجتمع، عباس محجوب.
93. مجلة الأمة، العدد 25 سنة 1402هـ / 1982م، الأدب الإسلامي ومصادر القوة الصامدة، نجيب الكيلاني.
94. مجلة الأمة، العدد 28، سنة 1983، وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي، عماد الدين خليل.
95. مجلة الأمة، العدد 50، 1405هـ / 1985م، الأدب مرآة حياة، صالح آدم بيلو.
96. المجلة العربية، العدد 2003 سنة 1994، مفهوم الأدب الإسلامي ومزاياه، عبد القدوس أو صالح.
97. مجلة الفكر العربي، شكري محمد عياد، نقد الأدب بين العلم والفن...
98. مجلة المسلم المعاصر، العدد 53، سنة 1988، إستراتيجية النقد الإسلامي، كاية جاد الله نموجيا - محمد إقبال العروي.

99. مجلة المشكاة، العدد 07، سنة 1408هـ / 1987م، الثابت والمتحول في الثابت والمتحول.
100. مجلة المشكاة/ العدد 26، سنة 1997، نجيب الكيلاني، المشكاة والملفات الجدائية، همسة ناضجة.
101. حركة الشواف في الموصل، سنة 1959، مقال، لإبراهيم خليل العلاف، جامعة الموصل (الأنترنت) .
102. IV/ المراجع الغربية والمترجمة إلى العربية :
103. برنار فالويه، مدخل إلى المناهج التقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي ت: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، سنة 2002.
104. بيرس لوبوك، صنعة الرواية، ت: عبد الستار جواد، محمد لاوي للنشر، عمان، ط2، سنة 2000.
105. جرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ت: محمد المعتصم والآخرون، دار الاختلاف، الجزائر، (دت).
106. دونالد آدمز، الأدب وصناعته، ت: جرار إبراهيم جيرا، المؤسسة الوطنية للنشر، بيروت، ط2، سنة 1983.
107. روجر هنكل، قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، ت: صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر، العراق، سنة 2005.
108. روجي آلان، الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية، ت: حصة ضيف، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1986.
109. مورال معروف، رواية المهجرة إلى أفغانستان، ت: محمد حرب، دار القلم، دمشق، سنة 1989.

الفهرس

أ	مقدمة.....
1	مدخل: نشأة الرواية الإسلامية المعاصرة
6	أ- العامل الاجتماعي.....
8	ب- العامل النفسي.....
11	ج- العامل الحضاري.....
14	د- العامل الأدبي
20	الفصل الأول: مقومات الرواية الإسلامية.....
21	I- مكانة الرواية الإسلامية.....
27	II- واقعية الرواية الإسلامية.....
29	III- حقائق الرواية الإسلامية.....
31	IV- مقومات الرواية الإسلامية.....
69	V- أصالة الشخصية الأدبية في الرواية الإسلامية.....
75	VI- الحاجة إلى الأدب الأصيل.....
78	الفصل الثاني: الدعوة إلى الرواية الإسلامية.....
82	I- الرواية الإسلامية وعلاقة الشكل بالمضمون.....
96	II- الإمتاع الوجداني
103	III) الشكل الفني.....
112	IV- نماذج من الروائيين الإسلاميين.....
135	الفصل الثالث: رواية الإحصار والمثمنة بين النظري والتطبيقي.....
136	I. المحتوى والبناء.....
158	II. الشخصيات: الوصف والأبعاد.....

196	III. تحليل أبعاد الشخصيات
201	IV. تحديد الزمن السردي للرواية
212	V فضاء الرواية
216	VI - الحدث السردى
226	VII. الواقع الاجتماعى من خلال الرواية
229	خاتمة
233	قائمة المصادر والمراجع
242	الفهرس



ملخص :

إنّ الرواية الإسلامية إبداع إنساني لا يختلف عن غيره من الإبداعات في كونه نظيفا سامي المقاصد والغايات، مترفعا عن الإسفاف في شكله ومضمونه، فهو مفتوح لكل لفظ عربي شريف.

كما أنّها تهدف إلى بعث وعي يُسهم في تصحيح أخطاء البشرية، وتمثّل بذلك نموذج المتقفين الذين يرتقون بفكرهم وفنهم والتزامهم إلى أسمى معاني الحياة.

الكلمات المفتاحية : الأدب الإسلامي ، الرواية الإسلامية، الوعي الحضاري، الإعصار، المتذنة، التصور الإسلامي.

Résumé :

Le roman chez les musulmans est une innovation des autres cultures. Il est propre avec des buts et ambitions sublimes. Etant au dessus des agrégations de forme et de contenu, il est ouvert pour tout terme noble de l'arabe classique. Le roman musulman vise à éveiller et relancer une conscience pour corriger les erreurs de l'humanité.

Il représente un modèle pour les cultivés engagés qui hissent leurs pensées et leurs arts aux plus hauts degrés des sens de la vie.

Mots clés : Littérature islamique, le roman islamique, conscience de la civilisation islamique, l'ouragan, le minaret, la vision islamique.

Summary :

The novel for Muslims is a human innovation which doesn't postpone – other cultures. It is clean and appropriate with purposes and sublime conditions. Being above the exaggerations of shape and contents, it is opened for any noble term of Arabic classic.

The Muslim novel aims at awakening and at boosting (relaunching) a consciousness to correct the errors of the humanity. It represents a model for cultivated committed (hired) which raise their thoughts and their arts in the highest degrees of senses (directions) of the life.

Key words: Islamic literature, Islamic novel, consciousness of Islamic civilization, hurricane, Minaret, Islamic vision.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

شعبة الأدب الإسلامي والمذاهب الغربية الحديثة



ملخص

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه بعنوان

الوعي الحضاري في الرواية الإسلامية المعاصرة الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل - نموذجاً -

إشراف الأستاذ:

أ.د. أحمد دكار

إعداد الطالبة:

عبد الرحيم خديجة

السنة الجامعية : 1434-1435 هـ / 2013-2014 م

المُلخَص :**المدخل : نشأة الرواية الإسلامية.**

نشأت الرواية الإسلامية نتيجة عوامل عديدة ومتداخلة، تمثلت في العامل الاجتماعي، النفسي، الحضاري والعامل الأدبي.

أ) العامل الاجتماعي: يبقى الواقع الاجتماعي الواسع منبعاً من بين المنابع التي يستقي منها الروائي الإسلامي معرفته، ليجوب آفاق الدنيا ويتعرّف على ما فيها باحثاً منقبا ليخلص إلى الحقيقة، حيث نجد للرواية الإسلامية الجزء المهمّ في حمل العبء، سيما وأنها ليست فناً يخدم نفسه أو يخدم مشاعر الفرد الذاتية، بل فن يخدم المجتمع ويعمل على تدبير شؤون الحياة.

فبمساعدة العامل الاجتماعي برزت الرواية بتصورها الشامل لتدافع عن الإسلام والمسلمين، ولتوظف ضمائر النائمين داعية إلى النهوض الحضاري.

ب) العامل النفسي : يلعب هذا العامل دوراً كبيراً في نشأة الرواية الإسلامية، ذلك لأنّ الروائي الإسلامي لا يتصل بالإسلام اتصاله بالثقافة، وإنّما يتصل بالإسلام اتصاله بالحياة، والخضوع الكامل والتفاعل المستمر، فهو ليس إنساناً عادياً بسيطاً إنّهُ كالعالم المتفقه في دينه أو العارف بكتاب الله أو المسؤول عن جانب مهمّ من جوانب حياته الإنسانية.

والجميل في الرواية الإسلامية إنّما يكمن في ذلك الصراع الروحي المستنجد بالتصوّر الإسلامي الصحيح، متوجّهة الوجهة الصحيحة بين النفس ومحيطها وبين النفس وخالفها. وبهذا فالروائي الإسلامي يزود نفسه بما يرضي الله تعالى، وهذا ما نجده في روايات عديدة منها رواية الإحصار والمثمنة.

ج) العامل الحضاري : الأديب المسلم مرتبط ارتباطاً وثيقاً مع الحياة وقضاياها الاجتماعية وهو كغيره يطمح أن يعيش في رفاهية ويوفّر لنفسه حياة متحضرة منظمّة، ولهذا فلا أن يأتي اليوم الذي تنهض فيه الحضارة الإسلامية وتتعالى فيه الإبداعات الأصيلة لأنّ مصدر الحضارة والعلم هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما لم يعلم، وكل ما يفتح له أسرار هذا الوجود، ولأنّ الشريعة عند المسلم

الواعي ليست أوامر ونواهي وأحكاما فحسب، ولكنها ذلك الكيان الإنساني بتوازنها ،
ويجد العقل سبيله للبحث، وتجد المواهب طريقها للإبداع، ويجد الإنسان منهجا للتربية
الصحيحة.

(د) العامل الأدبي : قد نجد الأديب الإسلامي هو الوحيد الذي لا يرى حدودا من
الزمان والمكان تحدّه، فالدنيا كلّها أرضه التي استخلف فيها، ومن هذا المنطلق اتخذ
الروائي الإسلامي من الأدب أداة لتطهير محيطه، فكان لابدّ عليه أن يكون على وعي
صائب في اختيار موضوع تجربته الإبداعية، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، فقد كان
العلماء والأدباء المسلمون في العصور السالفة يربطون ما يقدمون من إبداعاتهم
وتأليفهم بالقرآن الكريم ، ويتقربون بذلك إلى الله عزّ وجل.

وبهذا فالرواية الإسلامية تحتفظ بالفكرة المتميزة الناشطة باعتبارها تنفذ إلى
أغوار المشاعر بما يعكس من التجارب والنشاطات المختلفة والإرث التاريخي
والثقافي.

وكان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة ، سيّد البلغاء وأمير الفصحاء، لا ينافسه
منافس، وأحاديثه وخطبه ووصاياه تشهد له بذلك.

الفصل الأول : مقومات الرواية الإسلامية.

I/ مكانة الرواية الإسلامية :

الرواية الإسلامية لون من ألوان الأدب الإسلامي الذي يتركز على قاعدة ثابتة أصيلة، إنه أدب المسلمين في قوتهم وضعفهم، في فرحهم وقرحهم، في حربهم وسلّمهم، ما داموا يستمدون تصوّرهم من الكتاب الخالد والسنة المطهرة. وبهذا لم يمنع مانع من هذا الأدب من الظهور والانتشار واحتلال المكانة البارزة بين قومه وأهله، فأصبح موضع اهتمام بين دارسيه ومحبيه. ولعلّ النظرة الشاملة جعلت من الأدب الإسلامي التعبير الفني الجميل المؤثر، النابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعت للمتعة والمنفعة ومحرك للوجدان والفكر ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما.

وبهذا ندرك أنّ الروائي الإسلامي لا يرسم طريقه ولا يحدّد صورته وشكله استجابة لتصورات غريبة عن الإسلام ولا يخضع لضغوط المذاهب والمدارس النقدية. وحتى ترقى الرواية الإسلامية إلى المستوى المطلوب يجب أن تبنى على أساسين اثنين؛ الأوّل منهما: فنيّ يتمثل في القدرة على التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة، أمّا الثاني فيصوّر هذا التعبير في مضمونه عن التصور الإسلامي للوجود. وقد ترتبط مكانة الرواية الإسلامية بثقافة الروائي العامة لأنّه يأخذ ثقافته من الإسلام وهي تزيد وتنقص بقدر ارتباط الأديب بعقيدته.

وبهذا يجب أن يتحقق في الروائي الإسلامي صفات يكون فيها مدركاً في سلوكه لأنّه يتحرى الصدق في إبداعه ويلتزم بالصور الإسلامي في أهدافه وآماله.

II/ واقعية الرواية الإسلامية :

علينا أن لا ننكر المسلّمة التي تعتبر الرواية تعيش وتنطق من واقع عينيّ تؤطره حدود زمانية و مكانية تلعب دوراً فعالاً في تشكيل وبلورة إحساسه وأفكاره وتطلعاته، وغيرها من الأمور التي لا تلبث أن تطفوا على السطح في شكل ممارسات

أدبية واجتماعية، ويظهر الواقع في الرواية الإسلامية واقعيا روحيا لأنه هو الذي كوّن التجربة الصادقة والتعبير الجميل.

III/ حقائق الرواية الإسلامية :

1- الرواية الإسلامية التي نعنيها ويدعو الداعون الناس إليها هي ذلك اللون من الأدب الذي يحمل عاطفة أو نزعة إسلامية ويعبّر عن مفهوم إسلامي.

2- الرواية الإسلامية يرسى قواعدها الإسلام ولا يرسبها هوى بشر ولا رغبة متاع. ولأنّ الإسلام يوسع رقعة الحياة ما بين السماوات والأرض، وما بين الدنيا والآخرة، وما بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى... فالمجال هنا متسع أمام الروائي المبدع إذ يشمل إبداعه الكون كله والوجود جميعه.

IV- مقومات الرواية الإسلامية :

تعتمد الرواية الإسلامية في تكوينها وتناسقها وتميزها على مصادر أساسية ينهل منها الروائي فتغدو روايته إبداعا إسلاميا خالصا، وإنسانيا ساميا، وعالميا خالدا، وهذه المصادر هي:

القرآن الكريم، السنة النبوية، سيرة الصحابة والصالحين، أدب اللغة العربية ، والآداب العالمية.

ومن أهمّ المغيرات التي يغرسها القرآن الكريم في شخصية الروائي المسلم

هي:

أ) **التصور الصحيح:** وهو غاية الكتاب الذي أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ب) **الإبداع والنبوغ:** الإبداع وسيلة الأديب في التعبير عن أدبه مستخدما في ذلك لكلمة المؤثرة والهادية إلى السبيل الصحيح.

ج) **التفرد الفني:** يسعى القرآن لأن تكون للكلمة قدرها في تربية النفوس وتقويم الأخلاق.

V- خصائص الرواية الإسلامية :

1- الالتزام العقدي والخلقي:

من أهمّ خصائص الرواية الإسلامية الالتزام، وهو يختلف عن ذلك الذي نجده في الآداب الغربية ويبدو أنّ الالتزام في الأدب والفن على العموم مسألة قديمة لأنّ المجتمع البدائي كان ملتزماً بالدفاع عن قبيلته وعقيدها وحرمتها.

وقد يبنى الالتزام في الرواية الإسلامية على أساس الاعتناق بالقيم الأساسية، وبما أنّ المجتمع الإسلامي يقوم على العقيدة والأخلاق فكان من اللازم أن يراعي الروائي هذه الحقيقة، ومنه فالالتزام في الرواية الإسلامية لا يقاس بالمقياس الذي وضعته المذاهب المادية الأخرى بل لا بدّ من العقيدة أولاً ومن شرع الله عموماً.

2- التصور الإسلامي :

تميز الأدب الإسلامي عما سواه بأنه أدب يصدر عن تصورات إسلامية، ولهذا يفرض التصور الإسلامي مجموعة من القواعد الأساسية يجب على الأديب الالتزام بها في عمله وهي:

* تأكيد الانتماء الإسلامي وأمانة الدعوة.

* إعادة الثقة إلى النفس الإنسانية والمشاركة في العمل الصالح.

* الارتقاء بالإنسان وتجاوز حالات ضعفه.

* التصدي للحركات والمناهج الأدبية المنحرفة.

* توجيه المجتمع إلى الأصالة والقيم الإسلامية السامية.

فإذا تمسك الروائي بهذه القواعد أصبح أدبه سلاحاً يحارب به أعداء الإسلام الذين يحاولون إفساد الأخلاق وإشاعة الانحلال.

وقد نجد في التصور الإسلامي في حد ذاته خصائص ينفرد بها عن باقي التصورات وهي: الربانية، الانسجام، الشمول، التوازن، الإيجابية، التوحيد.

إلى جانب تصوّر القدر: فالقدر هو إرادة الله المسيطرة على الكون والحياة والإنسان في جميع التفاصيل والدقائق.

وبهذا حين يعيش الروائي إحساسه الروحي، فيرى الجانب المادي ويستشعر الجانب الروحي ثم لا يفصل بين الجانبين بل يتوحدان في داخله فيكون بهذا أقرب أنواع الواقع إلى الواقع.

3- الشمول والتكامل:

الرواية الإسلامية حين تعرض صورة الأدب فإنها تعرضها من جميع جوانبها غير منقوصة، وإذا كانت الرواية أدبا شموليا عالميا إنسانيا لا يتوقف عند الروائي في ذاته ومحيطه أو أمته، لأنه يرفض ضيق الأفق ومحدوديته التي تجعل الأديب لا يرى أبعد من أنفه، فإنه يمتد ليشمل العالم الإسلامي بأسره وينمو بنمو الإنسان والجماعة والأرض والبيئة كلها.

4- الرواية الإسلامية أدب الإنسان والكون:

الإسلام هو المنهج والسييل الذي يهذب الإنسان في رؤية وصورة دالة وفي تجارب إنسانية، إنها رؤية إسلامية. والرواية الإسلامية تملك هذا الكنز وتعرف دور الإنسان في الدنيا والآخرة، وبذلك تكون الدنيا دار عمل وتذخير للآخرة.

5- الغائية والجدية الهادفة :

تتجه الرواية الإسلامية إلى تكوين هدف وغاية مقصودين، وفي ذلك تختلف الرواية الإسلامية عن الغربية بأنها خاضعة للسنن الكونية، وعلى الإنسان أن ينفذ من خلال هذه السنن.

6- الواقعية.

لقد اقترن مصطلح الواقعية بالمذاهب الغربية الفنية، تلك التي تحصر واقع الإنسان في حيز ضيق محدود وتتسى الواقع الإنساني الكبير الذي يشمل حياة الإنسان كلها طولا وعرضا وعمقا، زمانا ومكانا. وإلى أن يصل الأدب إلى الواقعية الكاملة التي يسعى إليها تلقائيا بقوة تيار الحياة وتجاربها سيكشف في النهاية أن الإسلام قد سبقه إلى إقرار تلك الواقعية الإنسانية التي يبحث عنها.

V- أصالة الشخصية الأدبية في الرواية الإسلامية:

لعل سر احتفاء الإسلام بشخصية الأديب المسلم يرجع إلى عدة أسباب:

- 1- اعتراف الإسلام بالكلمة الطيبة في صناعة الحياة.
 - 2- عناية الإسلام الفائقة بتكوين الإنسان المسلم وإبراز شخصيته.
 - 3- تقدير الإسلام لرسالة الأديب في الحياة ودوره في قيادة مجتمع يسوده الإخلاص.
- VI- الحاجة إلى الأدب الأصيل:

يمتاز الأدب بدور فعال في حياة الشعوب قديماً وحديثاً لأنه أسهم في الاستعلاء كما أسهم في الإذلال، وأرقى الأدب ما تصل بالعقيدة الإسلامية لأن الأصالة تقتضي الصراحة والوضوح والإخلاص والصدق، والتزام الإنسان بعقيدته في أعماله الأدبية يحقق له الانسجام مع نفسه والتوافق مع فكره.

الفصل الثاني : الدعوة إلى الرواية الإسلامية.

يبدو أن هناك نخبة طيبة من علماء الأمة الإسلامية يبذلون قصارى جهودهم في إضاءة جوانب الحياة المختلفة على هدى وبصيرة، ومنهم الداعون إلى الأدب الإسلامي، والذين نجحوا في تأسيس "رابطة الأدب الإسلامي العالمية، حيث كان دورها فعالاً في نشر عدة كتب عن الأدب الإسلامي تحاول أن تدرسه من كافة جوانبه.

والحاجة إلى رواية إسلامية ذات أسس صادقة تستدعي تحقيق الأهداف

التالية:

- 1- يجب التفريق بين الرواية ذات التصور الإسلامي والرواية العادية.
 - 2- عندما تطالب الأقسام الإسلامية الواعية برواية إسلامية فهي تطالب بفن يتجاوز ما هو واقع، ويقدم النماذج الصالحة للأمة.
- وبتحقيق هذه الأهداف يؤكد واقع الرواية الإسلامية دورها في التعبير عن التصورات المختلفة التي تملأ عصرنا بالصراعات الإيديولوجية والفكرية، ولهذا فإنّ الدعوى إلى رواية مطهرة أصبح ضرورة في الحياة الأدبية.

I- الرواية الإسلامية وعلاقة الشكل بالمضمون:

(1) دور المضمون في إبراز الأدب الأصيل:

يحرص الروائي المسلم على إشراقه أدبه وجودته ليكون مضمونه صافياً قوياً بعقيدته، لكن يبدو أن هناك تحديات كبيرة تواجهه في عالمنا المعاصر تتمثل في الحيرة والخوف والقلق، كما تتمثل في حالة الفوضى والضياع لعدد من القيم، وبهذا فالروائي المسلم يسعى جاهداً إلى تحقيق أقصى درجات الوفاق بين الجمالية والتأثيرية والتناسب بين الشكل والمضمون، لأنه يريد أن يكون كالزراع المتمرس الذي يعرف كيف يشق الأرض لكي تستقبل الماء المنصب من السماء، فتكون الخضرة الواعدة، مستمداً ذلك من كتاب الله الذي اعتمد جمال الكلمة وتأثيرية المضمون.

ويبدو أن أهم الموضوعات التي ينبغي للرواية الإسلامية معالجتها والاهتمام بها تتمثل في ثلاث مجالات رئيسية تشكل جوهر المضمون الأدبي ونواة الانطلاق والامتداد المجالات هي:

- القيم السامية.

- النهوض الحضاري.

- الإمتاع الوجداني.

* القيم السامية: تتعلّق بالعقيدة في جميع جوانبها.

* النهوض الحضاري : لا يتم فقط بإدراك المصادر الإسلامية دون أن يدعو إلى

المعالم التي تنهض الأمة وتقوّم ما هو فاسد وما هو سلبي، ومن أهم هذه المعالم:

(أ) محاولة تغيير واقع المسلمين الحالية:

لقد أصاب الأمة الإسلامية نوع من الضياع والانحطاط والمحن، وهذا نتيجة لبعث المسلمين عن دينهم، فضعفت قوتهم وتفرقت كلمتهم وأصبح لزاماً على الروائي الإسلامي أن يحشد طاقاته الأدبية لمواجهة هذا الموقف.

(ب) التربية الإسلامية:

من المهام الرواية الإسلامية التركيز على محاربة كل مظاهر التخلف والجهل وحتى الأمية وبهذا تكون الرواية الإسلامية على قدر كبير من أن يرفع المستوى الحضاري بإبداعه.

ج) الوحدة الإسلامية:

الوحدة هي السبيل الأمثل في ضم الأمة الإسلامية لشمها وبناء أمجادها وإعلاء حضارتها، وتحقيق أهدافها المتمثلة في :

- الحفاظ على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- الحفاظ على تراث التراث العربي والإسلامي.
- الحفاظ على ثروات الأمة الإسلامية.
- الحفاظ على كرامة المسلم وحرية.
- مواجهة أعداء الإسلام واسترداد المقدسات.
- مواجهة الحرب الداخلية التي يدبرها ضعاف المسلمين.

د) الحضارة الإسلامية:

لقد عرف الإسلام حضارة عريقة شيدت أبنية وعلقت أوسمة وألفت العديد من العلوم. فهي حضارة خالدة يرتقب كل أديب مسلم أن تُشيد مرة أخرى.

* الإمتاع الوجداني :

لا بد أن تتوفر في المبدع صفتان أساسيتان في التعبير الوجداني:

الأول : أن يكون إحساسه بالحياة أدق وأعمق من إحساس الجماهير.

الثاني : أن يعبر عما يحس به بطريقة متميزة تكون أسمى من تعابير الجماهير. فلا ينبغي للروائي أن يكون مصورا ناقلا، بل المصور الفنان هو الذي يظهر صورة شخصيته واضحة متميزة وأن يكون له ذوق أرق من الأذواق يستطيع به الملاءمة في الإحساس والتناسق في التعبير.

وقد تتلاحم جوانب مختلفة ومتكاملة لتؤدي دور الإمتاع ويمكن حصر هذه

الجوانب في: الجانب الجمالي، الجانب العاطفي والجانب الفكاهي.

III) الشكل الفني:

- من أروع مظاهر الجمال أن ينبع أولاً من أعماق النص وروح المعنى قبل أن يسكب رحيقه في الشكل الفني، ومن مظاهر ذلك:
- أ- تناسق الأفكار وترابطها.
 - ب- الانتقال من الجذور والأصول في الأفكار إلى الفروع.
 - ج- محاكاة الواقع بتصوير فني.
 - د- الصدق في التعبير عن الحقيقة.
 - هـ- تحريك المشاعر بالمعاني الصادقة.
 - و- الأفكار الجديدة المبتكرة.
 - ز- إرضاء الرغبات بما يسر الخيال.

وقد تحدث عن ذلك رائد الرواية الإسلامية "نجيب الكيلاني" حين وجد في القرآن الكريم النبع الفياض، فالتصوير الفني في كتاب الله عز وجل من حيث التلاؤم أنواع: تصوير باللون، وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل كما أنه تصوير بالنعمة، تقوم مقام اللون في التمثيل.

ومن هنا أخذت الرواية الإسلامية كسوتها، فتحدت فيها عناصر جمالية، وظفها الروائي الإسلامي في الشكل الفني، وهي: الصياغة الفنية، الأسلوب البياني، الشواهد الأدبية، الحس الموسيقي، البراعة التصويرية.

IV- نماذج من الروائيين الإسلاميين:

1- نجيب الكيلاني: رائد الرواية الإسلامية: قد شغف نجيب الكيلاني، حياته في تحقيق مجتمع إسلامي، أملاً أن يرد الاعتبار للإسلام، وتنهض أمته مرة أخرى على نتاج وعي حضاري إسلامي، فكانت الرواية متكأً وسبيلاً إلى بلوغ الهدف ومن أشهر رواياته "مملكة البلعوطي" وهي رواية تصور لنا حلماً جميلاً واقعياً يصنع القرية الفاضلة وسط أعاصير الظلم والقهر والأنانية، جاء هذا الحلم في شكل فني راق.

2- حمزة محمد بوقري : وله رواية "سقيفة الصفا" التي تعدّ صورة حيّة للظواهر الاجتماعية المختلفة، حيث قدّمت معالم الطبقات الاجتماعية والأجناس التي تكوّن منها المجتمع الملكي، والملفت للانتباه في هذه الرواية أنّها رواية زمان ومكان بالدرجة الأولى.

3- سلام أحمد إدريس بروايته "العائدة": كانت هذه الرواية من بين الروايات التي شاركت في المسابقة التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي ، وحازت على الجائزة الأولى لتميزها أسلوباً وبناءً.

وتقوم أحداثها على قطبين: الخير/الشر، فتستشرق الرواية عالم التحلل والسقوط، وتكشف الأسباب والطرق المؤدية إلى ذلك.

وفي جانب آخر تقدم الصورة الأخرى لعالم الاستقامة التي تميزه شخصيات تمتاز فيها الطهارة والبساطة والإيمان والجمال.

4- عبد الرزاق حسين "الرجل الظل": الرواية تعالج قضايا الظلم، بل طرحت رؤية أعمق تعود بالعملية إلى مرجعية أكبر وهي نمط العلاقات السائدة في المجتمع، فتعالجها عبر شخصيات وأحداث وأمكنة وأزمنة تحقق النجاح المطلوب للبناء الروائي.

5- مرال معروف بروايته "الهجرة إلى أفغانستان": رواية أكدت على مشاركة المرأة في الفن الروائي، تصور الرواية في مجملها جوانب القهر والظلم والاستبداد على يد السوفيات، وقد أخذت الطبيعة حقها في الرواية من تصوير ، وهي من أكثر الروايات التي وظفت للمعجم القرآني.

6- جهاد الرحبي بروايته "لن أموت سدى": رواية تحدثت عن فلسطين من جوانب عديدة ومختلفة: إسلامية، قومية، سياسية، اجتماعية ونفسية، وتعالج هذه الرواية الانتفاضة الفلسطينية.

الفصل الثالث : رواية الإحصار والمئذنة بين النظري والتطبيقي.

I- المحتوى والبناء:

1- عماد الدين خليل أديب إسلامي:

يعد عماد الدين خليل من أبرز الدعاة إلى الأدب الإسلامي في العقدين الأخيرين، وله في هذا المجال أكثر من بحث ودراسة في المجالين الفكري والأدبي، انصب اهتمامه أكثر بالتأليف المسرحي، وفنّ المقال وقرض الشعر، لذا لم يقدم لنا غير رواية وحيدة، أراد من خلالها تسجيل مرحلة من أخطر المراحل التي هزت كيان العراق وأهل العراق، وسببت كثيرا من جروح الكثيرين أهل الموصل، كان سببها النظام الشيوعي وظلمه آنذاك. فلقبت الرواية رواجاً ونجاحاً كبيرين في ساحة الأدب الإسلامي.

اتسم بناؤها الدرامي بقسمات الإسلامية الممزوج بين الفنية الجمالية وبين الصدق في التصوير.

وأكدت الدراسات لرواية "الإحصار والمئذنة" أنّ النصية السردية بنيت وفق ثلاثة محاور أساسية هي: الفن - القيم - الارتباط بالأرض.

II- العتبة الكبرى: انفتاح المدخل

كان الأديب شديد الذكاء حين اختار للرواية هذا العنوان، باعتباره العامل الأساسي في انطلاق وسيرورة الأحداث حتى النهاية.

هذان القطبان (الإحصار/المئذنة) هما محركا الرواية وأرضيتها المهيأة لبروز شخصياتها وتفاعلم، وهذه الثنائية تعبّر بالترتيب على الثنائية (الشيوعية/الإسلام)، وأحداث الرواية مرآة عاكسة لأحداث جرت بالموصل سنة 1959م نتيجة للسياسة البشعة التي انتهجها الرئيس السابق "عبد الكريم قاسم" فاشتعلت الفتنة وثار الشعب وحدثت خلال الأشهر الواقعة بين يناير ومارس 1959م مصادمات بين القوى القومية الإسلامية من جهة، والشيوعية ومن والاهم من جهة أخرى، فكان لكل كتلة وسائلها في الصراع من مقاهي ومكتبات ونوادي.

وهكذا أخذت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ، وانتهت الرواية بتصوير عمليات الانتقام وتصفية الحسابات في تصوير بشع، يتنافى مع الأخلاق ومع الإنسانية ومع جميع الشرائع السماوية.

إضافة إلى هذا فقد أشار صاحب الرواية إلى غايات الشيوعيين المشينة، وقد أعلنوا عنها في كثير من مناسبة، وكانت هذه الغايات تتركز في القضاء على المنارة العالية التي ترمز إلى الدين الإسلامي.

وهذه الأحداث صنعتها شخصيات كان لها الأثر الكبير في بناء الرواية.

II- الشخصيات:

1- الشخصية الرئيسية: عاصم الدباغ:

كان "عاصم" أنيقاً مهتماً بمظهره، تفيض عواطفه حباً لخطيبته التي كان يرى في وجهها كل مظاهر الجمال، فكان أمله الوحيد أن يأخذها ويرحلا بعيداً، لكنه كان يفشل دائماً في إقناعها.

ومن مميزات شخصية عاصم: الثبات والتراجع إلى الوراء وعدم المبادرة في المواجهة، فقد وردت شخصيته من خلال الرواية مهتزة تصرّ دائماً على الرحيل، إذ يحاول الهرب من التضحيات والصراعات محاولاً المرة تلو الأخرى نزع خطيبته في التيار.

2- سلمى: جمال الروح وقوة التحدي:

رسمت أحداث الرواية ملامح فتاة جميلة، شجاعة لا تخشى المحن، متحكمة في عواطفها متزنة في كلامها ذات أبعاد منسجمة. والقارئ وهو يتلقى الدور الذي تلعبه شخصية "سلمى" يجد نفسه أمام فتاة ذكية وجميلة تهب نفسها وحياتها لمدينتها.

3- عبد الرحمن الشيخ داوود: تناقضات الظاهر والباطن:

كان الرجل معروفاً بروحه المرحة، وقدرته المتفننة في طرح النكات، وكان يستطيع في أشد اللحظات قسوة واكتئاباً أن يشيع الابتسامة.

وباعتبار الشيخ داوود متقاعدا من الجيش كان يحس في صوت تلك المدافع ودوي الرصاص، بأن ثمة جريمة مبتكرة في حق شعب مسالم، وأن الموصل ليست بخير، فكانت شخصيته تسهم في حمل كفة القيم الإسلامية.

4- الشيخ هاشم عبد السلام:

نجد هذه الشخصية قد حلت محل الداعية الإسلامي، وهذا ما جعل أهل الموصل يكونون له احتراماً كبيراً، مما جعلهم يلتفتون له كجمهور، لأنه كان صاحب حلول وطرق مؤدية إلى الخلاص لكونه يملك ثقافة شرعية وعلمية.

تمثلت شخصيته بالسكون والهدوء الروحي، وهذا ما شجع أهالي الموصل على المضي إلى التحدي، دون خوف ولا فزع، فكان تأثيره على أهل مدينته كبيراً، الأمر الذي أزعج الشيوعيين، فأصبح محل متابعة من قبلهم انتهت بقتله.

5- يونس سعيد:

كانت هذه الشخصية مطابقة لأفعالها العدوانية، والتشوّه الخلفي ما هو إلا صورة للتشوّه الإيديولوجي الذي عرفته الشيوعية.

يمتلئ يونس سعيد حقداً وكرهاً خاصة وأن نصيبه في الحياة سلبي، فلقد كانت بداياتها فاشلة فكان طريق الشيوعية الوحيد الذي وجد فيه صورة له.

6- حنا جرجس:

كشفت لنا هذه الشخصية عن صورة أخرى لأنصار السلام بأبعاد منسجمة هو واحد من متقفي المدينة الجيدين، يتقن الإنجليزية والفرنسية، لكن هذه الثقافة وظفها صاحبها بتميزها بالكبرياء ومقتها للإسلام والمسلمين.

وقد كان التحدي الذي أبرزه "هاشم" ضد "حنا جرجس" وضد الشيوعيين ككل هو ما ضاعف في "حنا" العداوة والحقد والتي وصلت إلى ذروتها.

2- تحديد الزمن السردي للرواية:

رسم "عماد الدين خليل" الخطة الإستراتيجية التي ستبقى عليها روايته والطريقة التي سيعامل بها شخصه، والمهمة التي تتلقاها كل شخصية وقد عمدت

الرواية إلى استخدام الحادثة التاريخية كخلفية لها بحيث يكون القارئ فيها مرتبطاً بواقعها وقريباً من أبطالها.

والذي يبرز هذا الكلام كون الواقعية سجلها التاريخ قبل النص الأدبي، فتحوّل المبدع بذلك مؤرخاً.

والزمن في هذه الرواية ينقسم إلى زمنين: الأول داخلي والثاني خارجي. فأما الزمن الداخلي فيعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية. بينما الزمن الخارجي قد نجده على شكل استنكار سابق عن بداية الرواية.

3- الوقفة الزمنية:

يلجأ الكاتب إلى تقنية الوقفة الزمنية لأسباب عدة من أهمها: "كبح جماح الزمن للمزيد من التشويق، واستعمل عماد الدين هذه الوقفة في كثير من فصول الرواية، وتمثلت في اعتماده على الوصف.

V- فضاء الرواية:

يحظى المكان وهو مدينة الموصل باحتفاء كبير، فظهر الوصف ساطعاً يذوب حبا وعشقا بالموصل ومعالمها.

تميز مكان أهالي الموصل بالجمال، فكان مشعباً بالخضرة والإبداع الإلهي، أما المكان الذي يتجمع فيه الشيوعيون فاسم بالشيق والظلمة.

وقد ورد المكان في "الإعصار والمثمنة" الشغل الشاغل للسرد الروائي، حيث تتفاقم عملية ارتباطه بالحدث والشخوص تفاوتاً ملحوظاً بين التفاعل العضوي تارة والسرد الهادئ تارة أخرى.

VI- الحدث السردى:

1- حبكة الرواية: نجد في الرواية حبكة مزدوجة، إحداهما تتعلق بالثورة والصراع بين طرفين متناقضين، وقد بدت الحكمتين متوازنتين من البداية إلى النهاية.

2- الراوي: اعتمد على معجم عقلائي أكثر منه معجماً فنياً.

VII. الواقع الاجتماعي من خلال الرواية:

لقد أبدع الروائي في تصويره بحكم انتمائه إلى مدينة الموصل، فوصف حياة الأسرة الموصلية في المسكن بما فيه من فلسفة معمارية أصيلة. كما وصف بعض الأطباق والتي تحلو لأهل الموصل، فأجرى مقارنة ومفارقة بين بعض الأطباق فذكر أطباقا شهية فاخرة مثل "الدولمة" و"الكبة"، وأخرى خاصة بالمعوزين والسجناء مثل "الصمون". ولم يقف الكاتب عند هذا الحد فحسب، بل راح يذكر العادات، والتقاليد التي تميز المدينة، وهكذا استطاع الروائي أن يقابل عالمه بالأعمال وأن يترك هذه الأعمال تتكلم.

INTRODUCTION :

Several questions and investigations intersect in this research whose name is " Cultural Awareness and the Roman Islamic Contemporary - Roman " Hurricane and the Minaret " Imad- Eddine Khalil - Model .

It is possible that the ability of the novel to address issues and located complex , produced in the reader of this current art trends that have become determined by taste and intellectual reasons , and in this case , it is possible to distinguish between what is emotional and scientific objective , because readers are prepared according to their interests and their technical skills and orientations and their intellectual potential , some of them try to read the book out of curiosity and talent for reading , while others take it for a way to make approaches and the completion of scientific studies in accordance with the practice of the curriculum.

And from this, the novel will have a positive influence in directing the knowledge, but also a new effect in the activation of the culture in the organization of nations and the creation of an active personality able to make a living personal , enriching the story and deepen the current act. This critical act in the function of literature in life could connect a large number of students between the well being of the nation and its urbanization , prosperity , development of literature on one side and underdevelopment of nations and the fall of the literature on the other hand , because the intuitive argument is that this literature is related to the spirit of the nation and its ability to urbanization , evolution , development and education of its members to push the progress of civilization and human excellence .

For this, the 1st word "read" in the Quran was directed to the importance of the word in the creation of cultural change and human evolution, and that the Quran and Sunnah were the main sources of literature to form its aesthetic vision.

However, the fall of civilization faced by the Islamic nation in the years of weakness, paralysis and absence was due to the lack of literature that expresses the true personality of a nation and its civilization and culture, but also to the emergence of literary movements contrary to the direction of a nation and its culture, due to various factors that lead to the weakening of his intellectual and spiritual base and was one of decline reasons of civilization that muslims have lived there, there's too long.

And due to the lack of cultural awareness and aggravation of different challenges due to the foreign occupation of Islamic countries to its impacts on various aspects of life, different voices that reject the principle of alienation appear to require the construction of a civilized project can lead a nation to exercise his adult life by the approach of religion but also the recovery of physical presence in human life .

And as the Muslim novelist aims to bring the desired change in the vision of Islam to life and the universe, many intellectuals and writers have participated in the production of the novel which in turn expresses the hopes of a nation and inspiration and to return to life through the influence and activation of recorded civilized values in Islam and who were absent for long.

Among the preachers of the Islamic novel, a group of people interested in Islamic literature, including Imad- Eddine Khalil has had a clear impact in the field of thought , culture and Islamic literature.

Through the efforts of its pioneers , the Islamic World Association was created with the aim to create a strong Islamic literature and selected that has the ability to confront deviant literature ethics but also the anti - Islamic values .

Then, it also aims to find literature from the Islamic vision that can express the feelings, the ideas and visions objectively, honestly, impartially and faithfully.

Muslim line emphasizes the Islamic literature and the Islamic novel is a competitor to Western literature and Western novel, because the Islamic novel is a feature that allows its resistance and stability, just because it insists of consolidate principles , extension of ethics, protection of the values and save the community from multiple attacks and challenges as well as the civilized project .

And if these reasons are running through the mind and soul in current thinking and work, it is characterized by either a range of trends and psychological desires or by floods objective data and conducted by the spirit and finally in the field of scientific research specially , it is delegated to the objective incentives, and reduced to a project or a product ready for serious consideration to be seriously considered .

Among the questions that can be asked about the title of this thesis :

Why Imad- Eddine Khalil model and not others who have become famous in this matter until it becomes known ? Knowing that Imad- Eddine Khalil is not known for the novel but mostly for art history and theatrical creation and above criticism.

That's a good question that I can not usually recognize particularly, but I have chosen deliberately for reasons that theme :

- The desire to produce the ideological conflict and the legacy of struggles among Irakian society , as if the company is a mirror reflecting the Arab nation.
- The ability of Imad - Eddine Khalil to combine creativity and history, and is seen in his only novel " The Hurricane and the Minaret " and his invitation to see the novel.
- Its ability to endoscopy in Islamic literature and the launch of Islamic novel.
- Collect between technical construction and aesthetic expression .

And so with that, I might disappoint some recipients and attend clarify many important aspects of a writer who has done much to Islamic literature, many articles and literary research as well as the novel with which he participated in the competition organized by the World Association of Islamic literature.

It seems that the Islamic novel despite its spread around the world still remains unknown for some students , researchers, academics and even some critics.

And the subject that we offer in this scientific research is an attempt to contribute in achieving the concepts and principles to promote visions of faith and granting of physical and spiritual balance of man and real perception in the realization of the mystery of existence by humanitarian worship of God and in accordance with his method and performance.

In it , further to the introduction and conclusion, this study consists of three chapters ; The first chapter deals with Islamic elements of the novel , according to the place occupied in the hearts of readers and researchers , and clarifying that position.

However , the reader may note that this position is identified by the Islamic realist novel and the way in which the novelist deals with reality and has been shown in the position of some realities that the novelist is addressed and whose main source is Islam , and the constituents taken by the novelist were mentioned for support as the Quran and Sunnah , the main sources , including Islamic and Arabic Language and some general literature.

Thus, this chapter contains what the important features of Islamic novel study that consists of a commitment - the Islamic- visualization inclusion and integration - Islamic Literature - human literature and the universe - the theology and serious efforts – realism.

These features are named after : the originality of literary personality in the Islamic novel, which consists of a group of securities that are in ; recognition of Islam for medical parole - care of Islam to the message of writers, definition of Islamic literary personality .

And in the end of the chapter, I indicate the necessity of true literature is the mainstay of artistic creativity and the Islamic literature in particular.

The second chapter was throughout the study, about the call to the Islamic novel that has implications related to the form .

And the chapter shows the role of the content to highlight the authentic literature in terms of high values : reflection and meditation - freedom , responsibility and good creation - Social Solidarity - Call and Combat .

Then I discussed the progress of civilization based on Islamic Education , Islamic unity and Islamic civilization .

CONCLUSION :

And at the end of this humble work , I can say, in the field of scientific research , between faith and reason, it is difficult to estimate distance according to planning, organizing , setting implementation and evaluation .

We must recognize that some aspects of this issue can be achieved only by actual practice in a process where cross of data and other absent that does represent at the time of the study. And in this research whose bases are different objectives , the intention was to study cultural awareness in the contemporary Islamic novel in general but unfortunately the magnitude of the subject and the multiplicity of narratives prevented and this work was limited after consulting the supervising professor - God bless him - in the novel ' Hurricane and the Minaret " Imad Eddine Khalil , knowing that this novel is a historical record of a period of Iraquian history .

And after the study of this novel several times and many other Islamic novels as well as some advice and briefings pertaining on Islamic literature and the novel:

- What cultural awareness exists in the Islamic novel and its presence expands the creative process and in this, we can distinguish several results.

1) The Islamic novel has an important place in the hearts and souls because he reflects the overall perception of Islam since the understanding of reality in an intellectual and behavioral aspect, and Islamic novelist tries to pull the results of this reality and suffering of life armed with knowledge and Islamic sentiments, and can be detected through this guide that Islam and his insight and establishes a remarkable novel full of feelings and talents.

2) The novel will not be able to reach the Islamic position without the Book of Allah and the Sunnah of His Messenger - may Allah bless him and grant him peace- and with the Islamic conception of the novel one could say that this novel is Islamic .

3) After this study, the Islamic novel is a model for conscious intellectuals who stood by their art and humanitarian commitment to the highest sense of committed literature, and destroy their faith every moral corruption social, economic and cultural.

Thus, the Islamic novel is full of optimism and meanings of truth, goodness and beauty, and it is distinguished by its commitment to nation building by building solid foundations of the Islamic region and the idea of gastronomy.

4) The Islamic novel is present and its current presence is permanent away from difficulties and for that it is derived from the ability to create an eloquence of Koranic miracle saturated making a good word as a source of the fixed shaft and a branch in the sky.

5) Despite the barrier of cultural conditions to the Renaissance, due to the existence of intellectual novelists.

6) Distinguish the properties of the most important Islamic novel that differ from the Western novel to seek the truth and spread goodness.

7) The absence of the cultural message in the Western novel, because the European civilization will collapse one day.

8) The novel "The hurricane and the Minaret" is a historical record between the actual combination of conflict and criticism.

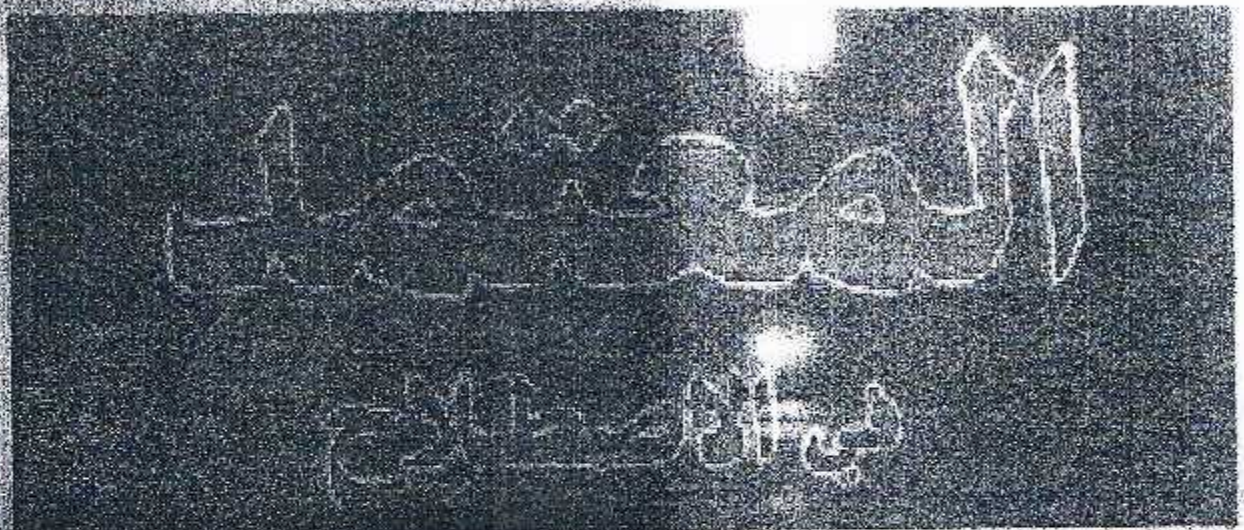
9) Women in the Islamic novel is graced by Islam.

10) Examples in the Islamic novel from Islamic novelists by sincerity and mastery of style.

11) The Islamic novel dealt with many issues affecting the community.

And as a conclusion, we can say that this work is just a study characterized the interpretation of new properties and editing.

عزيمه في علم



مؤلفه

تقديمه

الإنسان

رقم الإيداع

2013

عدد

الفهرس

09	أ. ذكار محمد أمين	سنية الخطاب الديني والسياسي المعاصر -قراءة في تصميم مفهوم السلطة-
17	د. موفق عبد القادر	مفهوم النداء وأثره في عملية التبليغ -اللهب المقدس لمفدي زكريا أنموذجا-
39	أ. عبد الرحيم محمد الأمين	تطوير بنك آلي للمصطلحات
47	أ. داود أمحمد	الغرض الشعري، المصطلح والمفهوم عند المحثين
63	أ. سعدون الشيخ	التأويل مفهومه، تطوره
89	أ. قردان الميلود	مصطلح السخرية، الدلالة والمفهوم
105	د. محمد محي الدين	مصطلحات أندلسية
119	أ. نصر الدين أجدير	المصطلحات المالكية عبر المواقع الإلكترونية
130	أ. د. أحمد ذكار	الالتزام
141	أ. عبد الرحيم خديجة	إشكالية المناهج في العلوم الإنسانية
153	أ. د. العرابي لخضر	المقام في الدرس البلاغي

أ. محمد الرحيم خديجة

هناك شبه إجماع بين العلماء والمنظرين ومؤرخي العلوم على أن العلوم الإنسانية والاجتماعية قد نشأت في القرن التاسع عشر وكان ذلك نتيجة انبهار المفكرين بما حققته العلوم الطبيعية بفضل المنهج التجريبي من نجاح في فهم الظاهرة الطبيعية⁽¹⁹⁾، والتحكّم فيها ومن ثمة استغلالها، ولكن في المقابل نجد اختلافا شديدا بين العلماء والفلاسفة والمؤرخين حول طبيعة المنهج حيث أن نقل المنهج المتبع في العلوم التجريبية إلى دراسة الإنسان الهدف منه تحقيق معرفة موضوعية بالظواهر الإنسانية تُمكن من التحكم في دوافعه والارتقاء بكلماته وإمكانياته وهنا سادت نظرة مفادها تحول الإنسان من ذات تفكر إلى موضوع معرفة علمية، وفي هذه اللحظة التاريخية للعلم نجد أن العلوم الإنسانية قد نشأت غير مكتملة، فهي وإن استطاعت تحديد موضوعها وحصره، فإنها لم تستطع خلق منهج يلائم طبيعة موضوعها.

إن الشيء الملاحظ هو اقتران ميلاد العلوم الإنسانية بالمشروع الوضعي ولهذا الاقتران شروطه حيث قضى بضرورة التخلص من الخطاب الفلسفي التأملي حول الإنسان والانتقال إلى الدراسة الموضوعية المبنية عن طريق تطبيق النماذج التجريبية، والسبب يعود إلى أن الفلسفة لا تكترث بمجرى التحولات الكبرى في عصرها والتي تتجاهل سيرورة الحركة

العلمية ولا تتفاعل معها، هي فلسفة مقضيّ عليها تدريجياً بالتقادم والجمود، وتلك فكرة يمكن اعتبارها بمثابة مسلمة ما فتى تاريخ الفلسفة يؤكدها⁽²⁰⁾

وهنا وجب التأكيد على أن الإشكال المنهجي في العلوم الإنسانية حديث، يعود بالأساس إلى القرن 19، هذا الأخير أنّي شهد نضج المنهج التحريبي متمثلاً في المنهج الاستنباطي بالنسبة للعلوم الرياضية، والمنهج الاستقرائي في العلوم الطبيعية، وهنا كان لزاماً على العلوم الإنسانية أن تختار بين:

1- إبداع منهج يلائم طبيعة موضوعها ويخرج عن المنهجين الاستنباطي والاستقرائي.

2- محاولة التوفيق وتبني هذين المنهجين وتطبيقهما على موضوع الدراسة الإنسانية، إلا أن الملاحظ على هذا الاختيار الأخير نتائج مؤلمة حيث ضاع الإنسان بين القواعد الصارمة للمنهج الاستقرائي حيث أضحي قضية أو عددًا أو رقمًا مما أدى إلى إحالة الإنسان إلى مادة طبيعية لمنهج استقرائي⁽²¹⁾ تحكمه صرامة الواقعية العلمية التي تبرز الجانب النموذجي على حساب الجانب المتفرد الخاص، لأن رجل العلم إذا ما كان يبدأ دائماً بالجزئي الخاص فلكي يستخلص منه ما هو كلي⁽²²⁾.

لقد سادت القرن 19 نزعة علمية وثوقية، تعتقد بإمكانية تفسير كل الظواهر باختلاف أنواعها، حيث لم تكن العلوم الإنسانية والاجتماعية شاذة عن هذه القاعدة،

ففي مجال العلوم الاجتماعية تأثر أوجست كونت بفيزياء نيوتن، وبني فلسفته الوضعية حيث لم يخف كونت انتماءه إلى آراء نيوتن، فهو حاول أن يرسى دعائم علم الاجتماع على قواعد فيزياء نيوتن بل "إن أوجست كونت كان يتخذ من قانون الجاذبية الذي قال به نيوتن نموذجاً لما يجب أن يكون عليه التفكير الموضوعي (الوضعي)"⁽²³⁾.

لقد تم تعميم أسس المنهج الوضعي لتشمل العلوم الإنسانية وكانت من نتائج ذلك كله أن تم اختزال الظاهرة الإنسانية في جوانبها الحسية والفيزيائية وإسقاط كل ما هو متجاوز ومتعال وغيبى من هذا الوجه حتى إنه لم يعد هناك فرق بين الظاهرة الإنسانية المتعددة الأبعاد والجوانب والظاهرة الطبيعية كما تم فصل العلم عن كل قيمة أخلاقية، واكتفى هاهنا العلم بطرح سؤال الوسائل مغفلاً أسئلة الأهداف والغايات، ذلك أن "الحالة الوضعية تقوم أساساً على اعتبار الظواهر خاضعة للقوانين..."⁽²⁴⁾.

يكشف لنا تاريخ العلوم عن صراع مستمر بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وهنا يجب التنويه إلى أن ديكرت مثلاً كان يرى أن أسس المنهج يجب أن تكون عقلية، وعلى النقيض منه يرى بيكون أن أسس المنهج يجب أن تكون تجريبية، وهذا الصراع بين العلوم الإنسانية والطبيعية مبني على حجج "إذ تدعي الأولى بإصرار أنها هي التي تبرر الثانية (تؤسسها)، بينما تضطر هذه إلى البحث عن مركزاتها وتبرير منهجياتها خارج كل النزاعات النفساوية والسوسولوجية والتاريخية، وتطهير تاريخها من جرثومة هذه النزاعات جميعها"⁽²⁵⁾.

أ- التأصيل التاريخي للمنهج في العلوم الإنسانية:

منذ أن وُجد المفكرون ما برح الناس يناقشون بعض مسائل علم النفس وعلم اللغات وعلم الاجتماع والاقتصاد، ولكتاب طباع الجرمان لتاسيت Tacite صلة بالانثربولوجية الثقافية وقد ترتب في كل زمان على الجغرافيين إثارة بعض المشكلات الديموغرافية، وعلى نحو عام كان الناس دائما يفكرون في فاعليات الإنسان وبيئتها، غير أن التفكير الموصول أو العرضي شيء وتكوين علم بالمعنى الحقيقي للكلمة مقرون مجرد المشكلات وتعيين حدودها وكذلك بتحديد المناهج وصلها شيء آخر، والمشكلة في هذه الحالة تحليل العوامل التي قادت علومنا من الحال المناقيل العلمية إلى حالة علوم إنسانية، وعلى الأقل المثل الأعلى للعلوم الإنسانية، وفي وسعنا تمييز خمسة عوامل:

1- الميل إلى المقارنة وهو بعيد أن يكون عاما وطبيعيا بالقدر الذي يمكن أن

يعتقده المرء، فالتفكير في مراحل الأولية يتمثل في اعتقاده أنه في مركز العالم، العالم الفكري والمادي، كذلك وفي جعل قواعد سلوكه بل عادات هذا السلوك معايير شاملة فتكوين علم لا يرجع إذن أبدا إلى الانطلاق من هذا التركيز وتكديس معارف بإضافة بعضها إلى بعض ولكنه يستلزم أيضا أن ترافق هذا الجمع صياغة مذهبية⁽²⁶⁾.

وأول شرط لتحقيق صياغة موضوعية هو الانحراف على وجهة النظر الخاصة المتغلبة في البدء، وهذا الاتجاه هو الذي يكفله الاتجاه إلى المقارنة موسعا في الوقت نفسه المقتضيات المعيارية إلى حد إخضاعها لمنظومات متعددة من الأسانيد.

2- النزعة التاريخية النسبوية: ويتمثل أحد الفروق الرئيسية في الواقع بين الأطوار

القبل العلمية بمباحثنا وتكوينها على صورة علوم مستقلة ومنهجية في الكشف التدريجي عن

كون الحالات الفردية أو الاجتماعية التي تعاني معاناة مباشرة والتي تنقاد في الظاهر لمعرفة حدسية أو مباشرة نتاجا في الحقيقة لتاريخ أو لنمو معرفته ضرورية لفهم المحصلات.

وقد كان علم اللغات طبع أول العلوم الإنسانية استفادة من هذا البعد التاريخي⁽²⁷⁾ إذ أن الوثائق المكتوبة قد احتفظت بعدد كاف من نصوص اللغات الأمهات لإعادة إنشاء تاريخ اللغات المتمددة العصرية الرئيسية⁽²⁸⁾، وقد استطاع علم الاجتماع باستناده إلى التاريخ حياة وثائق متعددة عن ماضي مجتمعاتنا وحضاراتنا.

3- التأثير الحاسم في نمو العلوم الإنسانية تمثل في النماذج التي قدمتها علوم الطبيعة ويجب أن نميز هنا نوعين من العوامل، أحدهما هو التأثير الذي أمكن أن تمارسه الفلسفة الوضعية وصور متنوعة من الميتافيزيقات العلمية النزعة في القرن التاسع عشر الذي بدا مناخه صالحا لتصير امتدادا عاما للفكر العلمي إلى كل ميادين المعرفة، وهناك مثال واضح جدا هو مثال الخطوة الأولى⁽²⁹⁾، التي خطاها علم النفس التجريبي في مجال الإدراكات، تضعنا الفسيولوجيا العصبية أمام عمليات متعددة يطلق فيها منبه خارجي استجابة وفي إمكاننا تحليل مثل هذه المتتاليات كيفما وكما وفي الحالة التي ترافق الاستجابة فيها حالات شعورية كما ترافقها إحساسات أو إدراكات من البدهي أن تطرح مشكلة محاولة تقديرها تقديرا موضوعيا ومحاولة تحديد العلاقات المضبوطة بين المنبه الفيزيقي والنحو الذي يدرك عليه، من هذا نشأ علم النفس الفيزيقي الذي بقي عدد كبير من نتائجه صالحا اليوم.

4- كان العامل الأساسي للنمو العلمي لفروع كعلم النفس وعلم الاجتماع

التي انفصلت عن الجذع الأصلي للفلسفة هو الميل إلى تحديد المشكلات مع المقتضيات المنهجية المقترنة به.

5- العامل الخامس الحاسم في تكون العلوم الإنسانية مرده إلى اختيار الطرائق

ووظيفتها العامة الحاسمة المتمثلة في كونها أدوات تحقيق.

إن الطرق الوحيدة الممكنة بلوغها في المجالات التي تتدخل فيها أحكام القيمة

الأساسية والالتزامات هي التفكير والحدس.

ب- خصوصيات المنهج وأسسها الإستمولوجية:

تكونت العلوم التجريبية على العموم بعد العلوم الاستنتاجية بزمن طويل، ولكن

على الرغم من التأملات المبشرة بالخير للمفكرين السابقين وعلى الرغم من ظهور أرخميدس

نفسه فقد وجب انتظار الأزمنة الحديثة لتنشئ فيزياء تجريبية بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإن

أسباب تأخر العلوم الإنسانية هي على الأقل ثلاثة هم أيضا ومباشرة ابستمولوجية علوم

الإنسان على الرغم من أن وضعها هو أكثر تعقيدا أيضا وهي:

- أول هذه الأسباب هو أن الميل الطبيعي للفكر هو حدس الواقع والاستنتاج

لا التجريب، لأن التجريب ليس كالأستنتاج إنشاءً حرًا أو على الأقل عفويًا ومباشرًا من

قبل العقل ولكنه يستلزم خضوعه لمنظمات خارجية تتطلب عملاً توافقيًا أكبر بكثير.

- والسبب الثاني الذي يكمل السبب الأول ويفسره بالمقابل هو أن العمليات

الأكثر اتساما بالسمة الأولية أو البدائية في المجال الاستنتاجي هي في الوقت نفسه

العمليات الأكثر بساطة كالجمع أو الفصل، والربط بين علاقات لا تماثلية أو تنسيق التناظرات أو المطابقة.

- والسبب الثالث الذي يسر تأخر العلوم الإنسانية يفوق في أهميته الأساسية السببين السابقين في الصياغة البنيوية المنطقية للمشكلة، فكثيرا ما نجد أن المشكلة لا توضع في مجاها المحدد وهذا للإحاطة بالمشكلة من جميع جوانبها.

وهذه الأسباب الثلاثة صحيحة من باب أولى في ميدان علوم الإنسان، بل إنها تدعم تدعيما بالغاً مردّه إلى ازدياد تعقد المشكلات وبخاصة إلى الطابع الأكثر مباشرة في الظاهرة للحدوس الممكنة المنصبة على الوقائع المراد معرفتها⁽³⁰⁾، وهنا نجد العلوم الإنسانية نفسها أمام وضع إبستيمولوجي ومشكلات منهجية خاصة بها إلى حد يكثُر أو يقل، ذلك أن العلوم الإنسانية، لما كان موضوعها الإنسان في فاعليته التي لا تحصى، ولما كانت مُعدّة من قبل الإنسان بفاعليته المعرفية تجد نفسها وقد وضعت في هذا الموضع الخاص موضع توقفها على الإنسان بوصفه في آن واحد ذاتاً وموضوعاً، مما يثير المسائل الخاصة الصعبة، إلا أن وضع العلوم الإنسانية هو أيضاً أكثر تعقيداً بكثير، لأن الشخص الذي يلاحظ ذاته أو يجري تجارب عليها أو على الآخرين يمكن من جهة أن تغيّر الظواهر الملاحظة، وأن يكون من جهة أخرى منبعاً لتغيرات تطرأ على هذه الظواهر من حيث انبساطها وطبيعتها بالذات وتبعاً لمثل هذه الأوضاع إنما يخلق كون المرء في آن واحد ذاتاً وموضوعاً.

والخاصل من المسألة أنه أصبح لدينا فرقان من العلماء والمفكرين، فريق يرى أن العلوم الإنسانية يمكن دراستها بالمناهج التي تدرس بها العلوم الطبيعية (المناهج التجريبية)،

وفريق على النقيض من ذلك يرى أن المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية غير صالحة لكي تستخدم مع الظواهر الإنسانية وذلك للاختلاف الشديد بين الظاهرة الإنسانية والظاهرة الطبيعية.

فالعلوم الطبيعية تدرس العالم الخارجي والعلوم الإنسانية تدرس العالم الداخلي، وهنا ظهرت العديد من الاتجاهات التي نادى برفض الوضعية وتبني الاتجاهات العقلية في دراسة الظواهر الإنسانية، ومن هؤلاء [دلتي- هوسرل- بول فندلباد- ديكرت] أجمعت على ضرورة الخروج بمناهج جديدة تتماشى ومعطيات الظاهرة الإنسانية، فظهرت العديد من المناهج، كالمناهج الظاهراتي، الميرمينوطيقي والنقدي الذي ظهر على يد علماء مدرسة فرنكفورت.

وظهرت عدة انتقادات موجهة للمدرسة الوضعية أهمها:

1- تغييب البعد التاريخي ورفض الخوص فيه، إذ لا ترى في النظرية العلمية عضوية تاريخية، متنامية كما وكيفاء، وهذا فصل للعلم عن تاريخه.

2- اختزال المنهجية العلمية في النظرة الآلية الضيقة (استقراء واستنتاج) فهي تغفل بعدا هاما من أبعاد المنهج وهو التركيب النظري الذي يحكمه المنطق الجدلي.

3- نقد الفكر ونقد الواقع وهذا ما نطلق عليه بالمفهوم النقدي للعلم.

لقد حظيت إشكالية المنهجية في العلوم الاجتماعية باهتمام بالغ ذلك أنها تمثل مسألة الموضوعية والقيم في العلوم الاجتماعية، وهل الموضوعية موجودة في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بقدر وجودها في العلوم الطبيعية؟

ونجد مجموعة من العلماء والمفكرين حاولوا الإجابة على هذا السؤال ومنهم:

1- ماكس فيبر خاصة في كتابه (دراسات في نظرية العلم)، حيث ميّز بين الأحكام القيمية والمعرفة التجريبية، والعلاقة بين العلوم الاجتماعية والطبيعية⁽³¹⁾.

2- دانتاي حيث له تصور مغاير، إنه ينطلق من التمييز الميتودولوجي بين مساري كل من العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، فإذا كانت الأخيرة تنظر إلى موضوعها باعتباره ظواهر خارجية ومعزولة، فإن العكس هو الذي يجب أن يحدث في العلوم الإنسانية، لأنه يجب أن تمثل الحياة النفسية كوجود أولي وأساسي موجود في كل مكان، وثم تصبح العلوم الإنسانية وسيلة لفهم الحياة باعتبارها كلاً معطى في التجربة الداخلية⁽³²⁾.

3- اميل دور كايم في كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) حيث قال بأنه يجب على عالم الاجتماع أن يتحرر من أفكاره السابقة بمعنى فصل الإيديولوجيا.

4- ليفي ستروس يرى أن العلوم الطبيعية علوم تفسيرية وتنبئية على الرغم من الصعوبات التي تطرحها العلاقة الموجودة بين الوظيفتين لكن الأمر يختلف فيما يخص العلوم الإنسانية، لأن هذه العلوم لا تقدم سوى تصورات فضفاضة، وعلى الرغم من أنها علوم مهياة في الأصل لكي تقوم بوظائف تنبئية إلا أن تنبؤاتها غالباً ما تكون خاطئة، ولكن من جهة أخرى توجد هناك استمرارية واتصال بين الطبيعة والثقافة، وأن ما نقيمه أو نفترض قيامه من تقابل وتعارض بين نظام الطبيعة ونظام الثقافة إنما يرجع إلى جهلنا بالقوانين الطبيعية المسؤولة عن التطور والتحول من الطبيعة إلى الثقافة، ولذلك فإن "الهدف البعيد

للاثنولوجيا البنيوية يقوم في إعادة إدماج الثقافة في الطبيعة، والحياة في مجموع شروطها
الفيزيائية والكيميائية" (33).

هذا يرى ليفي ستروس أن العلوم الإنسانية تتموقع في الحقيقة بين التفسير
والتنبؤ، وهذا لا يعني أن هذه العلوم غير ذات أهمية لأنها قادرة على أن تقدم للممارسين
نوعاً من الحكمة التي تتأرجح بين المعرفة الخالصة والمنفعة النافعة، وهنا نجد يوظف مفهوم
اللاشعور بوصفه مكوناً أساساً للعقل البشري وليس في استطاعة الوعي أن يدركه أو يحيط
به، إذ يؤكد أن اللاشعور البنيوي الذي يتحدث عنه ليفي ستروس غير شخصي ولا زمني،
وهو في طبيعته الأساسية بنية صورية وعلائقية تحافظ على هويتها باستمرار وتفعل وتؤثر في
كل العصور بنفس الكيفية، إنه بمثابة القاسم المشترك بين

جميع العقول البشرية في جميع الأزمنة" (34).

- 1- نجد أن ميشال فوكو يبدي ملاحظة هامة في تاريخ العلوم الإنسانية حيث يؤكد أن هذه الأخيرة تفتقر إلى ميراث خاص بما قبل القرن الذي ظهرت فيه وهو يقصد ق17، ق18، ويعود السبب في هذا إلى الإنسان كموضوع مفكر فيه اختفى في هذين القرنين وهو ما حال دون ظهور مبكر للعلوم الإنسانية في هذه الفترة، حيث يربط فوكو ظهور هذه العلوم بما أنتجه المجتمع الصناعي الذي فرض تقاليد معرفية جديدة ولمزيد من التوسع ينظر إلى كتاب ميشال فوكو - "الكلمات والأشياء" - تر: مطاع صفدي، سالم يفون وآخرون - مركز الإنماء القومي - بيروت - لبنان - ص283-284.
- 2- عبد الرزاق الداوي: حوار الفلسفة والعلم والأخلاق -- شركة النشر والتوزيع - المدارس - الدار البيضاء - 2004 ص13.
- 3- علي عبد المعطي محمد: رؤية معاصرة في علم المناهج - دار المعرفة الجامعية - مصر - 1984 - ص45.
- 4- صلاح قنصوه: فلسفة العلم - دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط1 - 2007 - ص172.
- 5- محمد عابد الجابري - المنهج التجريبي وتطور الفكر العلمي - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ط1982 - ص49.
- 6- المرجع نفسه - ص59.
- 7- ميشال فوكو: مرجع سابق - ص284.
- 8- ميشال فوكو: مرجع سابق - ص76.
- 9- عالم المعرفة: ملف اللغة والهوية - جون جوزيف - ترجمة عبد النور خرافي - العدد 342 أغسطس 2007، مطابع المجموعة العالمية، ص22.

- 10- عمارة ناصر: اللغة والتأويل- دار الفارابي- الدار العربية للعلوم- منشورات الاختلاف- ط1- بيروت- لبنان- 2007- ص14.
- 11- عبد الرزاق الداوي: حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة- ص23.
- 12- وزارة التعليم العالي السورية: الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية- ترجمة جماعة من الأساتذة- المجلد 1، مطبعة جامعة دمشق- سورية- ط1- 1977- ص51.
- 13- Tra)- Essais sur la théorie de la science- par Julien Fresund Plon- Editions de poche, Pocket- 1992- P : 47
- 14- لمزيد من التوسع ينظر إميل دوركايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع- تر: محمود قاسم- مكتبة النهضة المصرية- ط1- 1974/ مجموعة من المؤلفين: التأويل والترجمة- تر، تح: إبراهيم أحمد- الدار العربية للعلوم- منشورات الاختلاف- ط1- 2009.
- 15- Cl. Lévi-Strauss : La pensée sauvage, Paris, plon-)- 1962- P : 227
- 16- عبد الرزاق الداوي: حوار الفلسفة والعلم والأخلاق- ص162.

Université de Tiemcen

Faculté de lettres et des langues

Arabo 

ELMOQATAMMED

en terminologie

Revue de Linguistique

Volume 10, Numéro 1, 2013

ISSN 1120-1150

www.univ-tlemcen.dz

2013

2013 Janvier

المعيان

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تسميلت، الجزائر



العدد: 07. جواز 2013

المركز الجامعي تسميلت - الجزائر - الماتن/العاكس، 18، 56، 47، 46

مشورات



المعيار



مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيممبيلت-الجزائر

جولن 2013 العدد 07

المركز الجامعي تيممبيلت-الجزائر-الفايف " الفاكس 046/47/56/18

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
أ. مرسي رشيد
المركز الجامعي: تيسمسيلت . الجزائر
الهاتف/الفاكس: 046 47 56 18
البريد الإلكتروني:

[Rachidmersi @vahoo.fr](mailto:Rachidmersi@vahoo.fr)

ISSN 2170-0931

للغة والأدب العربي

- كلمة العدد.
- 07..... د. محمد بلحسين.....
 اقتفاء الأثر واستحضار الوقع، ترددات مفهوم الحرية في النص الشعري
 الجزائري المعاصر.
- 15..... د. عبدالقادر راجحي.....
 - المصطلح النقدي في النقد الجزائري المعاصر- الحيز عند عبد الملك مرتاض أنموذجا-
 مصطفى بوفادينة.....
 31.....
 - النقد الأدبي الجزائري الحديث بين أزمة المنهج والبحث عن التأصيل.
- 43..... د. صباح لخضاري.....
 - بنية النظام المعرفي في الخطاب الصوفي قراءة في الأصول.
- 57..... د. أحمد بوزيان.....
 - أثر المسرح في تكوين شخصية المتعلم.
- 73..... عبد العزيز بوشلاقي.....
 - تعليمية الدرس البلاغي العربي بين التنظير والممارسة- التعليم الثانوي نموذجاً-.
- 83..... عدة قادة.....
 - جمالية المكان في رواية عائلة من فخار(مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة) لمحمد مفلح.
- 99..... د. عبد القادر مزاري.....
 - راهن الشعرية في المدونة النقدية المعاصرة.
- 109..... قدوية يعقوبي.....
 - مستويات اللغة في رواية مزاج مراهقة.
- 123..... نورة شريط.....
 علاقة اللغة العربية بالقرآن من منظور الأستشراف الفرنسي.
- 137..... د. عبد الوهاب بن دحان.....
 جاك بيرك رأس بوجهين: المنهج والرؤية.
- 147..... فتح الله محمد.....

لتطور بنية الشخصية في الخطاب الروائي الجزائري الحديث.

- 155..... رابح شريط.....
- خصائص فلسفة الرواية الإسلامية.
- 167..... خديجة عبد الرحيم.....
- التعليمية وصلتها الوثيقة بعلم اللغة - بحث في الآليات والنتائج.
- 177..... محمد يونسى.....
أدب السخرية في الأدب الأندلسى.
- 191..... الميلود قردان.....
- المقصدية والبلاغة - مسال في التداول والحجاج.
- 201..... محمد نعار.....
- التأويل بالتضمين في أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطى.
- 247..... نجادى بوعمامة.....
- Les résumés et les résumés automatiques.
- 243..... حسين عيجولى.....

العلوم القانونية والإدارية

- مسؤولية الناقل البحرى للبضائع بين أحكام القانون البحرى الجزائرى
واتفاقية هامبورغ.
- 257..... د: محمد بوراس.....
- الشرعية الدولية للتدخل الإنسانى.
- 271..... عبد القادر دهماني.....
- خطر استخدام الأسلحة النووية في ظل المبادئ الأساسية للقانون الدولى الإنسانى.
- 293..... عبد القادر زرقين.....
- تحفظات الدول العربية على معاهدات حقوق الإنسان بين السحب والإبقاء في ظل
التطورات العربية الراهنة.
- 305..... عبد القادر باية.....
- التزام المؤسسة الإقتصادية في الجزائر بحماية البيئة.
- 321..... جواد عبد اللاوى.....

- النظام القانوني لعقود التجارة الدولية أمام قضاء التحكيم في القانون الجزائري-دراسة مقارنة-

بن أحمد الحاج335

علوم وتقنيات المشاهات البدنية والرياضية

-سمات شخصية أستاذ التربية البدنية والرياضية ودوافع الانجاز نحو حصة التربية البدنية والرياضية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثالثة ثانوية.

د. أحمد أمين واضح357

-فاعلية التدريب المندمج بالكرة المقترح لتطوير بعض الصفات البدنية وتأثيره في بعض المتغيرات الفسيولوجية لدى لاعبي كرة القدم (أقل من 18) سنة.

فغلول سنوسي381

-السلوك القيادي للمدرب وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى لاعبي الكرة الطائرة.

صالح ربوح401

أهمية ممارسة النشاط البدني الرياضي الترويحي في التقليل من ظاهرة العنف المدرسي لدى تلاميذ التعليم الثانوي.

شارف سي العربي415

-English via Translation for 1st Year LMD Students (Physical Education & Sport Sciences) At Tissemsilt University Centr.

العربي رافة439

العلوم الاقتصادية والتجارية

- Les TIC dans les écoles préparatoires: quelle relation entre leur intégration et la formation des enseignants des langues étrangères ?

د: محمد أمين براهيم / د. نسيم بوري زهوني / د. امال خلايجي عبد الله449

خصائص فلسفة الرواية الإسلامية

عبد الرحيم خريجة

جامعة تلمسان

الرواية الإسلامية لون من ألوان الأدب الإسلامي الذي تميز باستناده إلى قاعدة ثابتة أصلية تمتد منذ أكثر من خمسة عشر قرناً، وعلى مساحة مكانية في قارات الدنيا كلها أين بذور الإسلام.

إنه أدب المسلمين في قوتهم وضعفهم، في فرحهم وقرحهم، في حرهم وسلمهم ماداموا يستمدون تصورهم من الكتاب الخالد والسنة المطهرة.

فللأدب الإسلامي مكانة رفيعة بين قومه وأهله وموضع اهتمام بين دارسيه وعبييه، وقد تبرز هذه الأهمية أكثر عند المعوقات الكثيرة والمجالات المبدولة من أتباع المذاهب العربية لإنكار الأدب الإسلامي ومسح الشخصية الإسلامية.

فقد نجد للرواية الإسلامية سلطاتها على النفوس والقلوب، تتسرب إليها في غفلة منها وعفوية لا تكاد تعرف المقاومة.

ولأن الإسلام يوسع رقعة الحياة لتشمل ما بين السماوات والأرض وما بين الدنيا والآخرة وما بين الإنسان والكائنات الأخرى... فالمجال هنا متسع أمام الروابي المبدع، إذ يشمل إبداعه الكون كله والوجود جميعه بكل ما يضرب من جنباته، شريطة أن: "يتصور الأديب هذا الكون تصور صحيحا وسويا لم يتفاعل معه حسب تصور الإسلام كذلك فيرى كل جزئية فيه تقول بلسان الحال أو المقال: قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"⁽¹⁾. ومن جهة أخرى تعبر عنه تعبيرا صحيحا يتلاءم مع ذلك التصور"⁽²⁾.

وبهذا يسعى الروابي الإسلامي أن يعبر عن تصوراته التعبير اللائق بالإحساس الإسلامي أو بالإحساس غير المتصادم مع المفهوم الإسلامي "فتحقق الرواية روحا مبدعة منطلقة في أفاق الكون بلا أسر أو قيد إلا قيد النواميس الكونية والشريعة الإلهية التي تمنع من الخروج عن فطرة الإنسان إلى متزلقات الشذوذ والحيوانية والمادية"⁽³⁾.

ومن هنا فقد تكون الرواية الإسلامية بهذا المفهوم وهذا التصور للكون والحياة والإنسان متجلية مبتكرة بعد أن تحقق مكانتها الرفيعة وتلتزم بخصائصها الإسلامية التي نذكر من أهمها:

أولاً: الالتزام العقدي والخلفي:

لعل أولى خصائص الرواية الإسلامية هي الالتزام، وكل ما سوى هذه الصفة منبثق منها متفرع عليها، فالالتزام من شيم الأدب الإسلامي، وهو يختلف عن ذلك الذي عرفته المذاهب الغربية خلاصة، "الواقعية الاشتراكية" و "الوجودية" لأن كليهما قد قصر في حق الالتزام، وصورة من الزاوية التي ترضي مذهبه "الواقعية الاشتراكية" هو "أول من استخدم هذا المصطلح، الالتزام وترتيده أن على الأدب أن يلتزم في عمله الأدبي خطا معيناً فيسخره على (خدمة الجماهير وحل مشاكلها) على الطريقة التي تريدها وترسمها الماركسية، فلا يكتب ولا ينتج فيما سواها"⁽⁴⁾.

أما الوجودية فهي تنادي بالالتزام الأديب بقضايا "الحرية" حسب المفهوم الوجودي فحسب "فجون بول سارتر كان ملتزماً بناءً على مكونات ذاتية ناشئة من تجربة الحرب التي عانت منها فرنسا والتي أثرت كذلك في وجدان الشعب الفرنسي، وما عاناه كذلك "سارتر" بين الأسلاك الشائكة في الأسر مما كان يدفعه إلى التساؤل عن معنى الحرية الحقيقي"⁽⁵⁾.

أما الالتزام في الرواية الإسلامية فيبنى على أساس الاعتناق بالقيم الأساسية، لهذا المجتمع، وبما أن المجتمع الإسلامي يقوم على العقيدة والأخلاق أولاً فكان من اللازم أن يراعي الروائي هذه الحقيقة، وأن يضع نفسه في كل حين أنه أديب مسلم لأن "الكاتب الحقيقي هو ذلك الذي يمثل بفضله العليا، وينظر دائماً إلى عالمه بالمقارنة مع مثله وقيمه ومبادئه"⁽⁶⁾.

وهناك درجة أعلى شأنها هي أنه على الروائي المسلم أن يبرز هذه القيم العقيدية والخلقية السائدة في مجتمعه المسلم والمنتشرة من الإسلام، لأنها دعائم تدفع بأدبه إلى الفضيلة وتصرف عن الرذيلة "إنه حين يراد له ذلك فإننا نتوقع أن يفعله بأسلوب الأديب الفنان وبإيمانه لا بتقريرية العالم ولا بطريقة الواعظ أو بخطابية السياسي أو المصلح الاجتماعي"⁽⁷⁾.

ومنه فالالتزام في الرواية الإسلامية لا يقاس بالمقياس الذي وضعته المذاهب المادية الأخرى بل لابد وأن ينبع من العقيدة أولاً ومن شرع الله عموماً.

لكن المقصود بالالتزام عادة يكون مرتبطاً بتسمية "الالتزام الخارجي" الذي يتشكل في جميع القيود والنظم التي يضعها المجتمع من حول الإبداع والمبدع، وقد يوجد لهذا الالتزام لتسيير الحياة وربط العلاقات بالكيفية التي يراها المجتمع صالحة مفيدة، وهي إما أن تكون أمورا قانونية أو اجتماعية أو أخلاقية أو اقتصادية، وكثيراً ما يثور حولها الجدل حين

يرى البعض أنها كبت للحريات وتقصير في الحقوق أو جمود في مجال تطور إبداعات تجلس في أنفاسها، وهي على النقيض مما يتصور واضعوها.

وقد نرى فريقا آخر يحاول التملص على هذه القوانين بأسلوبه المبتكر، وهو الموقف السائد، وفي بعض الأحيان يصبح الروائي عبارة عن بوق لدكتاتورية ما أو سياسة ما أو لحزب ما، فيكون ترجمان فلسفتها، وهنا تتضاءل حريته ويصبح الالتزام ضربا من الإلزام. وقد يصعب الحديث عن الالتزام في الأدب الإسلامي دون الإشارة إلى الآية الكريمة لقوله تعالى "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"⁽⁸⁾. فالإسلام يرفض القول دون الفعل والعمل، ويرفض التوجهات المذبذبة، ويطلب الأهداف الواضحة والقيم المثمرة.

وبهذا يكون الالتزام بمعناه الإسلامي هو الطاعة، الطاعة الحقيقية قناعة إيمانية وفرح في قلب المؤمن وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة، وكل ما يتعلق بها والعمل في الالتزام الإسلام يبدأ بالنية الصادقة ويشرع في ممارستها على الواقع وتحت راية الإسلام بما في ذلك من أحكام وقوانين لأن الكاتب طاليس إنسانيا منطويا على نفسه في عالم لا قيمه فيه لسوى مصيره الفردي، ولكنه يؤلف وحدة لا تتجزأ مع العالم الذي يعيش فيه، وعمله الأدبي ذو هدف في ذلك العالم الذي يحيى فيه لأنه مرآة لفترة زمنية يبين فيها وعي الكاتب بما يتحقق به وجود هذا الوعي للوجود الحق المعتمد به عندهم، وهذا الوجود لا يتحقق بمجرد الكشف عن الموقف ولكن لابد مع ذلك من التزام الكاتب في صراع يستجيب فيه لما يوجهه عصره إليه من مسائل"⁽⁹⁾.

ومن هنا يكون الالتزام الصحيح انبثاق تلقائي من قلب المؤمن وفكره ونفسه، فالالتزام فن وفكر وسلوك وعمل، ومن هذا المنطلق يصبح الأدب رسالة شائخة وعطاء متجدد يحقق المتعة والفائدة معا.

وقد نجد الالتزام في الرواية الإسلامية مختلفا تماما عما هو في الروايات الأخرى ذلك لأنه يستمد مقوماته من القرآن والسنة ومن السوابق التاريخية لجليل الصحابة والرواد ... إذ يتيح للفرد مدى واسعا سعة الإسلام للتعبير عن الذات في إطار التزامه بالفكرة الإسلامية.

ثانياً: التصور الإسلامي:

لعل من الخصائص أيضا التي تحاول الرواية الإسلامية، لإبرازها والتحلي بها هي التصور الإسلامي اعتمادا على قوله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام"⁽¹⁰⁾. فالشريعة الإسلامية هي التي تقدم الرؤية الإسلامية لكل ما يحتاج إليه المسلم من قضايا وتفكير

وسلوك ومعاملات، وفي كل المفهومات التي يكونها من أي شيء. فهي الشريعة التي تقدم التفسيرات اللازمة للقضايا الكونية والغيبية وتقدم الحكم في القضايا بمختلف مجالاتها. فمن خلال التصور يكون الروائي صفات إسلامية في أدبه ومنهج قويم في سلوكه فهو "حينما يتحرى الصدق في أدبه ويلتزم بالتصور الإسلامي في أهدافه فإنه لا يجانب السلوك الإسلامي في معاشته، فالإيمان فكر وعمل الصالحات تعبير عنه، وذكر الله حسا وعقا وتصورا تطبيق سلوكي، فالرواية الإسلامية لون من أدب الشخصية الإسلامية في تكرينها الشخصي ومنهجها السلوكي"⁽¹¹⁾.

وقد نجد في التصور الإسلامي في حد ذاته خصائص ينفرد بها عن باقي التصورات العقائدية وتتجلى بها الألوان الأدبية الإسلامية، فتكون بذلك متميزة ومتوازنة، قد عرضها "سيد قطب"⁽¹²⁾. وهي كالآتي:

- 1- **الربانية:** فهو تصور رباني جاء من عند الله عز وجل بكل خصائصه ومقوماته.
- 2- **الانسجام:** فلا يلحقه التغيير أو البطلان إنما يتصور الأدب في إطاره ويطرق في إدراكه والاستجابة له.

3- **الشمول:** فشمولية التصور الإسلامي لجوانب الحياة كلها تجعل قضاياها كثيرة وتتيح له فرصا لا تحد للظهور في الأعمال الأدبية. "فإن استشعر الأديب هذا الكون بجميع أشيائه بإحساس المسلم، ثم عبر عنه التعبير اللائق بالإحساس الإسلامي، أو بالإحساس غير المتصادم، وغير المتناقض مع المفهوم الإسلامي، فلا عليه بعدئذ، وليفعل بأدبه ما يشاء إذ له مطلق الحرية لا يجد من انطلاقه أحد ولا يحجر على رفرقاته حاجزا"⁽¹³⁾.

إنه تصور يشعل جميع قضايا الحياة والإنسان والكون وكل ما تحتاج إليه البشرية في كل زمان ومكان، وهذا ما طبع على الأدب الإسلامي والرواية من صفة العالمية وميزه عن باقي الآداب.

- 4- **التوازن:** فهو تصور متوازن في مقوماته وإيجاءاته، حيث يصور العدالة الإلهية في حقيقة الأشياء، وذلك بإقامة التوازن في نظرته إلى جميع العلاقات بين الله والعباد وبين العباد أنفسهم وبين العباد وبقية المخلوقات.

إذ يستثمر الأديب المسلم موهبته في التعبير عن مجالات الحياة من خلال نفسه المؤمنة المتقيدة بالإيمان، فيتحدث عن الطبيعة فيراها خليقة حية متعاطفة ذات روح تسبح وتخشع، ويتحدث عن الخلائق الحية من حيوان وطيور ونبات، فيحس نحوها بالتعاطف والمودة ووشائج القربى، ويتحدث عن الإنسان فيرى فيه خليقة الله في الأرض ويصوره في كل

أحواله في الوقت والضعف والكره والفرح والألم وفي صراعه مع الشيطان⁽¹⁴⁾. وقد تجسد هذا التوازن في سير الأنبياء والرسل والصحابة.

5- الإيجابية: تميز بالإيجابية لأنه لا ينكر الفعاليات الإنسانية ولا يخرجها عن مسارها الذي حددها الشرع، فإيجابية تكمن في أنه لا عبث فيه ولا هو ولا تضييع للوقت والجهد بما لا ينفع ولا يجدي.

فهو إيجابي متجدد يدفع الأديب المسلم إلى الاستقامة والإيجابية والتأثير.

6- التوحيد: فهو ينطلق من توحيد الإله وتحكيمه وحده في كل صغيرة وكبيرة، وليس فيه تحريف ولا شيء من التشويه الذي أصاب الديانات الأخرى.

وبهذا تكون العبودية الخالصة لله باعتبار ذلك غاية الوجود وأن هذا الدين الخاتم هو دين الله القوم الذي ارتضاه لعباده □ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ⁽¹⁵⁾.

ثالثاً: الشمول والتكامل:

نظرت الفلسفات القديمة والحديثة معا للأديب نظرات متناقضة، فمنهم من تراه على أنه كله وجود وأخرى تراه على أنه مفكر دون روح، وهناك من تعتبره مثال في واقع... وغيرهم كثير، لكن الإسلام هو أول من كرم هذا المخلوق ونظر إليه نظرة متكاملة شاملة باعتبار الإنسان جسداً وروحاً مجتمعي فالإسلام " يأخذ الإنسان أخذاً شاملاً متكاملًا بكل ما فيه من جوانب وزوايا، ليحدث فيه التوازن والانسجام فالسلام، وليساعد بينه وبين الصراع والتناقض، وهو لا ينظر إلى الجانب المادي وحده. بمعزل عن الروح، فيترتب عن هذا طغيان الصراعات الاقتصادية وبروزها حق لتصبح كأنها في جوهر الحياة الإنسانية وحقيقتها وأنها هي المحرك والدافع الأصل للسلوك البشري، وتعمل بمقابل تلك القيم الأخرى: معنوية وروحية، وأشواقاً إنسانية علياً... " (16).

هذا الإبداع الشامل يتلقاه المسلم ويدركه ثم يعمل وفق معايير وحدوده، فيتحقق له بعد شاسع ونظرة صحيحة نحو الخالق عز وجل ومع المخلوقات من حوله دون مناقضات أو مغالطات، وبذلك يطمئن ويستقيم، ويمضي في إبداعه جادا للوصول إلى المبتغى وإلى الدرجات العلى، فلا يترك أفكاره مبعثرة هنا وهناك بين فلسفة وأخرى أو بين نظرية ونقيضتها.

بل يمضي في حياته عازماً على توصيل وإبلاغ ما يريد إبلاغه دون تردد لأنه تعلم ذلك من وحي ربه ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أخرج الترميذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا غلام إني أحلمك كلمات، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة

لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام، وجفت الصحف" (17).

فهذا الحديث وحده له جوانب كثيرة مهمة، عقديّة وتربويّة عامّة، وله جوانب أدبيّة بليغة، قد يكون من بين النماذج في السنة التي يحتاجها الإنسان في دنياه وأخرته فيمقدار اهتمام الروائي لحقوق الله وبأداء هذه الحقوق ومراعاة حدوده شاملة كاملة دون تفسير يكون اعتناؤه به وحفظه له.

وبهذا تكون الرواية الإسلاميّة بتصوراتها الراقية وآفاقها الشاملة "يمكن أن تكون ملاذ الإنسان الخائر في شتى أنحاء العالم، تقدم له الدور الإنساني الذي أضاعه والتصور الإنساني للغاية والمهدف الذي يعيش له الإنسان في هذه الحياة، فلا نرى البشر كما هو في أكثر ديار العالم اليوم، ذرات هائمة لا تعرف طريقها ودورها، وقد تختصر الطريق بالحروب والانتحار، إن الأدب الإسلامي يمكنه إن قدرت له المواهب الفنيّة، الراقية، أن يجرّ البشر على المستوى الأدبي من نزعات الضياع والشتات والقلق والاعتراب..." (18).

وطريق المؤمن واضح لا يسأل إلا الله ولا يستعين إلا بالله، ولا يخشى إلا هو، إلى جانب أن الروائي قد يتبع بهذه الطريقة صلته بالكون والصلة التي تجمعها بالإنسان وفق القانون الإلهي.

وهكذا يكون إبداعه يتميز بالوضوح والشمولية والتكامل "وفق تجربة واقعية يمارس فيها الحياة وفق منهج شامل كامل، إنه منهج عادل فيكتسب هذا الوضوح فلا يتخبط ولا تضع جهوده عبثاً ولا يظل يهدر طاقاته فيما لا طائل وراءه، ولا يفرق في الأحلام والتخيّلات، فهو متوحد المهدف" (19).

وبهذا يكون الروائي المسلم يعيش حياته في عبادة ربه، يعلم كل العلم أنه صاحب أمانة وعليه تسديدها على أكمل وجه دون تزيف أو تحريف.

رابعاً: الرواية الإسلاميّة أدب الإنسان والكون:

لقد صور الإسلام الاهتمام بالإنسان في صورة الأب والأم والابن والقريب والبعيد والغني والفقير، كلها أحوال استقتها الرواية الإسلاميّة فوظفتها لترعى قضية الإنسان في كل أحواله وأطواره، وتحفظ له كرامته، ومكانته، واعتقد أنه لا يوجد مثل ذلك في الأدب الغربيّة "فدور الإنسان في الأدب الإسلامي واسع رحيب يلي تطلعات الإنسان في الحياة المعاصرة إلى الحياة الكريمة وبعيد الثقة والاطمئنان إلى النفوس وذلك بما يحقق للإنسان المعاصر من قيمة كبرى تمنحه معنى لوجوده في هذه الحياة متمثلاً في انتمائه لفكرة ربانية تبوّه مكانة ودورا ومسؤولية، ويحميه من سأم الحياة والضيق بها، كما يحميه من

غربته مع نفسه ومجتمعه وعصره ويجعل للحياة مذاقا وطعما تستحق أن يعيش الإنسان لها" (20).

وقد ظهر من الأدب الغربية فقدان التراحم والترابط بين المجتمعات كما جردت الإنسان من كرامته وأصبح مما تفخر به دور العجز وملاجئ الأطفال وقاعات تبذير وقت الشباب، لقد اعتاد الأدباء الغربيون أن ينظروا إلى الإنسان على أنه مادة يتغير بتغير الطبيعة التي يعيش فيها، إنسان مضطرب نفسيا ومتشعب سلوكيا وقلما ينظرون إليه نظرة الإنسان السوي.

مما دفع هذا الإنسان إلى ممارسة نشاطات مختلفة وتصرفات بشرية شببت في مجموعة من الانحرافات أفقدت الإنسان كرامته وإنسانيته، وأصبحت المذاهب الغربية سببا في سوية الديانات والأخلاق كما ساهمت في تحطيم الأدب العربي الذي فتح أبوابه لها وتأثر بها وذاق مرارتها وهو الآن يخبط في برائنها إلى أن بدأت صيحات النذير وصرخات الخطر فجرد الأدب الإسلامي رؤية المعاصرة ونظرته المعاكسة لتلك الإدعاءات، وانبعثت الرواية الإسلامية تحاول نشر الوعي بأسلوبها وواقعيتها واحتكاكها مع الإنسان السوي، "فإذا كان الشكل الروائي الغربي الذي اعتنق فكر الغموض تعبير عن تغير جذري في موقف الإنسان الغربي كما زعم "آلا نروب غربية" فإن الكاتب الروائي المسلم المنطلق من إبداعه من منظوره الإيماني العلمي الثابت والمتوازن والشامل والواقعي للوجود والحياة والإنسان والقيم لم يتغير موقفه من العالم ولم يتغير تبعا لذلك اتجاهه الأدبي، فيقينيته الكونية لا تنهدم بفرضيات ونظريات وضمون العصر" (21).

وبهذا فقد يملك المسلم رؤية واضحة للنفس الإنسانية، وهذه الرؤية مأخوذة من الكتاب والسنة، فيكون لنا رواية إسلامية تهتم بالإنسان لا نفاقا ولا كذبا ولا تشويها، وإنما تهتم تبعا لأنه موضوع الاهتمام والتكريم وموضع تحميل المسؤولية. الرواية التي تبرز قضايا الإنسان أينما كان وتصور النفس البشرية بصدق بعيدا عن كل تزييف.

خامسا: الغائية والجدية الهادفة:

تتجه الرواية الإسلامية إلى تكوين هدف وغاية مقصودين، وقد استمدهما من الدين الإسلامي الذي يراعي في سلوكياته القراهة ومحاسبة النفس وتأنيب الضمير من كل عمل أو قول ليس من ورائه غاية جادة لأن "المضمون الفكري للأدب الإسلامي مرتبط بالعقيدة الصحيحة التي تعمل على إيجاد المسلم الصالح. والمجتمع الصالح، وتجعل من الآداب في أشكاله المختلفة فنا يحرك النفوس إلى الجدية في الحياة والعمل فيها للبناء، ويجعل التفكير

والتأمل عبادة، كما يرفض الظلم، والاستبداد والفساد، ويربط حياة الأفراد برباط الإيمان الذي ينظم الحياة كلها والسلوك كله⁽²²⁾.

ولهذا فالروائي المسلم يدرك أنه مسؤول ومحاسب على كل شيء يفعله، ومن هنا نجد أن العاقل يميز بين أديين: أدب يجب أن يكون مسؤولاً وحامل رسالة وأدب يتهرب من مسؤوليات بناء الحياة النظيفة والمشاركة في أعبائها بحجة أن الإبداع الفني في ذاته جمال مطلوب وغاية مراده مقصودة وكفى، حتى لو كانت رواية عارية متماخنة منحلّة، أما الروائي المسلم فمن منظاره يرى الغائية والجديّة الهادفة "فينشئ الأديب المسلم فنه وأدبه، وله في ذلك هدف واضح مقصود ومحسوب وغاية مراده مرصودة"⁽²³⁾. ولعل هذه الغاية نستطيع أن نغير مسار الحياة إلى ما هو أرقى وأصلح. بمحاولة تطوير سلوكيات الأفراد، وذلك بغرس بذرة العقيدة في النفوس، وترسيخها في الصدور والتباعد عن الرذيلة، فالرواية، أدب فني، وهذا النوع يجب أن يكون غاية يسعى إليها الأديب، فالمتعة التي نلناها من هذا الأدب هي الغاية في ذاتها ولا شيء وراء ذلك، وهذه حقيقة منبثقة عن حقيقة إسلامية كبيرة هي أن الفرد المسلم يتره نفسه عن أن يحدث عملاً من الأعمال أو يقول قولاً من الأقوال ليس من ورائه غاية جادة، أو يلتفت بلفظ دون أن ينظر إلى عواقبه ونتائجه "فهذه الغاية تكمن في تصور لا يتحرك الأديب إلا على هديه ونوره وحس وجداني مفعم بمنحه فرصة الوفاق مع الكون والوجود والعالم، وبين هذا وذلك يبدو الأديب الإسلامي كالينبوع الذي لا ينضب وكنور الشمس والقمر الذين لا يكفان عن إرسال النور وكالأرض الخصبة التي لا تقف عن بعث الحياة والجمال على سطح الأرض..."⁽²⁴⁾

وبهذا يترفع الروائي المسلم على أن يأتي بالعبث المضيع للوقت المحسوب وأن يهدر طاقته الخلاب، أو أن يضيع أوقات الآخرين من عباد الله ويبدد طاقاتهم فيما لا خير فيه.

سادساً: الواقعية:

لقد اقترن مصطلح الواقعية بالمذاهب الغربية الفنية، تلك التي تحصر واقع الإنسان في حيز ضيق محدود وتنسى الواقع الإنساني الكبير الذي يشمل حياة الإنسان كلها طويلاً وعرضاً وعمقاً، زماناً ومكاناً.

ومعروف على الأدب أنه انتقل على المستوى العالمي من كلاسيكي رسمي إلى رومانسي يقترّب من طبقات المجتمع بخيال دون عقل، ويتوجه إلى عواطفها دون تفكيرها، ثم إلى واقعي يلتصق بحقائق الحياة مرتكزاً على الجانب المادي في الإنسان ويفغل على الجوانب الروحية ذات الطاقات الهائلة.

وأظن أن هذا التنقل أفقد الأديب وظيفته ولذا وجب عليه سد تلك الثغرات " وإلى أن يصل الأدب إلى الواقعية الكاملة التي يسعى إليها تلقائيا بقوة تيار الحياة وتجاربها سيكشف في النهاية أن الإسلام قد سبقه إلى إقرار تلك الواقعية الإنسانية التي يبحث عنها" (25).

ولعل الملفت للانتباه في أغلب الروايات الإسلامية أنها لا تناقض الواقع ولا ترفضه بل هي تحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه ومعالجة قضاياها في شكل فن يحاول توجيه التمامة إلى الجرى والمصب.

المولم

- 1- سورة طه، الآية 50.
- 2- صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، دار المنار، السعودية، جدة، ط1، سنة 1985، ص 59.
- 3- محمد المبارك، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الخير، بيروت، [د.ط.]، [د.ت.]، ص 118.
- 4- من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو (مرجع سابق)، ص 65.
- 5- رجاء عبيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأ المعارف، مصر، [د.ط.]، سنة 2000، ص 300.
- 6- نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، سنة 1981، ص 53.
- 7- محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط1، سنة 1986، ص 192.
- 8- سورة الشعراء، الآية 224-225-226-227.
- 9- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر، القاهرة، [د.ط.]، [د.ت.]، ص 224.
- 10- سورة آل عمران، الآية 19.
- 11- مصطفى عليان، مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، دار المنار، السعودية، جدة، ط1، سنة 1985، ص 26.
- 12- سيد قطب، خصائص الفن الإسلامي، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة، [د.ط.]، سنة 1991، ص 38.
- 13- من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو، (مرجع سابق)، ص 59.
- 14- محمد قطب، منهج القرن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6، سنة 1983، ص 6.
- 15- سورة آل عمران، الآية 85.
- 16- من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو، (مرجع سابق)، ص 74.
- 17- الإمام أبو الفتوح بن أحمد بن رجب الحنبلي، نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم، لابن عباس، دار البشائر، ط1، سنة 1989، ص 29.
- 18- محمد عادل الهاشمي، في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، دار المنار، بيروت، ط1، سنة 1987، ص 41.
- 19- الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، محمد حسن بريفش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1996، ص 121.
- 20- في الأدب الإسلامي، "تجارب ... ومواقف"، محمد عادل الهاشمي، (مرجع سابق)، ص 72.
- 21- مجلة الأدب الإسلامي ع 21 سنة 1419 المملكة العربية السعودية، مقالة لمحمد رشدي عيد، ص 37.
- 22- أحمد عطية السعودي، شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، (دراسة تأملية في الرؤية الفكرية والتقنيات الإبداعية) دار المأمون، عمان، الأردن، ط1، سنة 2010، ص 6.
- 23- من قضايا الأدب الإسلامي، صالح آدم بيلو، (مرجع سابق)، ص 67.
- 24- عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1408هـ، ص 86.
- 25- أحمد بسام ساعي، الراقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنار، السعودية، جدة، ط1، سنة 1985، ص 4.

AL MIYAR

Revue périodique publiée par le Centre Universitaire de Tissemsilt, Algérie

N° 7. Juin 2013

شارك في العدد

عبد القادر رابحي - مصطفى بوعديمة - صباح لخصار - أحمد بوزيان - عبد العزيز
بوملاق - عدة قلدة - عبد القادر مزاري - فدوية يعقوب - نورة شريك - عبد الوهاب بن
دحمان - محمد فتح الله - راجم شريك - خديجة عبد الرحيم - محمد بوسين - الميلود قرحان
محمد بمار - نجاد بن بوعمامة - محمد مقدم - حسين عيحول - محمد بوراس - عبد القادر
دحمان - عبد القادر زرقين - عبد القادر باية - جواد عبد الوهي - بن أحمد الحاج -
أحمد أمين واصل - فلفل سوسين - صالح ريوح - شارف سي المصيري - المصيري رافة - محمد
أمين براهيم - نسيمة بوربي زرهوني - أمال خلايحي عبد الله

Centre Universitaire de Tissemsilt, Algérie. Tel / fax: 046 47 56 18

